

يأجوج ومأجوج

دراسة مقارنة بين المسلمين وأهل الكتاب

مكتبة النافذة

د. أحمد حجازي السقا

يأجوج ومأجوج

دراسة مقارنة بين المسلمين وأهل الكتاب



د. أحمد حجازي السقا

الناشر

مكتبة النافذة

يا جوج وما جوج

د. أحمد حجازي السقا

الطبعة الثالثة: 2011

رقم الإيداع: 2005/9663



1 ش المستشار حسن دياب (برج مكة 3) المنشية

(ميدان الساعة) _ امتداد الثلاثيني

الطالبة _ فيصل _ الجيزة _ مصر

هاتف: 37241803 _ 39848568

محمول: 0123595973 فاكس: 37827787

Email:alnafezah@hotmail.com

مقدمة الكتاب

من المشهور في الكتب الإسلامية التفسيرية:

١- أن يوم القيامة هو يوم الساعة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا اقْتَرَبَتِ

السَّاعَةُ﴾^(١).

٢- وإن لهذه الساعة علامات منها ظهور المهدي إلى الله، ونزول المسيح

عيسى من السماء... إلخ. وهذا المشهور باطل؛ وذلك لأن الساعة ليست هي يوم
القيامة، وإنما هي ساعة المعركة الفاصلة بين اليهود والمسلمين في أرض
فلسطين. المعركة التي تعرف بمعركة اليرموك أو معركة هرمجتون. وقد قال
المسيح عنها إنها تأتي بغتة.

ذلك قوله: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة
السموات ولا الابن إلا الأب".

وقوله: "فيسابغكم ذلك اليوم بغتة".

وبيان ذلك:

أن من أوصاف محمد ﷺ في التوراة، أن يشن حرباً ضد الذين يكفرون به
من اليهود والأمم في حال مبعثه، ويفتح بلادهم، ويملك عليها، ويعظم الأمم
الشرعية واليهود أيضاً ويلزمهم بها. ويطلق اليهود على هذه المعارك "يوم

(١) القمر: ١.

لرب^(١)؛ لأن الحرب فيها من أجل لتمكين لشريعة الله ﷻ، والمعركة الفاصلة بين النبي وأتباعه وبين اليهود لنزع فلسطين، تكون في أرض 'هرمجدون' في سهل 'أريحا'.

وقد قال يوحنا عن هرمجدون ما نصه: ثم سكب الملاك العلامات جامعة على النهر الكبير الفرات؛ فشف ملأه لكي يعد طريق الملوك الذين من مشرق الشمس، ورأيت من قم النتين، ومن قم الوحش، ومن قم النبسي الكذاب ثلاثة أرواح نجسة شبه ضفادع، فإنهم أرواح شياطين صانعة آيات تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة؛ لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم يوم الله، القادر على كل شيء، ها أنا آتي كلص طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه؛ لئلا يمشي عرياناً فيروا عريته فجمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية هرمجدون^(٢).

وقد عدد كتاب أسفار الأنبياء أسماء القرى التي سيهلكها الله، لو سبغها عذاباً ألما قبل نشوب معركة هرمجدون. وقد جاء عن هذا في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾^(٣).

وقيامة القيامة: تحتمل معنيين:

المعنى الأول: هو قيلة بني إسماعيل بقيادة محمد ﷺ على بني إسرائيل؛ لنزع الملك منهم. وذلك كما نقول: قلم بنو فلان على بني فلان، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وأخذوا منهم أرضهم. وعلى هذا الاحتمال تكون القيامة بمعنى الحرب والقتال في الدنيا.

(٢) رؤ: ١٦: ١٢-١٦.

(٣) الإسراء: ٥٨.

المعنى الآخر: هو يوم القيامة العامة من الأموات لله رب العالمين. وقوله تعالى: ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾^(١). يبين أن المراد هو المعنى الأول؛ لأن الكتاب هو التوراة. والنصوص على الإهلال أو العذاب موجودة فيه. في سفر إشعياء وغيره، ولأن الإهلال أو العذاب قد حدث - أي منهما - في الفترة من نزول القرآن بهذه النبوة إلى ما قبل معركة هرمجنون في زمن عمر بن الخطاب ؓ. وهي نبوة عن غيب، ووقع هذا الغيب كما قال. والعلامة الوحيدة التي تعرف اليهود بنبوة محمد ﷺ، هي أن يخبر بغيب، ويقع الغيب كما يقول.

وهذا هو النص الدال على ذلك من سفر التثنية: يُقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوانك مثلي، له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع، قائلا: لا أعود أسمع صوت الرب إلهي، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا؛ لنلا أموت. قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا لقيم لهم نبيا من وسط إخوانهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيته به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا لأطالبه. وأما النبي الذي يطغي فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي، وأن قلت في قلبك كوف تعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب، فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي، فلا تخف منه^(٢).

وفي كتب التواريخ: أن فارس غلبت الروم، وأن الروم غلبت فارس، والحروب بلاء وعذاب، والحروب بينهما أضعفت قواهما، ومهلت على المسلمين فتح بلادهم في يوم الرب العظيم.

(١) الإسراء: ٥٨.

(٢) تث: ١٨: ١٥ - ٢٢.

ومن الأمم المعينة للإهلاك أو للعذاب:

تجد الأمم هي:

بابل، آشور، فلسطين، موآب، دمشق، وبنى إسرائيل، كوش بلاد الحبشة، مصر، أشدود، أدوم، أورشليم، صور. وبعد ذكر هذه الممالك، تكلم عن دينونة الله لهذه الأمم، أي عقابهم في يوم الرب على يد النبي الأمي الآتي وأتباعه. فقال:

ففي سفر إشعياء: "هو ذا الرب يخلي الأرض، ويفرغها، ويقلب وجهها، ويبدد سكانها، وكما يكون الشعب هكذا الكاهن كما العبد، هكذا سيده كما الأمة، هكذا سيدتها كما الشاري، هكذا البائع كما المقرض، هكذا المقرض وكما للدائن، هكذا المديون تفرغ الأرض أفراغاً، وتتهب نهباً، لأن الرب قد تكلم بهذا القول: ناحت ذبلت الأرض، حزنت ذبلت المسكونة، حزن مرتفعو شعب الأرض، والأرض تكتنست تحت سكانها لأنهم تعذوا الشرائع، غيروا القريضة، نكثوا العهد الأبدي، لذلك لحة لكنت الأرض، وعوقب الساكنون فيها لذلك احترق سكان الأرض وبقي ألسن قلائد، ~~تأخ الممطر ذبلت الكرمة~~ لأن كل مسروري القلوب بطل فرح الدفوف، انقطع ضجيج المبتهجين، بطل فرح العود، لا يشربون خمراً بالقضاء يكون المسكر مرا لشاربيه، نمرت قرية الخراب، أغلق كل بيت عن الدخول، صراخ على الخمر في الأزقة غرب كل فرح، انتفى سرور الأرض الباقي في المدينة خراب، وضرب الباب ربما إنه هكذا يكون في وسط الأرض بين الشعوب كنفاضة زيتونة، كالخصاصة إذا انتهى القطاف هم يرفعون أصواتهم، ويترنمون لأجل عظمة الرب، يصوتون من البحر، لذلك في المشارق مجدوا الرب في جزائر البحر، مجدوا اسم الرب إله إسرائيل، من أطراف الأرض سمعنا ترنيمة مجداً للبار فقلت: يا تلمي يا تلمي، ويسل لسي، الناهيون نهبوا الناهيون نهبوا عليك رعب وحفرة وفخ يا ساكن الأرض،

ويكون أن الهارب من صوت الرعب يسقط في الحفرة، والصاعد من وسط
 الحفرة يؤخذ بالفخ؛ لأن ميازيب من العلاء انفتحت، وأسس الأرض تزلزلت،
 انسحقت الأرض انسحاقاً، تشققت الأرض تشققات، تزعزعت الأرض تزعزعا،
 ترنعت الأرض ترنعا كالسكران، وتدللت كالعرزال، وثقل عليها ثوبها؛ فسقطت
 ولا تعود تقوم، ويكون في ذلك اليوم أن الرب يطالب جند العلاء في العلاء،
 وملوك الأرض على الأرض، ويجمعون جمعاً كاسارى في سجن، ويخلق عليهم
 في حبس، ثم بعد أيام كثيرة يتعهدون، ويخلج القمر، وتغزى الشمس؛ لأن رب
 الجنود قد ملك في جبل صهيون وفي اورشليم وقدام شيوخه مجد^(١).

وفي سفر ارمياء يضيف بني عمون ومدن سورية منها: حماة ودمشق.
 ويذكر عيلام.

وفي سفر حزقيال يضيف صيدون وياجوج وماجوج. ويقول: "إن حروب
 ياجوج وماجوج ستكون في آخر أيام بني اسرائيل في الملك والنبوة، وهي نفسها
 أول أيام بني إسماعيل في الملك والنبوة من محمد ﷺ".

ففي ترجمة دار المشرق لأول النص عن ياجوج وماجوج:

"وكان إلي كلام الرب قائلاً: يا بن آدم اجعل وجهك على جوج أرض
 ماجوج رئيس روش ماشك وتوبل، وتنبأ عليه، وقل هكذا قال السيد الرب. هاأنذا
 عليك يا جوج رئيس روش ماشك وتوبل، وأرجعك وأضع شكائم في فكيك،
 وأخرجك أنت وكل جيشك خيلاً وفرساناً، كلهم لابسين أفراس جماعية
 عظيمة مع أتراس ومجان، كلهم مهيئين السيوف فارس وكوش وفوط، معهم
 كلهم بمجن وخوذة وجومر وكل جيوشه وبيت توجرمة من أقاصي الشمال، مع
 كل جيشه شعباً كثيراً معك، استعد وهين لنفسك أنت وكل جماعتك المجتمعة
 إليك، فصرت لهم موقراً بعد أيام كثيرة تعتقد في السنين الأخيرة، تأتي إلي

(١) إيش: ٢٤.

الأرض المستردة من السيف المجموعة من شعوب كثيرة على جبال إسرائيل،
التي كانت دائماً خربة للذين أخرجوا من الشعوب، وسكنوا آمنين كلهم، وتصد
وتلتي كزوبعة، وتكون كمحابة تغطي الأرض أنت وكل جيوشك وشعوب
كثيرون معك".

ووصف المسيح عيسى عليه السلام معارك يوم الرب العظيم، بأنها ستكون
شديدة للوطاة على اليهود.

وقال للحواريين عن علامات كونية ستحدث قبل ظهور محمد ﷺ.
وقال عن يوم المعركة وساعتها: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلم
بهما أحد... إلخ".

وقد لغا اليهود في نبوءة الساعة هذه بقولهم: إنها ساعة يوم القيامة العامة
من الأموات.

وبثوا لغوهم في الكتب التفسيرية الإسلامية؛ حتى لا يظن المسلمون إلى
أنها نبوءة عن محمد ﷺ، وادعوا أن حروب المسلمين في فلسطين في زمن عمر
بن الخطاب رضي الله عنه كانت بين المسلمين والمسيحيين الروم، ولم تكن بين المسلمين
واليهود. وينقض دعواهم أن المسيحيين طائفة من اليهود، وقد كانوا شركاء
اليهود في هذه المعركة. وقد عبر الله عن أنهم شركائهم فيها بقوله: ﴿وَكَالُوا
بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (١).

وقد ذكر الله معركة الساعة هذه في أول سورة الروم فقال: ﴿الْم (١)
غَلَبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَذَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بَضْعِ
سِنِينَ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) يَنْصُرُهُمُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ
يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعَلَى اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ

(١) الروم: ١٣.

لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ
 (٧) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا
 بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨) أَوَلَمْ
 يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ
 قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا
 كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ
 آسَأَوْا السَّوْءَ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ (١٠) اللَّهُ يَبْدَأُ
 الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْسِئُ الْمُجْرِمُونَ
 (١٢) وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣)
 وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُ مَن يَنْظُرُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 فَهُمْ فِي رَوْحَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ
 فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ (١٦) فَتَبَحَّانَ اللَّهُ حِينَ لَمْ يَسْمَعُوا وَحِينَ
 لَمْ يَصْبِحُوا (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ
 (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخَيِّبُ الْأَرْضَ بِعَدَّتِ قَوْنِهَا
 وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩)

وهذا هو نص إنجيل لوقا عن معركة الساعة: وإذا كان قوم يقولون عسى
 الهيكل: إنه مزين بحجارة حسنة وتحف. قل: هذه التي ترونها مستاتي لاسام لا
 بترك فيها حجر على حجر لا ينقص. فسلوه قاتلين: يا معلم متى يكون هذا، وما
 هي العلامة عندما يصير هذا. فقال: انظروا لا تضلوا فإن كثيرين سيأتون
 باسمي قاتلين إني أنا هو، والزمن قد قرب فلا تذهبوا وراءهم، فإذا سمعتم

بحروب وقلل؛ فلا تجزعوا؛ لأنه لا بد لي يكون هذا أولاً، ولكن لا يكون
المنتهي سريعاً، ثم قال لهم: تقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكة، وتكون
زلازل عظيمة في أماكن ومجاعات وأوبئة، وتكون مخاوف وعلامات عظيمة
من السماء، وقبل هذا كله يلقون أيديهم عليكم، ويطردونكم ويسلمونكم إلى مجامع
وسجون، وتساءلون أمام ملوك وولاة لأجل اسمي، فيؤول ذلك لكم شهادة، فضعوا
في قلوبكم أن لا تهتموا من قبل لكي تحبوا لأني أنا أعطيتكم هذا وحكمة، لا
يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يباقيصوها، وسوف تسلمون من الوالدين
والأخوة والأقرباء والأصدقاء، ويقتلون منكم، وتكونون مبغضين من الجميع من
أجل اسمي، ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك بصيركم، لقتلوا أنفسكم، ومتى
رأيتم أورشليم محاطة بجيوش، فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها؛ حينئذ
ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال، والذين في وسطها فليهربوا خارجاً، والذين
في الكور، فلا يدخلوها؛ لأن هذه أيام انتقام، إنهم كل ما هو مكتوب، وويل
للحبال والمرضعات في تلك الأيام؛ لأنه يكون صيق عظيم على الأرض،
وسخط على هذا الشعب، ويقعون بقم السيف، ويسبون إلى جميع الأمم، وتكون
أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أرمنة الأمم، وتكون علامات في الشمس
والقمر والنجوم وعلى الأرض، كرب لهم بحيرة البحر والأمواج تضج، والناس
يخشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتي على المسكونة؛ لأن قوات السماوات
تزعزع، وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً في سحابة بقوة ومجد كثير، ومتى
ابتدأت هذه تكون، فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم؛ لأن نجاتكم تقرب. وقال لهم
مثلاً: انظروا إلى شجرة التين وكل الأشجار متى أفرخت تنظرون، وتعلمون من
أنفسكم أن الصيف قد قرب. هكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذه الأشياء صائرة،
فاعلموا أن ملكوت الله قريب. الحق أقول لكم إنه لا يمضي هذا الجيل حتى
يكون لكل السماء والأرض ترولان، ولكن كلامي لا يزول؛ فاحترزوا لأنفسكم؛

لئلا تنقل قلوبكم في خمار وسكر وعموم الحياة، فيصادفكم ذلك اليوم بعتة؛ لأنه كالنفخ يأتي على جميع الجالسين على وجه كل الأرض اسهروا إذا وتضرعوا في كل حين؛ لكي تحصيوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المرمع إن يكون وتقفوا قدلم ابن الإنسان»^(٩).

هذا كله هو ما نريد إيضاحه في هذا الكتاب ليظموا علماً يقيناً؛ أن الساعة هي ساعة المعركة الفاصلة بين المسلمين وبين اليهود، وأن هذه المعركة قد وقعت في زمن عمر بن الخطاب ؓ.

وسأذكر طرفاً مما في الكتب الإسلامية عن يأجوج ومأجوج لعلامة من علامات الساعة بمعنى يوم القيامة؛ ليميز الناس بين الحق والباطل، وليظهروا للكتب التفسيرية الإسلامية من الإسرائيليات.

والله أعلم أن يوفقنا لحمة العلم والدين.

١٤٢٥/١١/٢٠ هـ

٢٠٠٥/١/١ م

د: أحمد حجازي السقا

ميت طريف - القاهرة

(٩) لوقا: ٢١: ٥ - ٣٦.



مرکز تحقیقات کتاب و اسناد مجلس شورای اسلامی

الفصل الأول

في

بأجوج ومأجوج في الكتب الطويلة وبعض كتب التفسير

الأحاديث الواردة في بأجوج ومأجوج

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لِيُحْجَنَ الْبَيْتُ وَلِيُعْتَمَرَنَ

بعد خروج بأجوج ومأجوج" ^(١٠).

الشرح:

قال الحافظ ابن حجر: قوله: "لِيُحْجَنَ". قوله: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يَحْجَ

الْبَيْتَ". يظهر والله أعلم أن المراد بقوله "لِيُحْجَنَ الْبَيْتَ" أي مكان البيت.

٢- عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فرغاً

يقول: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ، فَتَحَ الْيَوْمَ مِنْ رِجَمِ بِأَجُوجَ

وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ". وخلق بإصبعه الإلهام وَالنَّارَ ثَلَاثًا. قالت زينب بنت جحش:

فقلت: يا رسول الله أأنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث" ^(١١).

الشرح:

قوله: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا فَرِغًا". في رواية ابن عريينة "استيقظ

النبي ﷺ مِنَ النَّوْمِ مُحَمَّرًا وَجْهَهُ". يقول: "فِيَجْمَعُ عَلَى أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهَا بَعْدَ أَنْ

اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ فَرِغًا، وَكَانَتْ حَمْرَةً وَجْهَهُ مِنْ ذَلِكَ الْفَرَعِ.

قوله: "وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ" خص العرب بذلك؛ لأنهم كانوا

حينئذٍ معظم من أسلم، والمراد بالشر ما وقع بعده من قتل عثمان، ثم توالى الفتن

حتى صارت العرب بين الأمم كالقصة بين الأكلة كما وقع في الحديث الآخر

(١٠) صحيح البخاري، حديث رقم ١٤٩٠.

(١١) صحيح البخاري، حديث رقم ٣٠٩٧، ٣٠٩٨.

"يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها" وأن المخاطب بذلك العرب.

قال القرطبي: ويحتمل أن يكون المراد بالشر ما أشار إليه في حديث أم سلمة "ماذا أنزل الليلة من الفتن وماذا أنزل من الخزائن" فأشار بذلك إلى الفتوح التي فتحت بعده فكثر الأموال في أيديهم فوقع التنافس الذي جر الفتن، وكذلك التنافس على الإمرة، فإن معظم ما أنكروه على عثمان تولية أقربيه من بني أمية وغيرهم حتى ألحى ذلك أن قتله، وترتب على قتله من القتل بين المسلمين ما لشتهر واستمر.

قوله: "فتح اليوم من ردم بأجوج ومأجوج". المراد بالردم السد الذي سداه ذو القرنين، وقد قدمت صفة في ترجمته من أحاديث الأنبياء.

قوله: "مثل هذه وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها". أي جعلهما مثل الحلقة.

قال ابن العربي: في الإشارة المنكورة دلالة على أنه ﷺ كان يعلم عقد الحساب حتى أشار بذلك لمن يعرفه، وليس في ذلك ما يعارض قوله في الحديث الآخر: "أما أمة لا تحسب ولا تكتب". فلي هذا إنما جاء ليبين صورة معينة خاصة.

قلت: والأولى أن يقال: المراد بنفي الحساب ما يتعامله أهل صناعته من الجمع والنفقة والضرب ونحو ذلك، ومن ثم قال: "ولا نكتب". وأما عقد الحساب فإنه اصطلاح للعرب تواضعوه بينهم ليستغنوا به عن التفاضل وكان أكثر استعمالهم له عند المساومة في البيع فيضع أحدهما يده في يد الآخر؛ فيفهمان المراد من غير تلفظ لقصد ستر ذلك عن غيرهما ممن يحضرهما، فشيء ﷺ قدر ما فتح من السد بصفة معروفة عندهم.

وقد جاء في خبر مرفوع "إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم" وهو فيما أخرجه للترمذي وحسنه وابن حبان والحاكم وصحاحه من طريق قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة رفعه في السد يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدا، فيعيد الله كائنه ما كان، حتى إذا بلغ منهم ولاد الله أن يبعثهم قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدا إن شاء الله. واستثنى، قال فيرجعون فيخطونه كهيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس الحديث.

قال ابن العربي: في هذا الحديث ثلاث آيات:

الأولى: أن الله منعهم أن يوقلوا فحفر نبلاً ونهاراً.

الثانية: منعهم أن يحاولوا الرقي على السد بسلح أو آلة فلم يلهمهم ذلك ولا علمهم إياه، ويحتمل أن تكون لرضهم لا خشب فيها ولا آلات تصلح لذلك.

قلت: وهو مردود، فإن في خبرهم عنكم وجب في المبدأ أن لهم لشجاراً وزروعاً وغير ذلك من الآلات فالأول أولى.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مزيه من طريق ابن عمرو بن لؤس عن جده رفعه "إن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون ما شاعوا وشجر يلقحون ما شاعوا" الحديث.

الثالثة: أنه منعه عن أن يقولوا إن شاء الله حتى يجيء الوقت المحدود.

قلت: وفيه أن فيهم أهل صناعة وأهل ولاية وسلطة ورعية تطوع من فوقها، وأن فيهم من يعرف الله ويقر بقرنه ومشيتته، ويحتمل أن تكون تلك الكلمة تجري على لسان ذلك الولي من غير أن يعرف معناها فيحصل المقصود ببركتها.

وقد أخرج عبد بن حميد عن طريق كعب الأحبار نحو حديث أبي هريرة
وقال فيه: "إِذَا بَلَغَ الْأَمْرُ لِقَى عَلَى بَعْضِ أَسْتِهِمْ نَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ غَدًا فَنُفْرَغُ
مِنْهُ".

قوله: "قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ". ويعين أن اللفظ بهذا السؤال هي زينب
بنت جحش رابوة الحديث.

قوله: "أَتَهْلِكُ" هي رابوة يزيد بن الأصم عن ميمونة عن زينب بنت جحش
في نحو هذا الحديث "فَرَجَ اللَّيْلَةَ مِنْ رِجَمِ بَأْجُوجٍ وَمَأْجُوجٍ فَهَرَجَةً، قُلْتُ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ أَلَيْعَذِّبُنَا اللَّهُ وَهَذَا الصَّالِحُونَ؟".

قوله: "وَفِيهَا الصَّالِحُونَ". كأنها أحبت ذلك من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾^(١٢).

قوله: "قَالَ: نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ". ~~مُسْرُومٌ بِالزَّنَا وَيُلْوِلَادُ الزَّنَا، وَبِالْفُسُوقِ~~
والفجور، وهو أولى، لأنه قابله بالصِّلاح.

قال ابن العربي: فيه البيان بأن الخير يهلك بهلك الشرير إذا لم يعير عليه
خبثه، وكذلك إذا عير عليه، لكن حيث لا يجدي ذلك، ويصر للشرير على عمله
السيء، ويفشو ذلك ويكثر حتى يعم الفساد، فيهلك حينئذ القليل والكثير، ثم يحضر
كل أحد على نيته. وكأنها فهمت من فتح القدر المذكور من الردم أن الأمر إلى
تصادي على ذلك، اتسع الخرق بحيث يخرجون، وكان عندها علم أن في خروجهم
على الناس إهلاكاً عاماً لهم.

وقد ورد في حالهم عند خروجهم ما أخرجه مسلم من حديث النّوَّاسِ ابْنِ
سَمْعَانَ بعد ذكر الدجال وقَّله على يد عيسى قل: ثُمَّ يَأْتِيهِ قَوْمٌ لَا عَصَمَ لَهُمُ اللَّهُ
مِنَ الدَّجَالِ، فَيَمْسَحُ وُجُوهَهُمْ، وَيَحْشُرُهُمْ بَدْرَجَتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ

(١٢) الأنفال: ٣٣.

لوحى الله إلى عيسى أنه قد أخرجت عبادا لي، لا يدان لأحد بقتالهم، فحضر عبادي إلى الطور، ويبعث الله بأجوج ومأجوج، فيمر لوفئهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر عيسى نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار، فيرغب عيسى نبي الله وأصحابه إلى الله، فيرسل عليهم النخف - بفتح النون والسين المعجمة ثم فاء - في رقابهم فيصبحون فرسى - بفتح الفاء وسكون الراء بعدها مهملة مقصور - كموت نفس واحدة؛ ثم يهبط عيسى نبي الله وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونقتهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل طورا كأعلاق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزعة، ثم يقال للأرض أنتي ثمرتك وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون تحتها، فيبدا هم كذلك؛ إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت أباطهم فتقبض روح كل مؤمن ومسلم، فيبقى شرار الناس يتهاجرون تهاجر الحمر، فعليهم تقوم الساعة".

وفي رواية لمسلم أيضا فيقولون لقد قتلنا من في الأرض، فلم لننقل من في السماء، فيرمون بنسائهم إلى السماء فيردها الله عليهم مخصوبة دما. وأخرج الحاكم من طريق أبي حازم عن أبي هريرة نحوه في قصة أجوج ومأجوج وسنده صحيح، وعند عبد بن حميد من حديث عبد الله بن عمرو قالا يمرون بشيء إلا أهلكوه.

ومن حديث أبي سعيد رفته بفتح بأجوج ومأجوج فيمرون الأرض، وتتحارز منهم المسلمون فيظهرون على أهل الأرض، فيقول قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم فيز آخر حربته إلى السماء فترجع مخصبة بالدم،

فيقولون قد قتلنا أهل السماء، هينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم دواب كنغف الجراد فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد يركب بعضهم بعضاً".

٣- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك. فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين. فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد". قالوا: يا رسول الله، وأبنا ذلك الواحد؟ قال: "أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً". ثم قال: "والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة". فكبرنا فقال: "أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة". فكبرنا فقال: "أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة". فكبرنا فقال: "ما أقيم في الناس إلا كالشجرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشجرة بيضاء في جلد ثور أسود"^(١٣).
الشرح:

قوله: يقول الله. كذا وقع للكثير غير مرهوع وبه جزم أبو نعيم في المستخرج.

قوله: فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك. في الاختصار على الخير نوع تعطيف ورعاية للأدب، وإلا فلشر أيضاً بتقدير الله كالخير.
قوله: أخرج بعث النار. والبعث بمعنى المبعوث، وأصلها في العرب التي يبعثها الأمير إلى جهة من الجهات للحرب وغيرها، ومعناها هنا ميز أهل النار من غيرهم، وإنما خص بذلك آدم لكونه والد الجميع، ولكونه كان قد عرف أهل السعادة من أهل الشقاء. فقد رآه النبي ﷺ ليلة الإسراء وعن يمينه أسودة وعن شماله أسودة الحديث.

(١٣) صحيح البخاري: حديث رقم: ٢٠٩٩.

قوله: "قال وما بعث النار"، الأول عاطفة على شيء محذوف تقديره "سمعت وأطعت" وما بعث النار أي وما مقدار مبعوث النار.

قوله: "من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين" يدل على أن نصيب أهل الجنة من كل ألف واحد.

قوله: "تذاك حين يشيب الصغير وتضع"، ظاهره أن ذلك يقع في الموقف، وقد استشكل بأن ذلك الوقت لا حمل فيه ولا وضع ولا شيب، ومن ثم قال بعض المفسرين: إن ذلك قبل يوم القيامة.

قوله: "فاشد ذلك عليهم" هي حديث ابن عباس "فشق ذلك على القوم ووقعت عليهم الكآبة والحزن".

قوله: "ولينا ذلك الرجل".

قال الطيبي: يحتمل أن يكون الاستفهام على حقيقته، فكان حق الجواب أن ذلك الواحد فلاز أو من يتصف بالصفة الفلانية، ويحتمل أن يكون استعظاماً لذلك الأمر، واستشعاراً للحواف منه؛ فلذلك وقع الجواب بقوله: "أبشروا".

قوله: "فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً ومنكم رجل"، ظاهره زيادة واحد عما ذكر من تفصيل الألف، فيحتمل أن يكون من جبر الكسر، والمراد أن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين أو ألفاً إلا واحداً، ولما قوله: "ومنكم رجل"، تقديره والمخرج منكم أو ومنكم رجل مخرج، ووقع في بعض الشروح أن لبعض الرواة "فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً" بالنصب فيهما على المفعول بإخراج المذكور في أول الحديث؛ أي فإنه يخرج كذا، وروى بالرفع على خبر إن واسمها مضمرة قبل المجرور، أي فإن المخرج منكم رجل.

قلت: والنصب أيضاً على اسم إن صريحا في الأول، وبتقدير في الثاني، وهو أولى من الذي قاله فإن فيه تكلفاً.

قوله: ثم قال والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة".
والقصة التي في حديث أبي سعيد وقعت وهو ﷺ سائر على راحلته، ووقع في
رواية ابن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس "بينما رسول الله ﷺ في مسيره
في غرة بني المصطلق".

ثم قوله: "إني لأطمع... إلخ". وقع بعد أن نزل وقعد بالقبعة، وأما زيادة
الرابع قبل الثالث فحفظها أبو سعيد وبعضهم لم يحفظه الرابع.

٤- عن حذيفة بن أسيد العفاري قال: أطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر
لقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها
عشر آيات. فنكر الدخان، والدجال، والذبية، وطلوع الشمس من مغربها، وبرول
عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأحور وماجور، وثلاثة خسوف خسف بالشرق
وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد
الناس إلى مضمرهم^(١٤).



الشرح:

قوله: ﷺ في أشراط الساعة... لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فنذكر
الدخان والدجال". هذا الحديث يؤيد قول من قال إن الدخان دخان يأخذ بأنفاس
الكفار، ويأخذ المؤمن منه كهينة للزكام، وأنه لم يأت بعد، وإنما يكون قريباً من
قيام الساعة، وقد سبق في كتاب بدء الحلق قول من قال هذا، وإنكار ابن مسعود
عليه، وأنه قال: إنما هو عبارة عما نال قريشاً من القحط حتى كانوا يرون بينهم
وبين السماء كهينة الدخان. وقد وفق ابن مسعود جماعة، وقال بالقول الآخر
حذيفة وابن عمر والحصن، ورواه حذيفة عن النبي ﷺ، وأنه يمكث في الأرض
لربعين يوماً، ويحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار.

(١٤) صحيح مسلم: حديث رقم ٥١٦٢، ٥١٦٣.

- ٥- عن عمرو بن العاص قال: "إن يأجوج ومأجوج ذرء جهنم، ليس فيهم صديق، وهم على ثلاثة أصناف: على طول الشبر، وعلى طول الشبرين، وثالث منهم طوله وعرضه سواء، وهم من ولد يافث بن نوح ^(١٥)".
- ٦- روى عن عطية بن حسان أنه قال: "يأجوج ومأجوج أمتان، في كل أمة أربعمئة ألف، ليس منهما أمة تشبه بعضها بعضاً".
- ٧- روى عن الأوزاعي أنه قال: "الأرض سبعة أجزاء، فستة أجزاء منها يأجوج ومأجوج، وجزء فيه سائر الخلق".
- ٨- روى عن قتادة أنه قال: "الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ - يعني: الجزء الذي فيه سائر الخلق غير يأجوج - فاثنا عشر للهند والهند، وثمانية آلاف للصين، وثلاثة آلاف للروم، وألف فرسخ للعرب".
- ٩- ذكر علي بن محمد عن ثعلب عن شعبة عن أرطاة بن المنذر قال: ".....يأجوج ومأجوج ذرء في جهنم، وهم على ثلاثة ألقاب: ثلث على طول الأرض ^(١٦) وثلث مربع طوله وعرضه واحد وهم أشد، وثلث يعترش إحدى لحيته ويلتحف بالأخرى، وهم من ولد يافث بن نوح".
- ١٠- ومما أخرجه ابن عدي، وابن أبي حاتم، والطبراني في "الأوسط"، وابن مردويه من حديث حنيفة قال: "يأجوج ومأجوج أمة أربعمئة ألف، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف نكر من صلبه، كلهم قد حمل السلاح".
- ١١- وأخرج ابن حبان من حديث ابن مسعود رفعه: "إن يأجوج ومأجوج يجامعون ما شاموا، ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً".

(١٥) الأرض: شجرة الأرز المعروف، وهو شجر صنوبر.

١٢- عن كعب الأحبار قال: "خلق الله يأجوج ومأجوج على ثلاثة أصناف: صنف أجسامهم كالأرز، وصنف أربعة أزرع طولاً وأربعة أزرع عرضاً، وصنف يعترشون أذانهم ويلتحفون بالأخرى، فيأكلون مشائم^(١٦) نساءهم".

وقد علق ابن كثير على هذه الأحاديث بقوله: "ومن زعم أن يأجوج ومأجوج على أشكال مختلفة وأطوال متباينة جداً، فمنهم من هو كالنحلة، ومنهم من هو غاية في القصر، منهم من يعترش أذناً من أذنيه ويتغطى بالأخرى، فكل هذه أقوال بلا دليل ورجم بالعرب بغير برهان، والصحيح أنهم من بني آدم وعلى أشكالهم وصفاتهم. وما قيل من أن أحدهم لا يموت حتى يرى من دريته ألفاً فصاعداً، فهي أحاديث غريبة جداً وأسيدها ضعيفة، وهربها نكارة شديدة^(١٧)".

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: "لم يثبت في قدر أعمارهم شيء". وأقرت لجنة العلماء الأزهرية التي وصفت "التفسير الوسيط" للقرآن الكريم، الصادرة عن مجمع البحوث الإسلامية، دخول الكثير من الخرافات على قصة يأجوج ومأجوج، وذلك عند تفسيرها لسورة الكهف بقولها: "يأجوج ومأجوج هما قبيلتان من البشر، وقد أحيطت قصتهم ببعض الخرافات...".

مما سبق يتضح أن هناك إجماعاً على أن يأجوج ومأجوج من أولاد آدم وحواء معاً، وينسبون إلى يافث بن نوح في الغالب، وأنهم كانوا بشراً مثل سائر البشر يأكلون ويشربون ما يأكله ويشربه البشر، ولهم نفس صفات وطبائع وأشكال البشر، ولكنهم أشد منهم قوة وطغياناً وشروراً ومفاسد. كما أنهم ليس فيهم من يشبه الحيوانات أو الوحوش، أو يعمر آلاف السنين، مثلما أشيع في الأحاديث والروايات والأساطير الخرافية المروية عنهم. اهـ.

(١٦) المشائم: جمع مشيمة، وهي الغشاء الذي يحيط بالجنين، ويخرج عند الولادة.

(١٧) البدلية والنهلية لابن كثير ج ٢، فصل يأجوج ومأجوج.

هم سد يأجوج ومأجوج وخروج النمل والمغول من وراءه علامة من العلامات للصغرى للساعة:

للساعة أمارات وعلامات صغرى وكبرى، والعلامات للصغرى للساعة تزيد عن المائة علامة، ذكرها النبي ﷺ في أحاديث متعددة، ومعظم هذه العلامات قد تحقق حتى الآن، وفيما يلي لبدة مختصرة عن هذه العلامات، وما تحقق منها، وما سيحقق بمشيئة الله:

١- موت النبي ﷺ:

قال ﷺ: "بعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار بالسبابة والوسطى" (١٨).
أي: لن النبي ﷺ أشار في هذا الحديث إلى أن الساعة ستكون قريبة جداً من بعثته، وأنه أولى العلامات للصغرى للساعة. ويؤكد هذا قوله ﷺ في حديث آخر: "أعددت بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كتعاصم القدم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساحطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا يخلقه، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فهاونكم تحت ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفاً" (١٩).

٢- كثرة الفتن:

قال ﷺ: "إنها ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي" (٢٠).

وقال ﷺ: "يكون بين يدي الساعة فتن كتقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا" (٢١).

(١٨) رواه البخاري.

(١٩) رواه البخاري.

(٢٠) رواه مسلم.

وما أكثر الفتن التي تحيط بنا الآن من كل جانب: فتن في الشارع، وفتن في البيت، وفتن في العمل، وفتن بين الشعوب، وبين الإخوة، وفتن في الزوج والزوجة، والأب وأولاده، وفتن للرأسمالية والعلمانية والشيوعية، وفتن الحضارة والتطور التكنولوجي، وفتنة حب جمع المال بأي طريقة ووسيلة، حتى ولو كان بالتجارة غير المشروعة أو ببيع أعضاء من جسم الإنسان... إلخ. وجميعها فتن جعلت كثيرًا من الناس يصبحون وهم يظنون أنهم مؤمنون، وجميع أعمالهم لا تدل إلا على الكفر من كثرة ما يحيط بهم من الفتن.

٣- كثرة الزلازل:

قال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى... وتكثر الزلازل..."^(٢١).

٤- كثرة الشح عند الناس، وتباعد الأهواء والشهوات، وتغصب كل شخص لرأيه حتى ولو كان باطلاً:

قال ﷺ: "إذا رأيت هوى متبعًا، وشحًا مطاعًا، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فانتظر الساعة".

٥- ذهاب العلم الديني وظهور الجهل (بعودة العادات الجاهلية الأولى، ككثرة القتل، والمتاجرة بالنساء، واتخاذ الأرقاء والعبيد، وزواج المتعة والنواط والسحاق... إلخ) وانتشار الزنا وشرب الخمر وقلة الرجال وكثرة النساء (بسبب كثرة الحروب التي تقضي على أعداد كبيرة من الرجال، وترمل النساء):

قال رسول الله ﷺ: "إن من شروط الساعة أن يقل العلم، ويظهر الجهل، والزنا، وشرب الخمر، وتقل الرجال، وتكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد"^(٢٢).

(٢١) رواء الترمذي وقال: حسن صحيح.

(٢٢) رواء البخاري.

٦- تولى الأحقق والتتيم والاحتهازي المنطق للمنصب العليا، أو توليتها للرجل قليل الخبرة، أو لمن لا يستحقها بسبب المصوبيات والمجاملات والوساطة:

قال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالنديا لكع بن لكع" (٢٤) - (٢٥).

وسأل أعرابي رسول الله ﷺ: متى الساعة؟ فقال: "إذا صيحت الأمانة، فانتظر الساعة".

قال الأعرابي: يا رسول الله، وكيف إضاعتها؟ فقال: "إذا وسد الأمر إلى غير أهله" (٢٦).

٧- اضطهاد الصالحين، وعدم تمسك الناس بدينهم:

قال ﷺ: "يأتي على الناس زمان، الصابر على دله كالقايض على الجمر" (٢٧).

وقال ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى يذهب الصالحون الأول فالأول، وتبقى حثالة، كحثة الشمر أو التمر" (٢٨).

٨- انتشار اللواط بين الرجال، والسحاق بين النساء:

قال ﷺ: "من أشراط الساعة.. وأن يكتفي الرجال بالرجال، والنساء بالنساء..". (٢٩).

(٢٣) رواه البخاري ومسلم.

(٢٤) لكع: التتيم الأحقق.

(٢٥) رواه أحمد والترمذي.

(٢٦) رواه البخاري.

(٢٧) رواه الترمذي.

(٢٨) رواه أحمد والبخاري.

ولعل ما يدعو إليه مؤتمر السكان ومؤتمر المرأة، اللذان انعقدتا تحت إشراف الأمم المتحدة من تحليل زواج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة، هو أكبر دليل على انتشار اللواط والسحاق، ومحاولات إضفاء الشرعية على هذه العلاقة المحرمة، خاصة في المجتمعات العربية.

٩- أن يصير الحفاة العراة رعاة للشاة منوك الأرض وأصحاب المباني للشاهقة والقصور الفخمة:

قال ﷺ: "إذا رأيت الحفاة العراة تعالة رعاة للشاة يتطالون في البنيان، فانتظر الساعة" (٢٠).

وفي رواية أخرى: "... وترى الحفاة العراة صاروا ملوكاً..." (٢١).

١٠- ظهور المباني العالية الفخمة (الأبراج):

قال ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى... وحتى يتطاول الناس في البنيان..." (٢٢).

١١- كثرة القتل بين الناس والأمم والشعوب والجماعات:

قال ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى... ويكثر الهرج وهو القتل..." (٢٣).

١٢- كثرة المطربين، والمطربات، والرقاصين، والرقاصات، وانتشار

أنواع الغناء واللهو:

قال ﷺ: "من أشراط الساعة... وتظهر المعازف والكبور..." (٢٤).

(٢٩) رواد الطبراني.

(٣٠) رواد البخاري ومسلم.

(٣١) رواد أبو نعيم في الحلية.

(٣٢) رواد البخاري.

(٣٣) رواد البخاري.

(٣٤) رواد البيهقي.

١٣- إضاعة الصلاة، وقلة الزكاة، وتصديق الخائن، وتكذيب الصديق، وإذلال المؤمن، وظهور الأمراء الفسقة، والوزراء الفجرة، وحج الناس للكعبة من أجل اللهو والرياء والتفخر، وكساد التجارة في الأسواق.... إلخ:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: حَجَّ النبي ﷺ حجة الوداع، ثم أخذ بحلقة الكعبة، فقال: أيها الناس ألا أخبركم بأشراط الساعة؟ فقام إليه سلمان فقال: أخبرنا، فذلك أبي وأمي يا رسول الله. فقال: من أشراط الساعة: إضاعة الصلاة، والميل مع الهوى وتعظيم رب المال.

فقال سلمان: ويكون هذا يا رسول الله؟ قال: نعم، والذي نفس محمد بيده، فعند ذلك يا سلمان تكون الزكاة مفرماً، والفيء مضمناً، ويصدق الكاذب، ويكذب الصديق، ويؤتمن الخائن، ويخون الأمين، ويتكلم الرويبضة.

قلوا: وما الرويبضة؟ قال: يتكلم في الناس من لم يكن يتكلم، وينكر الحق تسعة أشهرهم، ويذهب الإسلام فلا يبقى إلا رسمه، وتُطلى المصالحف بالذهب، ويتسمن ذكور أمي، وتكون المشورة للإماء، ويخطب على المنابر الصبيان، ويكون المخاطبة للنساء، فعند ذلك ترخرف المساجد، كما ترخرف الكنائس، وتطول المنابر، وتكثر الصفوف مع قلوب متباغضة، وألسن مختلفة وأهواء جمّة.

قال سلمان: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، والذي نفس محمد بيده عند ذلك يا سلمان يكون المؤمن فيهم أقل من الأمة، ينوب قلبه في جوفه، كما ينوب الملح في الماء، مما يرى من المنكر، فلا يستطيع أن يغيره، ويكتفي الرجل بالرجال، والنساء بالنساء، ويغار على الغلمان كما يغار على الجارية للبكر، فعند ذلك يا سلمان تكون أمراء فسقة، ووزراء فجرة، وأنساء خونة، يضيعون الصلاة، ويتبعون الشهوات، فإن أركتموهم فصلوا صلاتكم لوقتها، عند ذلك يا سلمان يهجر سبي من المشرق، وسبي من المغرب، جثاؤهم جثاء

الناس، وكلوبهم قلوب الشياطين، لا يرحمون صغيراً ولا يوقرون كبيراً. عند ذلك يا سلمان يحج الناس إلى هذا البيت الحرام، ويحج ملوكهم لهواً وتسرّها، وأغنيائهم للتجارة، ومملكتهم للمسلّة، وقراؤهم رياء وسمعة.

قال: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده عند ذلك يا سلمان يفسد الكذب، ويظهر الكوكب نو الذنب، وتشارك المرأة زوجها في التجارة، وتتقارب الأسواق.

قال: وما تقاربها؟ قال: كسدها وقلة أرباحها. عند ذلك يا سلمان يبعث الله ريحاً فيها حيات صفراء فتلتقط رؤوس الطعام لما رأوا المنكر فلم يغيروه. قال: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، والذي بعث محمداً بالحق.

١٤- كثرة عسكر الشرطة، وفساد حالهم:

قال رسول الله ﷺ: "من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة..... وكثرت الشرطة - عسكر السلطنة -....." (٣٥).

١٥- ظهور الأئمة المضلّين - وما أكثرهم في هذه الأيام -:

قال رسول الله ﷺ: "إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلّين، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع إلى يوم القيامة" (٣٦).

١٦- اثنتان وسبعون علامة:

عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: "من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة: إذا رأيت الناس أمتوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، وأكسوا الربا، واستحلوا الكذب، واستخفوا بالبناء، واستطوا بالبناء، وباعوا الدين بالدنيا، وتقطعت الأرحام، ويكون اللحم ضغفاً، والكذب صدقاً، والحرير لباساً، ويظهر الجور، وكثر الطلاق، وموت الفجأة، ولتكن الخائن، وخون الأمين،

(٣٥) رواه أبو نعيم في الحلية.

(٣٦) رواه أبو داود وابن ماجه.

وصدق الكاذب، وكذب الصالح، وكثر القذف. وكان المطر قيظًا، والولد غيظًا، وقاض^(٣٧) اللئام فيضًا، وغاض^(٣٨) الكرام غيضًا، وكان الأمراء فجرة، والوزراء كذبة، والأمناء خونة، والعرفاء ظلمة، والفقراء فسقة، إذا لبسوا مسوك الضان قلوبهم لفتن من الجيفة، وأمر من الصبر، يفتسيهم الله فتنة يهلكون^(٣٩) فيها تهلك اليهود للظلمة، وتظهر الصفراء - يعنى: الدنكير -، وتطلب البيضاء - يعنى: الفضة -، ويكثر الخطباء، ويقل الأمر بالمعروف، وحليت المصالحف، وصورت المساجد، وطولت المنابر، وخربت القلوب، وشربت الخمر، وعطلت الحدود^(٤٠). وولدت الأمة ربتها، وترى الحفاة العراة قد صاروا ملوكًا. وشاركت المرأة زوجها في التجارة، وتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، وحلف بغير الله، وشهد المرء من غير أن يستشهد، وسلم للمعرفة، ونطقه لغير دين الله، وطلب الدنيا بعمل الآخرة، واتخذ المفتن دولًا، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وكان زعيم القوم أرتلهم، وعق الرجل أباه وجفا لأمه، وبر صديقه، وأطاع امرأته، وعلت أصوات الفسقة في المساجد، واتخذت القينات والمعازف، وشربت الخمر في العرق، واتخذ الظلم فخرا، وبيع الحكم، وكثرت الشرط - عسكر السطلة -، واتخذ القرآن مزمارًا، وجلود السباع صلفًا، ولعن آخر هذه الأمة أوليها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء، وحسفاً، ومصفاً، وقنفاً، وآيات^(٤١).

(٣٧) غاض: كثر.

(٣٨) غاض: قل.

(٣٩) يهلكون فيها: يقعون فيها بلا مبالاة.

(٤٠) عطلت الحدود: أي عطل العمل بالشرعية الإسلامية في الحدود.

(٤١) رواء أبو نعيم في الحلية.

قال رسول الله ﷺ: "من اقتراب الساعة: إذا رأيتم الناس أضاعوا الصلاة... ونقصت المشهور... ونقضت المواثيق... وصارت الإمارات مواريت - صر الحكم بالوراثة -... وصعبت الجهل المنابر... وصارت أموالكم عند شراركم... ولعنتم بالميسر... وظففت المكاييل والموازين... ووليت أموركم السفهاء". رواه أبو الشيخ، وعويص، والديملي، كلهم عن علي عليه السلام^(١٢).

ولنقلن الآن بعض ما ورد بالحديث من صفات بحال المسلمين في هذه الأيام؛ حتى يتم النفع بالحديث:

قوله ﷺ: "أضاعوا الصلاة".

أي: تركوها أو أخلوا بشيء من أركانها وواجباتها، وقليل من المسلمين الآن من يؤدي الصلاة أو يحافظ عليها في مواقيتها.

قوله ﷺ: "أضاعوا الأمانة".

أي: فرطوا في الودائع والأمور، ولأدام الأعمال التي يؤتمنون على القيام بها... إلخ. واليوم كثيراً ما نقرأ ونسمع عن شركات نهبت أموال المودعين، وقادة عسكريين أو مدنيين يفتنون لسيارتهم بلادهم إلى عدوهم مقابل المال، ورؤساء شركات وبنوك يستغلون مواقعهم وسلطانهم في الاستيلاء على أموال الناس بطرق غير مشروعة، وموظفين يهملون في أداء أعمالهم وواجباتهم المكلفين بها، فكل هذه الصور وغيرها أنماط من التفريط في الأمانات.

"وشيدوا للبناء". أي: طولوه ببناء الأبراج والمباني المشاهقة، وما أكثرها.

"واتبعوا الهوى". أي: ما تهواه أنفسهم من العقائد الفاسدة والآراء الباطلة المخالفة للدين والأخلاق.

"ولكلوا قريبا": من طريق منح القروض لأجل بفائدة.

(١٢) نقل عن "الإشاعة لأشراف الساعة": قيرتزنجي من ١٣٧، ١٣٨.

”وكثر الطلاق“ أو تهاونوا بالطلاق“ في حديث علي. أي: يحلفون بالطلاق كثيراً ولا يباليون بوقوعه.

”موت الفجأة“. مثل: ما يحدث من موت فجائي بالسكتة القلبية، أو جلطة الدم، أو حادث قطار، أو سيارة، أو طائرة.... إلخ.

”وكثر القذف“: وهو السب والتلاعن بين الناس.

”قاض اللئام فيصنا وغاض الكرام عيصنا“. أي: كثر اللئام وقل الكرام.

”والوالد غيظاً“. أي: غيظاً لوالديه؛ بسبب عقه لهما، وبسبب غلاء المعيشة الذي أدى إلى ارتفاع تكاليف الزواج؛ مما يتقل كاهل والديه لمساعدته في بناء بيت وأسرّة.

”وعطلت الحدود“. أي: أوقف العمل بحدود الله؛ كحد السارق، والرائي، والقاذف.

”وولدت الأمة ربّتها“: وهذا كان يحدث في الماضي عندما كان الأمراء والملوك والأغنياء يتخذون إماء بجامعونهم ويعلن لهم، ويصمّح للمولود أو المولودة سيّدة للأمة التي هي في الحقيقة أمّها.

ويحدث في هذه الأيام عن طريق أطفال الأنايب، ففي الدول الأوربية يحدث أن بعض الأغنياء المصانين بالعقم ويرغبون في الإنجاب، يأخذون منهم وبويصة الخادمة، ويضعونها في أنبوبة داخل رحم الخادمة مدة تسعة أشهر، وبعد الولادة ينسب الطفل إلى الزوجين مقابل مبلغ من المال للخادمة، وبعد ذلك يصبح الطفل (أو الطفلة) سيّداً (أو سيّدة) للخادمة، وهي في الحقيقة لهما.

”وشاركت المرأة زوجها في التجارة“. أي: زاحمته في ميادين العمل أو تصبح شريكاً له في تجارته، إما بسبب إصرارها على منافسته والمساواة به، أو بسبب احتياج الزوج لتعاونها معه للمشاركة في نفقات المنزل؛ بسبب الغلاء الفاحش للأسعار.

"وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال". أي: يرتدي الرجال زيًا مثل ري النساء، أو يتصرفون مثلهن أو يتطبعون بطبائعهن وصفاتهن، أو العكس.

"وبيع الحكم". أي: دفعت الرشاوى والهيئات والعطايا للحصول عليه، كما يحدث من بعض الأعضاء الذين يدفعون للناس مقابل ترشيحهم لعضوية البرلمان، أو أحد المجالس أو لشغل المناصب المهمة.

"وصارت الإمارات موريت". أي: أصبح كل حاكم يولي ابنه من بعده، ولا يترك للناس اختيار حاكمهم بالانتخاب، ليختاروا الحاكم الأكثر علمًا ورشدًا وورعًا وتقوى ونزاهة، وكان بنو أمية هم أول من فعل ذلك في المسلمين، ثم سار على منوالهم كثير من حكام المسلمين.

١٧- من العلامات الصغرى للتساعة أيضًا: هدم سد يأجوج ومأجوج، وخروجهم من ورثته، وغزوهم للبلاد الإسلامية عندما يكثر فيها الخبث. وقد سمي رسول الله ﷺ هؤلاء القوم في بعض أحاديثه يأجوج ومأجوج. وفي البعض الآخر سماهم باسم "الترك". وفي بعضها "حورًا وكرمان من الأعاجم"، ولكن وصفه لعلامتهم جميعهم كان واحدًا.

عن زينب بنت جحش أنها قالت: "استيقظ رسول الله ﷺ من النوم مخمّرًا وجهه بقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هدم. وعند سبعين تسعين أو مائة، قيل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثرت الخبث"^(١٣).

ففي هذا الحديث إشارة إلى اقتراب موعد هدم سد يأجوج ومأجوج من زمان النبي ﷺ، وخروج يأجوج ومأجوج من ورثته، ووقوع كثير من الشر على المسلمين نتيجة ذلك.

(١٣) رواء البخاري.

وحدثنا موقع السد وأكثنا هدمه؛ طبقاً لروايات بعض المؤرخين قبل خروج التتار والمغول من ورائه في القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين. وقال ﷺ: "إنكم تقولون إنه لا عو، وإني لكم لن تزلوا تقتلون حتى يأتي بأجوج ومأجوج عراض الوجوه، صفار العيون، صهب الشعلب، ومن كل جنب ينسلون كلن وجوههم المجان المطرقة"^(٤٤).

وقال ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تقتلوا قومًا نعلهم الشعر، وحتى تقتلوا الترك، صفار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف"^(٤٥)، كلن وجوههم المجان المطرقة"^(٤٦).

وقال ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تقتلوا حورًا وكرمين من الأعاجم، حمر الوجوه، فطس الأنوف"^(٤٧)، كلن وجوههم المجان المطرقة، نعلهم الشعر"^(٤٨).

لجميع الأحاديث السابقة أشارت إلى أن هدم السد، وخروج بأجوج ومأجوج لو الترك ومقاتلة المسلمين لهم، يعطى علامة من العلامات الصغرى للساعة؛ لأن معظم الأحاديث التي قال فيها النبي ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى..." تخص العلامات الصغرى للساعة في الغالب.

أما العلامات الكبرى للساعة، فقد حدها النبي ﷺ بعشر علامات فقط، وذكر ضمنها أيضًا خروج بأجوج ومأجوج.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: كيف يكون هدم السد وخروج بأجوج ومأجوج من ورائه علامة من علامات الكبرى للساعة، التي لم تقع أي علامة

^(٤٤) رواه أحمد والطبراني من حديث بن حرملة.

^(٤٥) ذلف الأنوف: صفار الأنوف

^(٤٦) رواه البخاري.

^(٤٧) وفطس الأنوف: صفار الأنوف

^(٤٨) رواه البخاري.

منها حتى الآن؟ وفي نفس الوقت يؤكد أن السد قد هدم وخرج من ورائه يأجوج
ومأجوج أو التار والمغول؟

وللإجابة عن هذا السؤال يلزمنا التعرف على يأجوج ومأجوج المذكورين
في العلامات العشر الكبرى للساعة، والتعرف على جميع الآيات القرآنية التي
ورد بها ذكر يأجوج ومأجوج، ثم الوصول إلى نتيجة من هذه المعلومات.

وإذا كان التار والمغول يأجوج ومأجوج، فمن يأجوج ومأجوج المذكور
خروجهم بعد نزول عيسى من السماء لقتل الدجال كعلامة من العلامات العشر
لكبرى الساعة؟

بعد أن يتم وتتحقق العلامات الصغرى للساعة، تبدأ العلامات الكبرى
للساعة في الظهور، وعند ظهور أولها تتتابع باقي العلامات العشر في الظهور،
كما تتتابع حبات العقد في الانزلاق بعد قطع الخيط الذي يضم هذه الحبات
ببعضها، كما أكد ذلك رسول الله ﷺ.

والعلامات العشر الكبرى هي: الدجال، وعيسى ابن مريم، يأجوج
ومأجوج، والدابة، والدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخسف بالشرق،
وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وخروج نار من قعر عدن تحشر
الناس إلى محشرهم.

ويلاحظ أن الروايات المختلفة لأحاديث العلامات العشر الكبرى للساعة لم
تتفق على ترتيب محدد لهذه العلامات، فمرة: ينكر الدجال، ثم عيسى، ثم يأجوج
ومأجوج، ثم طلوع الشمس من مغربها... إلخ.

ومرة ينكر طلوع الشمس من مغربها، ثم الدابة، ثم الدجال، ثم عيسى، ثم
يأجوج ومأجوج، ثم الدخان... إلخ.

كما لم تتفق الروايات على أول العلامات خروجًا، ففي بعضها طلوع الشمس من مغربها، وفي البعض الآخر: للدجال، وفي أخرى: الدابة أو النار التي تحشر الناس إلى محشرهم.

قال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدجال وخروج عيسى ابن مريم، وثلاث خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وبار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر للناس ثيبت معهم حيث باتوا، وتقبل معهم حيث قالوا" (٩٩).

وقال ﷺ: "بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدخان، ودابة الأرض، وخويصة أحدكم ولمر العامة" (١٠٠).

والعلماء مجمعون على أن الدجال يأتى بعد عيسى ابن مريم؛ لأنه هو الذي سيقتل للدجال، وبالتالي لا بد أن يظهر الدجال قبله، والأحاديث صرححت بذلك، كما صرححت بخروج يأجوج ومأجوج بعد عيسى؛ لأنهم سيحاربون عيسى واتباعه، ومتفقون أيضاً على أن طلوع الشمس من مغربها سيتبعه خروج الدابة أو العكس؛ لأن الأحاديث صرححت بذلك.

وليضاً متفقون على أن الخسوف بالمغرب والمشرق وجزيرة العرب، ثم خروج النار من قعر عدن؛ لتحشر الناس إلى محشرهم ستكون آخر العلامات العشر؛ لأنها مستتعة قبل القيامة مباشرة.

والخلافاً هو في تحديد ما إذا كان للدجال أول العلامات خروجًا، أم طلوع الشمس من مغربها؛ لورود روايات صحيحة بأن كلا منهما هو أولى العلامات العشر للساعة، ولكن العلماء حسموا هذه المشكلة بأن الدجال لا بد وأن يكون

(٩٩) رواه أحمد ومسلم وأهل السنن.

(١٠٠) رواه أحمد.

أول العلامات العشرة؛ لأن الأحاديث صرحت بأن التوبة والإيمان سيخلقان بطولع الشمس من مغربها أو خروج الدابة.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورأها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ لِيَ إِيمَانُهَا غُرُورًا قُلْ إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (٥١).

وعن عبد الله بن عمرو قال: سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أول الآيات خروجا: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأتتهما كائنات قبل صلتهما فالأخرى على أثرها قريبا".

وهذه الأحاديث صرحت بخلق يوم التوبة، وعدم قبول الإيمان إذا خرجت الدابة أو طلعت الشمس من مغربها. في حين صرحنا لحديث آخرى بأن عيسى لن يقبل في زمانه - بعد نزوله من السماء وقتله للدجال - إلا الإسلام، وسيقتل كل من لا يدخل فيه.

كما صرح القرآن بأن بعضاً من أهل الكتاب سيؤمن بعيسى بعد نزوله من السماء وقبل موته، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ

رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا
لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿٥٢﴾

وما دلم بعض أهل الكتاب سيؤمن بعيسى بعد نزوله من السماء، فلا بد
ولأن يكون باب التوبة والإيمان مفتوحًا، ولم يخلق بعد في زمانه، فلو كان طلوع
الشمس من مغربها، أو الدابة سابقين عليه، فكيف يقبل الإيمان والتوبة في زمانه
وباب التوبة قد أغلق قبل مجيئه؟ لذلك لا بد أن يكون طلوع الشمس والدابة بعد
خروج يأجوج ومأجوج.

وقد جمع الحافظ "ابن حجر العسقلاني" بين هذه الروايات فقال: "إن الدجال
لؤل الآيات العظام المؤننة بتعير أحوال العامة في الأرض، وطلوع الشمس من
مغربها، والدابة لؤل الآيات المؤننة بتعير أحوال العالم العلوي، والنار لؤل
الآيات المؤننة بقيام الساعة".

وعلى ذلك يمكن تقسيم العلامات الحشرية الكبرى للساعة على النحو التالي:

- ١- علامات مؤننة ببدء تعير أحوال الناس في الأرض، وهي: الدجال،
نزول عيسى ابن مريم، خروج يأجوج ومأجوج.
 - ٢- علامات مؤننة ببدء تغير أحوال السماء: طلوع الشمس من مغربها،
الدابة، الدخان.
 - ٣- علامات مؤننة بالاقتراب الوشيك للساعة: خسف بالمغرب، خسف
بالمشرق، خسف بجزيرة العرب.
 - ٤- علامات مؤننة ببداية الحشر وقيام الساعة: خروج نار من فعر عدن
تحشر الناس إلى محشرهم.
- وعلى ذلك فخروج يأجوج ومأجوج هو ثالث العلامات الكبرى للساعة.

(٥٢) النساء: ١٥٧ - ١٥٩.

والسؤال الآن:

كيف يكون المد قد هدم وخرج من ورائه يأجوج ومأجوج (التلار والمغول)، ثم نرى في الأحاديث أن خروجهم - والمفروض أن يكون من وراء المد - سيتم بعد نزول عيسى من السماء؟ ألا يحتمل أن يكون يأجوج ومأجوج لا يزالون وراء مدهم في مكان آخر من الأرض وأنه لم يفتح بعد؟

إن ذكر يأجوج ومأجوج ورد في القرآن الكريم مرتين: مرة في سورة الكهف عند الحديث عن المد الذي بناه ذو القرنين؛ ليحجزهم وراءه، وفي هذه الآيات أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن هذا المد سيدك بالقرب من قيام الساعة، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَلَفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ (٩٩).

ثم ورد ذكر يأجوج ومأجوج مرة أخرى في القرآن في سورة الأنبياء، ولم يتحدث الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات عن المد أو عن ذي القرنين، وأكد أن خروجهم في هذه المرة سيكون قريبًا جدًا من قيام الساعة؛ إذن إنه في سورة الكهف ترك فترة زمنية بين هدم المد والنفخ في الصور، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَلَفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ (٩٩).

ففي هذا إشارة إلى أنه بعد هدم المد سيكون هناك فترة زمنية معينة، تدور خلالها مجموعة من الحروب بين يأجوج ومأجوج وبين الناس، أو بين يأجوج ومأجوج وبعضهم البعض، أو بين الناس وبعضهم البعض، أو يحدث كل

(٩٨) الكهف: ٩٨ - ٩٩.

(٩٩) الكهف: ٩٩.

ذلك على فترات متقطعة. المهم أن هناك فترة تاريخية قد تكون طويلة أو قصيرة بين هدم السد والنفخ في الصور.

لما في سورة الأنبياء فلم يذكر الله سبحانه وتعالى تلك الفترة الزمنية بين خروج يأجوج ومأجوج واقترب الساعة، مما يوحي بأن خروجهم في هذه المرة سيكون قريباً جداً منها، وذلك في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُشِّتِ يَاجُوجُ وَمَآجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) واقترب الوعد الحق فإذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَنفَاصُ الَّذِينَ كَفَرُوا.....﴾ (٩٥).

ففي هذه الآية لم يتحدث الله سبحانه وتعالى عن فترة زمنية بين خروجهم واقترب الساعة، كما لم يتحدث عن خروجهم من وراء السد، مما يؤكد أن خروجهم هذا سيكون بعد خروجهم الأول من وراء السد.

أي: أن هناك خروجين ليأجوج ومأجوج أحدهما: من وراء السد وقبل الساعة بفترة، وهذا الخروج من العلامات الصغرى للساعة.

والأخرى: عند قيام الساعة، وبالتحديد بعد نزول عيسى ابن مريم وقتله للدجال، وهذا الخروج من العلامات العظمى للكبرى للساعة، كما أكد ذلك النبي ﷺ في حديثه عن علامات الساعة الكبرى.

ويؤكد ذلك أحاديث النبي ﷺ عن يأجوج ومأجوج، فقد أكد فتح جزء من السد مثل الحلقة في زمانه، وأن موعد هدم السد أصبح قريباً من زمانه، وحدث ذلك بعد زمان النبي ﷺ بحوالي مئة عام في غزوات التتار والمغول على البلاد الإسلامية.

(٩٥) الأنبياء: ٩٦ - ٩٧.

وفي هذه الأحاديث ذكر النبي ﷺ خروجهم من وراء السد، ووصف ملامحهم وأسلحتهم، ولباسهم وجميعها، كما سبق وأن بيّنا كانت تنطبق على ملامح ولوصاف التتار والمغول.

كما تحدث النبي ﷺ عن خروجهم في زمان عيسى، ولم يذكر السد في هذه الأحاديث، بل ذكر خروجهم بنفس النص لولرد في القرآن في سورة الأنبياء، وهو: ﴿وَحَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾^(٥٦).

ولو نقننا في معنى كلمة 'حذب' و'ينسلون'، وراجعنا معنى كل منهما في المعاجم اللغوية؛ لفهمنا أن استخدام الله سبحانه وتعالى والنبي لهذين اللفظين كان له معناه ومعزاه ودلالته.

ولنتعرف الآن على المعنى اللغوي للفظين، ثم نحاول فهم الآية فهماً صحيحاً بعد ذلك:

حذب: هو كل شيء ارتفع وغلظ من الأرض^(٥٧).

ينسلون: مشتقة من نسل، ونسل الشيء أي: انفصل عن غيره وسقط. والنبالة: ما سقط من الصوف أو الشعر عند تسله^(٥٨).

ولو أمعنا النظر في معنى الكلمتين لفهمنا أن مجيء يأجوج ومأجوج في هذه المرة لن يكون من وراء سد، بل بمن كل حذب ينسلون أي: من أشياء مرتفعة عن الأرض، يسقطون على عيسى وأتباعه منها؛ وهذا لخروج سيكون في السنين القليلة؛ لأن العلامات الكبرى للساعة لم تتحقق بعد، ونحن الآن في عصر الطائرات وسفن الفضاء، والصواريخ العابرة للقارات، والمظلات، والبالونات المطاطية... إلخ.

(٥٦) الأنبياء: ٩٦.

(٥٧) راجع المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية، ومختار الصحاح، والمصباح المنير.

(٥٨) المصدر السابق.

فهل سيأتي يأجوج ومأجوج من شمال وشمال شرق آسيا إلى عيسى
ولتباعه سائرين على أقدامهم؟ أم بالطائرات؟

نهاية يأجوج ومأجوج في الإسلام:

قال رسول الله ﷺ بعد ذكر قتل عيسى للدجال:

"...ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه - أي من الدجال - فيمسخ عن
وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فببما هو كذلك إذا أوحى الله إلى عيسى
أنى قد أخرجت عبداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبداً لي إلى الطور، ويبعث
الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيسير أولئهم على بحيرة طبرية
فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء.

ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحد خيراً من
مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله
عليهم اللغف⁽⁵⁹⁾ في رقابهم، فيصبحون موتى كموث نفس واحد، ثم يهبط نبي
الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون موضع شبر إلا ملاء زهمهم
ونقتلهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق
البخت⁽⁶⁰⁾ فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله تعالى، ثم يسل الله مطراً لا يكن منه
بيت مدر ولا وبر؛ فيغسل الأرض؛ حتى يتركها كالزقة، ثم يقال للأرض: أنتبي
ثمرك وركك...⁽⁶¹⁾

من الحديث السابق نستنتج أن نهاية يأجوج ومأجوج ستكون بقدره الله
 سبحانه وتعالى؛ إذ لن يكون لعيسى ولتباعه قدرة قتالهم، ونهايتهم ستكون في

(59) اللغف: نوع من الدود يصيب قلوب الإبل ويقضي عليها.

(60) البخت: الإبل.

(61) رواه مسلم.

المنطقة بين جبل طور سيناء وبحيرة طبرية بشمال فلسطين؛ أي: ستعطي جيشهم كل أرض سيناء وفلسطين.

ودليل ذلك أنه عندما مر أوائل جيشهم ببخيرة طبرية شربوا ما فيها من ماء، ثم اتجهوا ناحية عيسى وأتباعه عند جبل الطور، وعندما وصلوا آخر جيشهم، عند بحيرة طبرية، ثم يجنوا فيها ماء؛ أي أن طول طوابير جيوشهم كان يغطي للمنطقة من جبل الطور إلى بحيرة طبرية أو بعدها بمسافة قليلة في اتجاه سيناء، ثم حاصروا عيسى وأتباعه عند جبل الطور، وقطعوا عليهم جميع الإمدادات من ماء وطعام حتى كاد يهلك عيسى وأتباعه، ثم جاءهم للفرج من الله بارسال نوع من الدود يأكل في رقاب لرسن بأجوج ومأجوج؛ حتى يقضي عليهم جميعاً.

والغالب أن هذا المرض - الدود - نوع معدي وينتشر بسرعة رهيبه، بحيث يمكنه القضاء على كل هذا الجيش في عدة ساعات.

ولود أن تشير إلى أن خروج بأجوج ومأجوج لن يكون بعد قتل عيسى للدجال مباشرة، بل سيكون هناك فترة زمنية بين قتله للدجال وبين خروج بأجوج ومأجوج. ويتضح ذلك من قول النبي ﷺ في إحدى الروايات: "ويرجع الناس إلى أوطانهم، قال: فبعد ذلك يخرج بأجوج ومأجوج، وهم من كل حطب يعملون، فيطأون بلادهم..." (١٢).

...

(١٢) رواه أحمد وصححه أحمد شاكر بإسناد.

موقع سد ذي القرنين على خريطة العالم وصفته:

١- صفته:

وأما السد فقد نظم أن ذا القرنين بناء من الحديد والنحاس، ومساوى به الجبال الصم الشامخات الطوال، فلا يعرف على وجه الأرض بناء أجل منه ولا أنفع للخلق منه في أمر دنياهم.

قال البخاري: وقال رجل للنبي ﷺ: رأيت السد. قال: وكيف رأيته؟ قال: مثل البرد المحبر. فقال: رأيته هكذا. ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم، ولم أره مسنداً من وجه متصل لروايته، غير أن ابن جرير رواه في تفسيره "مرسلًا" فقال: حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلاً قال: يا رسول الله، قد رأيت سد يأجوج ومأجوج. قال: اتبعه لي. قال: كالبرد المحبر، طريقة سوداء وطريقة حمراء. قال: قد رأيته.

وقد ذكر أن الخليفة الوليد بن عبد الملك كتب لهم كتباً إلى الملوك يوصلونهم من بلاد إلى بلاد حتى يبتها إلى السد، فبحثوا عن خبره، وينظروا كيف بناء ذو القرنين، وعلى أي صنعة، فلما رجعوا أخبروا عن صفته وأن فيه باباً عظيماً وغنيماً أفتال، وأنه بناء محكم شامق منيف جداً، وأن بقية اللبن الحديد والآلات في برج هناك، وذكروا أنه لا يزال هناك حرس لتلك الملوك المتاخمة لتلك البلاد، ومحلته في شرقي الأرض في جهة الشمال في زاوية الأرض الشرقية الشمالية.

٢- موقعه:

اختلف العلماء في تحديد موقع السد الذي بناء ذو القرنين، فبعض المؤرخين يؤكد أن يأجوج ومأجوج كانوا يسكنون قريباً من خط عرض (٩٠) من الشمال وأن جبالهم هما أرمينية وأذربيجان، وأن سد ذي القرنين هو سد

"باب الأبواب" المشهور^(٦٣)، ولكن هذا السد مبني بالحجارة ولا ينطبق عليه
أوصاف سد ذي القرنين، كما أن بانيه هو كسرى "أبو شروان".

والبعض ذهب إلى أنه سور الصين العظيم الواقع بين الصين ومنغوليا،
وهذا مستبعد لأسباب سبق شرحها.

وفريق آخر قال: إنه سد باب الحديد الواقع في عمالة "بلخ" بالقرب من
مدينة ترمذ^(٦٤) وهو سد مبني من الحديد والنحاس المذاب.

وذهب آخرون إلى أنه سد مصيق داريال بأرمينيا وهو مبني من الحديد
فقط.

وقال "أبو الكلام لؤي"^(٦٥): "لن السد يقع في مصيق جبال قفقاز الممتدة من
بحر الخزر إلى البحر الأسود، وهو واقع بين بلدة "تفليس" و"ولادي كيوكر" وهو
مبني بين جبلين، ومبني بالحديد.

وقد ذكر هذا السد "يوسيفوس" اليهودي المؤرخ عند ذكر رحلته إلى شمال
قفقاز، وهو غير سد باب الأبواب الموجود على ساحل بحر الخزر، فإن التاريخ
ينسب بناءه إلى كسرى أبو شروان، ويوسفوس هذا كان قبله - كان يعيش في
القرن الأول الميلادي - كما أن سد باب الأبواب لم يستعمل فيه حديد قط^(٦٦).

ولكن هذا السد طبقاً لما ذكره "أبو الكلام لؤي" لم يستعمل فيه النحاس
نهائياً، بل استخدم فيه الحديد فقط، وبهذا فهو مخالف لسد ذي القرنين.

وبناء على ما سبق لا يبقى عليه أوصاف سد ذي القرنين سوى "سد باب
الحديد" الموجود في عمالة "بلخ" بالقرب من مدينة ترمذ^(٦٧) ببلاد التركستان، فهو
السد الوحيد المبني من حديد مع نحاس مذاب.

(٦٣) نقلاً عن التفسير الوسيط - مجمع البحوث الإسلامية - تفسير الكهف.

(٦٤) نقلاً عن الميراث في تفسير القرآن - مصدر سابق.

آراء علماء المسلمين الذين أكدوا

أن النار والمغول هم يأجوج ومأجوج

ذهب كثير من المفسرين والمؤرخين إلى أن يأجوج ومأجوج هم النار والمغول.

يقول الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: هم من ذرية آدم بلا خلاف نعلمه، ثم للدليل على ذلك ما ثبت في "الصحيحين" من طريق الأعمش عن أبي صالح، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: "يقول الله تعالى يوم القيامة: يا آدم، قم فابعث بعث النار من ذريتك. فيقول: يا رب، وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعة وتسعون وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة. فحينئذ يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد". قالوا: يا رسول الله! بما ذلك الواحد؟ فقال رسول الله ﷺ: أبشروا، فإن منكم واحداً، ومن يأجوج ومأجوج ألفاً. وفي رواية: فقال: "أبشروا فإن فيكم أمتين؛ ما كنتما في شيء إلا كثرتاه - أي غلبتاه - كثرة".

وهذا يدل على كثرتهم، وأنهم أصعاف الناس مراراً عديدة، ثم هم من ذرية نوح؛ لأن الله تعالى أخبر أنه استجاب لعهده نوح في دعائه على أهل الأرض بقوله: "رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا" ^(٦٥). وقال تعالى: "فَالْجَنَّةُ وَأَصْحَابُ السَّعِيرَةِ" ^(٦٦). وقال: "وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ" ^(٦٧).

^(٦٥) نوح: ٢٦.

^(٦٦) الطه: ١٥.

^(٦٧) الصافات: ٧٧.

وتقدم في الحديث المروي في "المسند" و"المسنن": أن نوحاً ولد له ثلاثة؛ وهم سام، وحام، ويافث، فسام أبو العرب، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك. فياجوج وماجوج طائفة من الترك، وهم محل المغول، وهم أشد بأساً وأكثر فساداً من هؤلاء، ونسبتهم إليهم كنسبة هؤلاء إلى غيرهم.

وقد قيل: إن الترك إنما سموا بذلك حين بنى ذو القرنين السد وألجأ ياجوج وماجوج إلى ما وراءه، فبقيت منهم طائفة لم يكن عندهم كفسادهم فتركوا من ورائه. فهذا قيل لهم: الترك.

ومن زعم أن ياجوج وماجوج خلقوا من نطفة آدم حين احتلم، فاختلطت بتراب فخلقوا من ذلك، وأنهم ليسوا من حواء، فهو قول حكاه الشيخ أبو زكريا النولوي، في "شرح مسلم" وغيره، وضعفه، وهو جدير بذلك؛ إذ لا دليل عليه بل هو مخالف لما ذكرناه من أن جميع الناس اليوم من نرية نوح بنص القرآن. وهكذا من زعم أنهم على أشكال مختلفة وأطوار متباينة جداً، فكلهم من هو كالنحلة السحوق، ومنهم من هو غاية في القصر، ومنهم من يفتش أنثى من أدنيه ويتغذى بالأخرى، فكل هذه الأقوال بلا دليل، ورجم بالغيب بغير برهان. والصحيح أنهم من بني آدم وعلى أشكالهم وصفاتهم.

يقول الشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره "المراغي" سورة الكهف: "ياجوج وماجوج هم للترك، وماجوج هم للمغول، وأصلهما من لب واحد يسمى ترك، وكانوا يسكنون الجزء الشمالي من آسيا، وتمتد بلادهم من التبت والصين إلى المحيط للمتجمد الشمالي، وتنتهي غرباً بما يلي بلاد التركستان".

وقال سيد قطب في تفسيره "في ظلال القرآن": "إن ياجوج وماجوج هم التتار والمغول".

وقال أبو الأعلى المودودي في تفسير سورة الكهف: "الأقرب إلى الصواب أن ياجوج وماجوج هم قبائل روسيا وشمال الصين، المعروفة بأسماء: التتار

والمغول والهور والسبت وغير ذلك، فقد كانت هذه القبائل تغير على الدول المتحضرة من قديم الزمان*.

وهي التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الصادر عن مجمع البحوث الإسلامية، والذي قام بوضعه مجموعة من كبار علماء الأزهر - تفسير سورة الكهف - ذكر: "إن يأجوج ومأجوج هم التتار والمغول، وتمتد بلادهم من التبت والصين إلى المحيط المتجمد الشمالي، وتنتهي غربًا إلى التركستان، وحددت في هضبات آسيا الوسطى وشمال الصين ما بين الدرجتين السابعة والعشرين والخمسين من خطوط العرض الشمالية، وبذلك تبلغ بلادهم في العرض ثلاثًا وعشرين درجة".

ويقول الشيخ طنطاوي جوهرى في تفسير الجواهر* عند تفسير سورة الكهف: "يأجوج ومأجوج مأخوذان من لجنج النار، وهو ضوؤها وشرورها، ويشير إن لكثرتهم وشدتهم، وذكر بعض المفسرين أن أصل المعول والتتر من رجل واحد يقال له ترك، وهو نفسه الذي سماه أبو العلاء باسم "يأجوج"، فيظهر من هذا أن المغول والتتر هم المقصودون بإجوج ومأجوج، وهم كانوا يشغلون الجزء الشمالي من آسيا، وتمتد بلادهم من التبت والصين إلى المحيط للمتجمد الشمالي، وتنتهي غربًا بما يلي بلاد التركستان، كما في "فاكهة الخلفاء"، وابن مسكويه في "تهذيب الأخلاق" وفي "رسائل إخوان الصفا"، فقد ذكروا جميعًا أن هؤلاء هم يأجوج ومأجوج.

وبلاد التركستان أو بلاد التتر تنقسم الآن إلى قسمين: قسم تابع لروسيا، وقسم تابع للصين. والتابعة للروس فيها بلاد فرغانة وخنو وبخاري وطشكند ونهر سيحون وجيحون*.

وقال ابن كثير في "البداية والنهاية" - الجزء الثاني - ذكر ياجوج ومأجوج: "ياجوج ومأجوج طائفة من التترك وهم مثل^(٦٨) المغول، وهم أشد بأسًا وأكثر هبًا، ونسبتهم إليهم كنسبة هؤلاء إلى غيرهم".

ويؤكد عبد الرحمن يوسف الجدي في كتابه "تو القرنين" أن التتار والمغول هم ياجوج ومأجوج فيقول: "...من الواضح من السياق القرآني أن ياجوج ومأجوج كانوا في أقصى الشرق من العالم القديم، وأقصى الشرق في العالم القديم كانت الصين، وكانت تسمى في ذلك الوقت 'بلاد كاماي'، وكذلك سهول الاستبس الرعوية التي يمكنها شعب المغول والتتار (والمغول فرعان كبيران لشعب واحد).

وجغرافيًا تقع بلاد المغول أو سهول الاستبس إلى الشمال والشمال الغربي للصين في المنطقة الممكنة من هضبة التبت غربًا إلى سواحل الصين شرقًا، وبين خطي عرض ٣٠، ٥٠ شمالًا وبهذا الموقع الجغرافي يكون التتار والمغول مجاورين للشعوب التركية الخبارية في وسط آسيا وإلى الجنوب والشرق منهم تقع الصين، وتصلهم عن العالم الإسلامي في غرب آسيا مرتفعات آسيا الوسطى.

ولقد كان المغول والتتار سكان هذه المنطقة شعبًا رعويًا، على درجة مخيفة من الهجمة والميل لسطك الدم وقذونية الشرسة.

(٦٨) مثل: أي أشد طائفة فيهم.

الفصل الثاني

ياجوج وماجوج

في

التوراة والإنجيل

تحدث القرآن الكريم عن خروج ياجوج ماجوج مرة من وراء السد، ومرة في زمان عيسى بعد نزوله من السماء، وقتله الدجال، كما أوضحنا ذلك في لفصول السابقة.

ونكرت التوراة والإنجيل خروج ياجوج وماجوج في نهاية الزمان أيضاً، ولكنهما لم يتحدثا إلا عن خروج واحد لهم في زمان عيسى بعد قتله للدجال وأتباعه في حربته التي ستكون معهم على أرض فلسطين، في المعركة الكبرى أو الحرب العالمية التي يطلقون عليها "معركة هرمجدون" أو "يوم الله القادر على كل شيء" أو "الخربة الأبدية" أو "يوم الرب" أو "يوم الدينونة".

ويقول النبي حزقيال عن ياجوج وماجوج: "وأنت يا بن آدم تكلم على هوج وقل: هكذا قال السيد الرب هكذا عليك ياجوج رئيس روش وماشك وتوبال، وأردك وأفودك وأصعدك من أقاصي الشمال، وأتي بك على جبال إسرائيل"^(٦٩).
.. وأخرجك أنت وكل جيشك خيلاً وفرساناً، كلهم لابسين أقمصة لباس، جماعة عطيمة مع أتراس ومجان كلهم ممسكين السيوف.. وجومر وكل جيوشه، وبيت توجرمة من أقاصي الشمال مع كل جيشه شعوباً كثيرين معك. استعد وهين لنفسك أنت وكل جماعاتك المتجمعة إليك فصررت لهم موقراً. بعد أيام كثيرة تنفذ في السفين الأخيرة تأتي إلى الأرض المستردة من السيف المجموعة

(٦٩) حزقيال: ٣٩: ١-٢.

من شعوب كثيرة على جبال إسرائيل... وتصل وتأتي كروبة، وتكون كسحابة
تغطي الأرض، أنت وكل جيوشك، وشعوب كثيرون معك^(٧٠).

وتأتي من موضعك من أقاصي الشمال، أنت وشعوب كثيرون معك، كلهم
راكبون خيلاً، جماعة عظيمة، وجيش كثير. وتصل على شعبي إسرائيل
كسحابة تغطي الأرض. في الأيام الأخيرة يكون^(٧١).

البيان:

بن ياجوج وماجوج يسكنون أقاصي الشمال من الكرة الأرضية وحدد
موقعهم في روش (روسيا) وماتك (موسكو) وتوبال (تولساك)، وجومر
وتوجرمة (شعوب أرمينيا)، ولهم مياتون على أرض إسرائيل في الأيام الأخيرة
(بهاية الأيام)، ومعهم شعوب أخرى كثيرة من شرق وشمال آسيا.

رأي مفسري الكتاب المقدس في هذه النصوص:

يفسر بعض أهل الكتاب "جوج" على أنها رمز لو اسم لرئيس روسيا،
وماجوج هي ياجوج لو اسم شعب الرئيس "جوج"، وهم شعب روسيا.
والبعض الآخر يفسر جوج وماجوج على أنها رمز لشعوب ياجوج
وماجوج المعروفين بهذين الاسمين عند العرب.

فيعرف قاموس الكتاب المقدس جوج وماجوج بما يلي:

جوج وماجوج: جوج كان رئيساً على شعب ماتك وتوبال، وماجوج كان
ثاني أبناء يافث، وكان جوج أميراً لماتك وتوبال - أبناء يافث بن نوح والذي
سمى نسلها فيما بعد على اسمها - وجوج وشعبه ماجوج يقصد بهم قبائل

(٧٠) السابق: ٣٨: ٤ - ٩.

(٧١) السابق: ٣٨: ١٥ - ١٦.

السكثيين المتوحشة، الذين كانوا يأتون من الشمال بقواتهم العظيمة فرمانا ومشاة
متسلحين بالقسي. وهم رمز للوثنية في النبوءات (التوراتية والإنجيلية).

وفي القرون المتوسطة سمي السورينون بلاد الستر "ماجوج"، وأما العرب
فسموا الأرض الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود "ماجوج"، وظن الأكثرون
أن أهل ماجوج هم السكثيون (الروس) (٧٦).

والبلاد الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود هي أرمينيا وأذربيجان
وتركيا.

كما يعرف قاموس الكتاب المقدس نوح وملك وروش وجومر وتوجرمة
بما يلي:

نوبال: اسم لخامس لولاد يافث بن نوح، وسميت ذريته على اسمه،
ويرجع أنهم كانوا يقطنون البلاد الواقعة في شرق آسيا الصغرى (شرق تركيا،
وهم حاليًا أرمينيا وأذربيجان وجنوب الاتحاد السوفيتي سابقًا).

ماشك: اسم لسادس لولاد يافث بن نوح، وسميت ذريته باسمه، ويرجع
إليهم كانوا يقطنون الأراضي الواقعة بالقرب من يسابيع العرب وبحلة (أي
بالقرب من تركيا).

روش: اسم شعب من شعوب الشمال، ويرى البعض أنه ربما يكون هو
اسم قديم لروسيا.

جومر: اسم لأول أبناء يافث بن نوح فهو بكره، وقد قطنت ذريته جانبًا
عظيمًا من آسيا الصغرى (تركيا) وما وراء القفلس (جنوب غرب الاتحاد
السوفيتي السابق)، واستوطنوا فريجية وكبادوكية. ويذكر "هيرودس" أن
"هومروس" الشاعر الإغريقي لقبهم بأهل الشمال الأقصى في كتابه "الأوديسا".

(72) قاموس الكتاب المقدس دار ثقافة. القاهرة. بالاتفاق مع رابطة الإنجيليين بالشرق
الأوسط. ٢٧٦، ٨٢٩.

توجرمة: ثالث أبناء جومر بن يافث بن نوح، وقطبت دريته في أقاصي الشمال، وتوجرمة تقع في الغرب الجنوبي من بلاد أرمينيا. ويقول المؤرخ اليهودي "يوسيفوس": إن ياجوج وماجوج هم السبث الذين سكنوا شمال وشرق البحر الأسود^(٧٣)، وهم الاتحاد السوفييتي (قبل تفككه). ويقول "جيروم": إن ماجوج سكنوا شمال القفاز قرب بحر الخزر^(٧٤) (بحر قزوين حالياً)، أي: أنه يحبرهم الاتحاد السوفييتي سابقاً. ويقول "بروس أليمي" في كتابه "الأحداث النبوية": "إن حلف ياجوج وماجوج المذكور في سفر حزقيال، مبعوض روسيا ودولاً أخرى في أقصى الشمال"^(٧٥).

ويقول "تاشد حيا" في تفسير سفر الرؤيا أصحاح ٢٠: "الظاهر من نبوءة حزقيال أن جوج هو رئيس روسيا، فكلمة "روش" هي بعينها روسيا، وماشك هي موسكو، وتوبيل هي توبيلسك. ويقول النبي إن جيوشهم تأتي من أقاصي الشمال، وهو موقع روسيا...". ويقول "رشاد فكري" في تفسير سفر حزقيال أصحاح (٣٨ - ٣٩): "إن جوج هو رئيس روسيا وموسكو، وتوبيلسك وماجوج هم شعوب هذه المناطق".

ومن النصوص الواردة بسفر حزقيال وشروحها طبقاً لتفسيرات أهل الكتاب، نجد أنهم يعرفون ياجوج وماجوج، أو جوج وماجوج حسب الأسماء الواردة عندهم بالعبرية، بأنهم الشعوب التي كانت تقطن شمال آسيا وهم الآن: دول الاتحاد السوفييتي سابقاً، وتركيا، وأرمينيا، وأذربيجان.

(٧٣) نقلاً عن "ثلاثة ينتظرون للعالم": عبد اللطيف عاشور ص ٧٦.

(٧٤) السابق.

(٧٥) الأحداث النبوية من الاحتطاف إلى الحالة: لأسية: بروس أليمي، ص ٣٦.

وورد بسفر حزقيال (الأصحاح الثامن والثلاثين) عدد أشير فيه إلى فارس (إيران) وكوش (أبناء كوش بن حام بن نوح) وفوط (البيبا)، واعتبرهم مفسرو الكتاب المقدس ضمن حلف يأجوج ومأجوج.

وفيما يلي نص ما ورد بهذا العدد والأعداد السابقة واللاحقة له:

"... يا ابن آدم: اجعل وجهك على جوج أرض ماجوج رئيس روش ماشك وتوبال... وأخرجك أنت وكل جيشك خيلاً وفرساناً، كلهم لابسين أقمشة لباس جماعة عظيمة مع أتراس ومجان كلهم ممسكين السيوف. فارس وكوش وفوط معهم كلهم بمجن وخوذة. وجومر وكل جيوشه، وببيت توجرمة من أقاصي الشمال مع جيشه شعباً كثيراً معك..." (٧٦).

وترجع التوراة نسب يأجوج ومأجوج إلى يافث بن نوح (٧٧)، وبالتالي فهي تعتبرهم من أولاد آدم؛ لأن نوح يعود نسباً إلى آدم. وهذا يتفق مع الرواية الواردة في النص الإسلامي التي ذكرت أنهم من أولاد يافث بن نوح.

وقد ورد نسبهم بسفر التكوين بالتوراة. وهذا هو النص:

"وهذه مواليد بني نوح: سام، وحام، ويافث. وولد لهم بعد الطوفان. بنو يافث: جومر وماجوج وماداي ويابل وتوبال وماشك وتيراس" (٧٨). ويأجوج ومأجوج - كما قال حزقيال - من أبناء ماشك وتوبال وجومر وتوجرمة. فماشك وتوبال وجومر من أبناء يافث بن نوح، أما توجرمة وأشكناز الذي ينسب إليه الأشكنازيون (من سكان روسيا) فهما من أبناء جومر بن يافث بن نوح.

وهذا هو النص الوارد بالتوراة عن أبناء جومر بن يافث بن نوح:

(٧٦) حزقيال: ٣٨: ١-٦.

(٧٧) التكوين: ١٠: ١-٢.

٧٠٠٠. وبنو جومر: لشكاز وريفاث وتجرمة^(٧٨).



(٧٨) التكوين: ١٠: ٣.

الفصل الثالث

في

نقد الكتب التفسيرية في

موضوع بأجوج ومأجوج

أول وجه من وجوه النقد:

هو أن المرويات عن بأجوج ومأجوج ليست من الكلام الصحيح المقطوع بصحته. فالأحاديث التي نسبها الرواة إلى النبي ﷺ هي مروية بطريقة الأحاد، الذي يفيد الظن ولا يفيد اليقين؛ ولذلك قال شيخ الإسلام الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله -:

إن الحكم بصحة الحديث لا يكون بتوثيق الراوي، وإنما يكون برد الحديث إلى القرآن. فإن وافقه في المعنى فهو صحيح، وإن خالفه في المعنى لا يكون صحيحاً.

واستدل على ذلك: بما روي عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أنها كانت تعرض كل حديث تسمعه إلى القرآن. ونقول: 'صحبكم كتاب الله'. وقال شيخ الإسلام: إن الحديث لكونه قد ورد عن طريق شاهد واحد، لا يصح الاحتجاج به على أي أمر من أمور العقائد الدينية. وذلك قوله رحمه الله: "لا عقيدة تقوم على خبر الواحد".

ونذكر رحمه الله أمثلة على لاختلاف الأحاديث وتتناقضها، ومخالفتها أيضاً للقرآن في المعنى، ومنها الأحاديث المجوزة لأن يطأ الزوج زوجته في نبرها. والمجوزة للرجل الكبير الذي شهد غزوة بدر أن يرضع من ندي امرأة؛ لتكون أمة من الرضاعة، فيدخل عليها متى شاء في غيب زوجها عنها لو حضوره. ولنتي تثبت الشك في صحة القرآن.

فإن مسلم بن الحجاج قد روى أنه كان فيما أنزل من القرآن عشر
رضعات يحرم من لمسهن بخمسة معلومات، ثم توفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ
من القرآن.

وهذا الحديث يثبت الشك في القرآن من جهة أن آية الخمسة غير موجودة
فيه. ويلزم على عدم وجودها فيه إما أن القرآن ناقص، وإما أن الحديث
ضعيف. وللقول بضعف الحديث لوثى من القول بالشك في القرآن؛ لأن منكر
الأحاديث ليس بكافر ولا مشرك ولا فاسق، ومنكر القرآن كله أو بعض هو كافر
ومشرك وفاسق.

ذلك كله في كتاب "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث".
و أذكر ما يلي تحت عنوان "أحاديث نبوية في التوراة" لأبين به أحوال
الرواة:



أحاديث نبوية في التوراة:

١- الحديث "ملعون من يغير حدود الأرض". موجود في التوراة في التثنية
(١٩: ١٤).

"لا تتقل حدود قريتك التي حددها الأولون في ميراثك الذي ترثه في
الأرض التي يعطيك الرب إلهك إياها لترثها".

٢- الحديث "زر عجا ترند حبا" موجود في سفر الأمثال:
"لا تكثر نقل القدم إلى بيت قريتك؛ لئلا يسام منك فيكرهك" أمثال (٢٥):
(١٧).

٣- الحديث "صنائع المعروف تقي مصارع السوء" موجود في سفر
الأمثال:

"كنوز الحرام لا تنفع، والبر ينقذ من الموت" موجود في الأمثال (١٠):
(٢).

٤- الحديث "لا تظهر السمات بأخيك يُعافه الله ويبتليه" موجود في الأمثال (٢٤: ١٧-١٨).

"فإن البار يسقط سبع مرات وينهض، أما الأشرار فيعثرون في المصيبة. إذا سقط عدوك فلا تفرح، وإذا عثر فلا يستهيج قلبك".

٥- الحديث "لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" رواه الشيخان.

وهو في سفر اللاويين: "أحب صاحبك كنفسك" لا (١٨: ١٩).

٦- "اللهم إني أعوذ بك من شر لفتة لعلني" موجود في أمثال سليمان (٣٠: ٨-٩).

"ابتعد عني الباطل وكلام الكذب. لا تعطني الفقر ولا العنى، بل ارزقني من الطعام ما يكفوني؛ لئلا أشبع فأجحد، وأقول: "من لرب؟" لو أفقر فأسرق وأعتدي على اسم إلهي".

٧- "صدقة المرء تطفي غضب الرب" موجود في الأمثال (٢١: ١٤).

"لهدية في الخفاء تغني الغضب والرشوة في الحط تغني السخط الشديد".

٨- "اللهم نصف للهزم". موجود في الأمثال (١٧: ٢٢).

"القلب الفرحان يطيب الجسم، والروح المنسحقة تجفف العظم".

٩- "الندم توبة" موجود في الأمثال (٢٨: ١٣).

"من يكتم خطاياها لا ينجح، ومن يقر بها ويتركها يرحم".

١٠- "لا يجني جان إلا على نفسه". موجود في الأمثال (٢٦: ٢٧).

"من يحفر حفرة يسقط فيها، ومن يدحرج حجرا يرجع عليه".

١١- "الحرب؛ خدعة" رواه الشيخان. في سفر الأمثال (٢٤: ٦).

"لأنك بالتدابير تعمل حرب، وبالخلاص بكثرة المشيرين".

١٢- "لا يدخل الجنة قتات" هو للنمّام. موجود في سفر اللاويين:

"لا تسع بصاحبك تمامًا" (لا ١٩: ١٦).

وفي الأمثال (١١: ١٣) "الساعي بالوشاية يضيئ السر، والأمين للروح

يكنم الأمر".

١٣- "إن الله يغار وغيرةه أن يلقى المؤمن ما حرم الله موجود في سفر

للخروج (٢٠: ٥)

"لأنني أنا الرب إلهك إله غيور".

١٤- "حالفوا المشركين وهروا للحي" موجود في سفر اللاويين (١٩:

٢٧).

"لا تقفوا فة رؤوسكم، ولا تحت فة ذك" لا تقفوا - مشدد للفاء - أي لا

تحفوا الرؤوس حفا مستكبرا. ولا تحت أي ولا تتلف أي لا تصد. وفي ترجمة

"لا تقصروا رؤوسكم مستكبرا، ولا تصد على ضيق".

١٥- ومن الأحاديث أيضا انتهى عن نهر للكلب والدم ومهر البغي.

وفي سفر التثنية (١٧: ٢٣)

"لا تكن زانية من بنات إسرائيل، ولا يكن مأبون من بني إسرائيل، لا

تدخل أجرة زانية ولا تمن كلب إلى بيت الرب إلهك عن نذر ما".

١٦- ومن الأحاديث: "من عمل الميت فليعتل". في سفر العدد: (١٩:

١٤-١٩).

"إذا مات إن شاء في خيمة فكل من نحل الخيمة وكل من كلن في الخيمة

يكون نجسا سبعة أيام. وكل إناء مفتوح ليس عليه سداد بعصابة؛ فإنه نجس.

وكل من مس على وجه الصحراء قتيلًا بالسيف أو ميتًا أو عظيم إنسان أو قبرًا،

يكون نجسًا سبعة أيام، فيأخذون للنجس من غبار حريق، ذبيحة للخطية، ويجعل

عليه ماء حيًا في إناء، ويأخذ رجل طاهر زوفا ويعسها في الماء، وينضحه

على الخيمة وعلى جميع الأمتعة، وعلى الأنفس الذين كانوا هناك، وعلى الذي

مس العظم أو القنيل أو الميت أو القبر، ينضح الطاهر على النجس في اليوم الثالث واليوم السابع. ويظهره في اليوم السابع فيفضل ثيابه ويرخص بماء فيكون طاهرًا في السماء.

١٧- ومن الأحاديث "العين حق". وفي سفر العدد ٢٢
"أن بالاق بين صفور ملك موآب أرسل إلى بلعام بن باعوراء العائث أن
يحسد ويلعن بني إسرائيل خوفاً منهم؛ فجعل الله عينه عليهم برذاً و سلاماً، وقلب
لعنته بركة".

١٨- "لا تؤخذ الصدقة في هرة ولا ذات عول" موجود في تنبيه (١٧):

(١).

...

والوجه الآخر من وجوه النقد:

أن مصري القرآن الكريم حذروا النحاس في مكان سد ذي القرنين. وذلك
بتفسيرهم ﴿أَكُونِي أَفْرَغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ فليتهم قالوا: إن القطر: هو النحاس
المذاب.

وفي تفسير الحازن - رحمه الله - قطرا: نحاساً مذاباً فغطت النار تاكل
الخطب، وجعل النحاس يسيل مكان، حتى لرم الحديد النحاس" اهـ.
هذا هو كلام هذا المفسر بنصه. وقال رحمه الله في معنى ﴿وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ
الْقَطْرِ﴾ أي أنبأنا له عين النحاس.

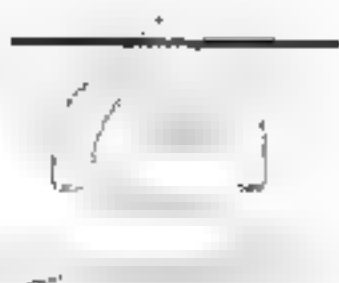
قال أهل التفسير: أجريت له عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء،
وكان بأرض اليمن. وقيل: أذاب الله لسليمان النحاس، كما ألان لسدود الحديد"
اهـ.

والتفسير الصحيح هو: أن القطر هو: البترول الذي يخرج من باطن
الأرض. وذلك لقوله: ﴿وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ﴾ والنحاس لا يسيل، والبترول

هو الذي يسيل. ولقوله: { أفرغ } أي أصب من الأوعية، والنحاس لا يُصب من الأوعية.

يقول الأستاذ هشام كمال عبد الحميد: "وبناء على ما سبق لا يبقى سد ينطبق عليه لوصاف سد ذي القرنين، سوى 'سد باب الحديد' الموجود في عمالة 'بلخ' بالقرب من مدينة 'ترمد' ببلاد التركمستان؛ فهذا السد الوحيد المبني من حديد مع نحاس مذائب" اهـ.

وإذا قلنا بأن دي القرنين خط زهر الحديد بشيء من زهر النحاس. ثم صبَّ على الزهر سائل البترول؛ فإن هذا القول يكون هو الصواب. لتشابه النحاس والحديد في حالة الإخراج من قنار. وإذا حلل المسلمون قطعة من حديد السد؛ فسوف تتبين لهم حقيقة.



الفصل الرابع

يأجوج وملجوج

في

القرآن والتوراة

في القرآن الكريم:

١- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْيَتَيْنِ قُلْ سَأَلْتُ عَنْهُنَّ مَثَلَهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنْ
مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآيَاتُنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَيِّئًا (٨٤) فَاتَّبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّى
إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا
ذَا الْقَرْيَتَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ مُعَذِّبٌ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُنْجِدُ فِيهِمْ حَسْبًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ
فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ
صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا (٨٩)
حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا
سَبِيلًا (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰ
إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣)
قَالُوا يَا ذَا الْقَرْيَتَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ
خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَسِرَ
فَأَعِثُّونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آثُوْنِي زَبْرًا حَدِيدًا حَتَّىٰ إِذَا
سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آثُوْنِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ

قَطْرًا (٩٦) فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴿٩٨﴾.

٢- ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٩٥) حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) واقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٩٨).

وفي التوراة:

يَا بَنِ آدَمَ اجْعَلْ وَجْهَكَ عَلَى جُوجَ. أَرْضُ مَأْجُوجَ. رَئِيسُ رُوشَ. مَاثُكْ وَتُوبَالُ، وَتَكْبَأُ عَلَيْهِ... فِي الْأَيَّامِ الْآخِرَةِ يَكُونُ...^(٩٩)

البيان:

من النبوءات الدالة على صحة نبوة محمد ﷺ في التوراة نبوءة "يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ"، وهي على صلة وثيقة بمعركة يوم القرب. وأصلهم من بلاد فارس وقد غزا الإسكندر الأكبر المقدوني لرضهم، ومالك عليهم، وبني سدًا يُعرف الآن في عصرنا هذا بسد باب الحديد، في مدينة "بلخ"، والفرغ على جدران السد من البترول الذي كان يخرج من العيون كما قال تعالى: {عَيْنَ الْقَطْرِ}.

وفي كتاب التوراة في سفر حزقيال النبي: لى قبائل يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ستحارب المؤمنين بالنبي الآتي من شعبه ومن بني إسرائيل، في الأيام الأخيرة

(٩٩) التكميل: ٨٣ - ٩٨.

(١٠٠) الأنبياء: ٩٦ - ٩٧.

لملك بني إسرائيل على الأرض، وهي الأيام الأولى لملك محمد ﷺ على الأرض. ولن هذه الحرب ستكون في "يوم الرب".

وقال كاتب سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي: إن معركة يوم الرب في "فلسطين" ستكون في منطقة "هرمجتون".

وإجماع مفسري التوراة حاصل على أن هلاك "ياجوج وماجوج"، سيكون في "يوم الرب"، في الأيام الأولى لظهور النبي الآتي الملقب بـ "المسيا". وقد بينا أنه هو محمد رسول الله ﷺ ذلك أن معركة ياجوج في فارس ومعركة هرمجتون في فلسطين هما معركة واحدة، وتقع في يوم واحد في فارس وفلسطين في آخر الأيام. ولما جاء الموعد المحدد من الله لهذه المعركة قسم المسلمون جيوشهم إلى قسمين: قسم توجه إلى فارس، وقسم توجه إلى الروم. وتمت هزيمة اليهود وشركائهم في وقت واحد في "يوم الرب".

النص:

وكان إلى كلام الرب قائلاً: يا ابن آدم اجعل وجهك على جوج أرض ماجوج رئيس رؤس مائتك وتوبل، وتبأ عليه وأقل: هكذا قال السيد الرب هلذا عليك ياجوج رئيس رؤس مائتك وتوبل، وأرجعك وأضع شكاتكم في فكك، وأخرجك أنت وكل جيشك خيلاً وفرساً، كلهم لابسين أحر لباس جماعة عظيمة مع أتراس ومجان، كلهم مهيئين السيوف. فارس وكوش ووط معهم بمجن وخوذة، وجومر وكل جيوشه، وبيت توجرمة من أقاصي الشمال مع كل جيشه شعوباً كثيرين معك. استعد وهب لنفسك أنت وكل جماعاتك المتجمعة إليك فصرت لهم موقراً. بعد أيام كثيرة تفتقد. في السنين الأخيرة تأتي إلى الأرض المستردة من السيوف المجموعة من شعوب كثيرة على جبال إسرائيل، التي كانت دائماً خربة للذين أخرجوا من الشعوب، وسكنوا آمنين كلهم. وتصعد وتأتي كزوبعة وتكون

كسحابة تغطي الأرض. أنت وكل جيوشك وشعوب كثيرين معك. هكذا قال السيد الرب.

ويكون في ذلك اليوم أن أمورا تخطر ببالك، فتفكر فكرياً رديئاً وتقول: إني أصعد على أرض أعراء. آتي قهلاء إلى المساكن في أمن. كلهم سساكنون بغير سور، وليس لهم عارضة ولا مصارع لسلب السلب ولغنى الغنى لرد يدك على حرب معمورة، وعلى شعب مجموع من الأمم المقتني ماشية وقنية. المساكن في أعالي الأرض شبا وددان وتجارة ترشيش وكل أثبالها يقولون لك: هل لسلب سلب أنت جاء؟ هل لغنى غنى جمعت جماعتك، لحمل للفضة والذهب لأخذ الماشية والقنية لذهب عظيم؟

لذلك تنبأ يا بن آدم وقل لجوج: هكذا قال السيد الرب. في ذلك اليوم عند مكنتي شعبي إسرائيل آمين. أفلا تعلم؟ وتأتي من موضعك من الأراضي الشمال، أنت وشعوب كثيرين معك، كلهم راكبون خيلاً جماعة عظيمة وجيش كثير. وتصعد على شعبي إسرائيل كسحابة تغطي الأرض في الأيام الأخيرة يكون: وأتي بك على أرضي لكي تعرفني الأمم حين تفتن إليك أمام أعينهم يا جوج.

هكذا قال السيد الرب: هل أنت هو الذي تكلمت عنه في الأيام القديمة عن يد عبيدي، أنبياء إسرائيل الذين تنبأوا في تلك الأيام منيناً أن آتي بك عليهم؟ ويكون في ذلك اليوم يوم مجيء جوج على أرض إسرائيل يقول السيد الرب: إن غضبي يصعد في أنفي. وفي غيظي في نار سخطي تكلمت: أنه في ذلك اليوم يكون رعد عظيم في أرض إسرائيل. فترعش أعمالي سمك البحر وطيور السماء ووحوش الحقل والنبات التي تنب على الأرض، وكل الناس الذين على وجه الأرض، وتندك الجبال، وتسقط المعازل، وتسقط كل الأسوار إلى الأرض. ولستدعي السيف عليه في كل جبلي. يقول السيد الرب: فيكون سيف كل واحد على أخيه. وأعاقبه بالوباء وبالدم، وأمطر عليه وعلى جيشه وعلى الشعوب

الكثيرة الذين معه مطراً جزفاً، وحجارة برد عظيمة وناراً وكبريتاً؛ فأتعظم وأقدس وأعرف في عيون أمم كثيرة؛ فيعلمون أنني أنا الرب.

وأنت يا بن آدم تتبأ على جوج وقل: هكذا قال السيد الرب: هاأنذا عليك يا جوج رئيس روش. مانشك وتوبال. ولردك وأصعدك من أقصى الشمال، وأتي بك على جبال إسرائيل. وأضرب قوسك من يديك اليسرى، وأسقط سهامك من يديك اليمنى. فتمسقط على جبال إسرائيل أنت وكل جيشك والشعوب الذين معك. لئذ لك مأكلاً للطيور الكاسرة من كل نوع، ولوحوش الحقل على وجه الحقل تسقط؛ لأنني تكلمت. يقول السيد الرب: وأرسل ناراً على ماجوج وعلى الساكنين في الجزائر آمنين؛ فيعلمون أنني أنا الرب. وأعترف باسمي المقدس في وسط شعبي إسرائيل، ولا أدع اسمي المقدس ينجس بعد، فتعلم الأمم أنني أنا الرب قدوس إسرائيل.

ها هو قد أتى وصار يقول السيد الرب: هذا هو اليوم الذي تكلمت عنه. ويخرج سكان مدن إسرائيل ويشغلون ويحرقون السلاح والمجاني والأكراس والقسي والسهام والحراب والرماح، ويوقدون بها القنار سبع سنين. فلا يأخذون من الحقل عوداً، ولا يحتطبون من الوعر؛ لأنهم يحرقون السلاح بالنار، وينهبون الذين نهبهم ويسلبون الذين سلبوهم.

يقول السيد الرب: ويكون في تلك اليوم أني أعطي جوجاً موضعاً هناك للقبر في إسرائيل وولدي عيلريم بشرقي البحر فيسدُّ نفس العابرين، وهناك يدفنون جوجاً وجمهوره كله، ويسمونه ولدي جمهور جوج. ويقبرهم بيت إسرائيل ليظهروا الأرض سبعة أشهر. كل شعب الأرض يقبرون ويكون لهم يوم تمجيدي مشهوراً.

يقول السيد الرب. ويفرزون أبنائاً مستخدمين عابرين في الأرض فعابرين مع العابرين. أولئك الذين بقوا على وجه الأرض تطهيراً لها. بعد سبعة أشهر يُقحصون فيعبر العابرون في الأرض. وإذا رأى أحد عظم إنسان يبني بجانبه صوة حتى يقبره القابرون في وادي. جمهور جوج - وأيضاً اسم المدينة همونة - فيطهرون الأرض.

وأنت يا بن آدم هكذا قال السيد الرب. قل لطائر كل جناح ولكل وحوش البر: اجتمعوا وتعالوا استشدوا من كل جهة إلى نبيحتي، التي أنا ذابحها لكم ديبحة عظيمة على جبال إسرائيل لتأكلوا لحماً وتشربوا دماً. تأكلون لحم الجبارة، وتشربون دم رؤساء الأرض كباش وحملان وأعتدة وثيران كلها من مسمّات باشان. وتأكلون الشحم إلى الشبع، وتشربون الدم إلى السكر من نبيحتي لكم. فتشبعون على مائنتي من الخيل والمركبات والجبارة وكل رجال الحرب.

يقول السيد الرب. وأجعل مجدي في الأمم، وجميع الأمم يرون حكمي الذي أجريته، وبدي التي جعلتها لطيمهم. فاعلم بيت إسرائيل أني أنا الرب إلههم من تلك اليوم فصاعداً. وتعلم الأمم أن بيت إسرائيل قد أجلوا بلئثمهم لأنهم خانوني فحببت وجهي عنهم وسلمتهم ليد مضارقيهم. فسقطوا كلهم بالسيف. كلجاستهم وكعاصيهم فقلت معهم وحببت وجهي عنهم.

لذلك هكذا قال السيد الرب: الآن أرد سبي يعقوب، وأرحم كل بيت إسرائيل، وأغار على اسمي القديس. فيحملون خزيهم وكل خياناتهم التي خانوني إياها عند سكنهم في أرضهم مطمئنين ولا مخيف. عند إرجاعي إياهم من الشعوب، وجمعي إياهم من أراضي أعدائهم، وتقديسي فيهم أمام عيون الأمم كثيرون أني أنا الرب إلههم بإجلاتي إياهم إلى الأمم، ثم جمعهم إلى أرضهم، ولا

أترك بعد هناك أحدا منهم، ولا أحب وجهي عنهم بعد؛ لأنني سكبت روحي على بيت إسرائيل. يقول السيد الرب^(٨١).

البيان:

يقول المفسرون: "ينفرد هذان الأصحابان بين نبوءات العهد القديم، في كونهما يصعلان قدام قوى أجنبية على شعب الله، بعد استهلال الملك المسيح^١". هذا هو قولهم بنصه، ومعناه: أن أعداء محمد ﷺ سيقومون على شعبه الذي هو شعب الله، ولن الأيام الأخيرة التي ستحدث فيه هذه المعركة هي الأيام الأولى لمحمد ﷺ الذي هو "المسيح الرئيس" بلغتهم.

ويقول هؤلاء المفسرون:

إن قول حزقيال: "في المسير الأخيرة يشير إلى عصر ملكوت السموات، الذي سيؤسسه "المسيح". ويستكملون على ذلك بما في سفر إشعياء وهو: "ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال، ونجري إليه كل الأمم. وتسير شعوب كثيرة ويقولون: هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب، فيطعمنا من طريقه، ونسلك في سبله؛ لأنه من صهيون تخرج التشريعة ومن أورشليم كلمة الرب. فوقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين، فيطعون سيوفهم سكناً ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفاً، ولا يتعلمون الحرب في ما بعد.

يا بيت يعقوب هلم فنصلك في نور الرب. فإنك رفضت شعبك بيت يعقوب؛ لأنهم امتلكوا من المشرق وهم عثمون كالفلسطينيين ويصافحون أولاد

(٨١) حزقيال: ٢٨، ٢٩.

الأجانب. وامتألت أرضهم فضة وذهباً ولا نهاية لكنوزهم، وامتألت أرضهم خيلاً ولا نهاية لمركباتهم. وامتألت أرضهم أوثاناً. يسجدون لعمل أيديهم. لما صنعتهم أصابعهم. ويخفض الإنسان ويبطرح الرجل؛ فلا تغفر لهم.

ندخل إلى الصخرة واحتبى في التراب من أمام هيبة الرب، ومن بهاء عظمته نوضع عبداً تشامخ الإنسان وتخفض رفعة، ويسمو الرب وهذه في ذلك اليوم. فإلى الرب الجنود يوماً على كل متعظم وعال، وعلى كل مرتفع فيوضع وعلى كل أرر لبدان العالي المرتفع، وعلى كل بلوط باثنان وعلى كل الجبال العالية، وعلى كل التلال المرتفعة، وعلى كل برج عال، وعلى كل سور مدبج، وعلى كل سفن ترشيش، وعلى كل الأعلام البهجة. فيخفض تشامخ الإنسان وتوضع رفعة الناس. ويسمو الرب وهذه هي تلك اليوم. وتزول الأوثان بنمامها. ويدخلون في مغائر الصخور وفي حقاير التراب من أمام هيبة الرب، ومن بهاء عظمته عند قيامه ليرعب الأرض (٨٢). ومعنى كلامهم: هو أن معركة يأجوج ومأجوج تكون في "يوم الرب" في آخر الأيام، الذي سيكون في "جبل ببيت الرب" وهو الكعبة البيت الحرام ثابتاً في رأس الجبال.

...

علامات يوم الرب في نبوءة يأجوج ومأجوج:

ويقول المعلقون على الكتاب المقدس في الشرق الأوسط: إن نبوءة يأجوج ومأجوج فيها علامات "يوم الرب" ومما جاء فيها: "تيرتعد من وجهي سمك البحر وطيور السماء ووحش البرية، وجميع الحيوانات للدابة على وجه الأرض، وجميع البشر الذين على وجه الأرض. وتندك الجبال وتسقط الحصون والأسوار كلها إلى الأرض".

يقول هؤلاء المعلقون: "هذه هي العلامات التي نكل على يوم الرب الديان" (راجع: إشعيا ٢: ١٠، وإرميا ٤: ٢٤، ويونيل ٤: ١٦).

"ادخل إلى الصخرة، لختبئ في التراب من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته"

"نظرت إلى الجبال وإذا هي ترتجف وكل الأكام تزلزلت".
 "يزلزل الرب من صهيون^(٨٢)، ومن اورشليم يطلق صوته، فترتعش السموات والأرض، ويكون الرب حمى لشعبه إسرائيل وحصناً لهم".

ومعنى ذلك: أن فتح المسلمين لبأجوج ومأجوج يكون في الأيام الأولى لظهور محمد ﷺ، ومعركة بأجوج ومأجوج ستكون من جانب بأجوج ومأجوج لهزيمة أنصار الله، الذين هم جنود النبي ﷺ، وستكون لمساعدة اليهود الكافرين به. وهزيمة اليهود الكافرين به. وهزيمة بأجوج ومأجوج في الأيام الأخيرة؛ هما بدلان على نزع ملكوت الله من اليهود، وتأسيس ملكوت النبي الأمي الآتي إلى العالم.

وتتمة ملكوت محمد ﷺ

وقد بين حزقيال في نبوءته هذه: أن المعركة ستكون على "جبال إسرائيل"، وأن المتحالفين مع جوج هم:

١- فارس (إيران) ٢- كوش (الحبشة)

٣- فوط (البيبا) ٤- الإمبراطورية الرومانية.

وقد أشار إليها بـ "جومر" (ألمانيا) لأنها هي الحد الشرقي للإمبراطورية الرومانية.

٥- توجرمة (أرمينيا = تركيا الحالية)

...

(٨٢) وضع صهيون اورشليم للتعريف، لأن النبي الأمي سيأتي من فلان من عند جبل الرب.

وهذه البلاد التي حاربت المسلمين في 'يوم الرب'، فقد وجه أبو بكر الصديق عليه السلام جند المسلمين إلى فارس والروم. وتم النصر للمسلمين في أيام عمر بن الخطاب في فارس وفلسطين. وهبطت الجيوش الإسلامية إلى مصر وليبيا، وامتدت المعارك والفتوحات، حتى زال ملك بني إسرائيل من العالم.

ويقول المسيحيون: إن معركة يوم الرب لم تحدث بعد. وأن المسيح عيسى عليه السلام سيظهر من قبل يوم الرب، وسيقود المعركة بنفسه أو بواسطة أنصاره. وقولهم هذا لا تشهد له الكتب. فإن المسيح قد قال فيها: 'ولست أنا بعد في العالم' ^(٨٤). وقال: 'مملكتي ليست من هذا العالم' ^(٨٥).

وقد زالت الروم على يد المسلمين، ولم تزل على يد غيرهم. وفتحت على أيديهم بلاد يأجوج ومأجوج، وانتشر فيها الإسلام كما قال الله تعالى: 'لواقرب' ^(٨٦) للوعد الحق ^(٨٧) بفتحها.

وقد وصف الله أصحاب محمد عليه السلام في فتوراة بأنهم مجاهدون في سبيل الله، ولا يخشون لومة لائم. ومن تلك قوله في سفر يونس النبي: 'اضربوا بالبوق في صهيون صهيون ^(٨٨) كجبل النسي. ليرتعد جميع سكان الأرض؛ لأن يوم الرب قائم لأنه قريب. يوم ظلام وققام يوم غم وضباب مثل الفجر ممتداً على الجبال. شعب كثير وقوى لم يكن نظيره منذ الأزل، ولا يكون أيضاً بعده إلى سني دور فدور. قدامه نار تأكل وخلفه لهيب يحرق. الأرض قدامه كجنة عدن وخلفه قفر خرب، ولا تكون منه نجاة. كمظفر الخيل منظره ومثل الأفراس يركضون. كصريف المركبات على رموس الجبال يثبون. كزفير لهيب نار تأكل قشاً. كقوم هرباء مصطلمين للقتال. منه ترتعد الشعوب. كل

(٨٤) يو: ١٧: ١١.

(٨٥) يو: ١٨: ٣٦.

(٨٦) الأنبياء: ٩٧.

الوجوه تجمع حمرة. يجرون كأبطال. يصعدون السور كرجال الحرب، ويمشون كل واحد في طريقه ولا يغيرون مسلحهم. ولا يزاحم بعضهم بعضًا. يمشون كل واحد في سبيله، وبين الأسلحة يقعون ولا ينكسرون. يترأضون في المدينة يجرون على السور يصعدون إلى البيوت يدخلون من الكوى كاللص. قدامه ترتعد الأرض وترتجف السماء. الشمس والقمر بظلمان والنجوم تعجز لمعانها. والرب يعطي صوته أمام جيشه. إن عسكره كثير جدًا. فإن صانع قوله قوي؛ لأن يوم الرب عظيم ومخوف جدًا. فمن يطيقه؟^(٨٧).

وهؤلاء الأصحاب لهم الذين خاضوا معارك يوم الرب، وهزموا أعداء الله. هزموا ياجوج وماجوج وحلفائهم من اليهود الكافرين والمسيحيين الكافرين. ومعارك يوم الرب لم تكن لصالح اليهود. وهي لنصرة "المبسا" الآتي في أيامهم الأخيرة. واليهود يعرفون من كتب أنبيائهم أنها ليست لصالحهم، ومع ذلك تحالفوا مع الأمم ضد شعب الله الآتي.

...

ومما جاء في كتب الأنبياء عن فن معارك يوم الرب لن ينصروا فيها؛ هذه النصوص:

أولاً: في سفر حزقيال:

"وأنت أيها النجس الشرير رئيس إسرائيل الذي قد جاء يومه في زمان إثم النهاية، هكذا قال السيد الرب: لأزيع العمامة أرفع التاج هذه لا تلك. أرفع الوضيع وضع الرفيع. منقلبًا منقلبًا منقلبًا لجعله. هذا أيضًا لا يكون حتى يأتي الذي له الحكم^(٨٨) فأعطيه إياه^(٨٩)."

^(٨٧) يوثيل: ٢.

^(٨٨) الذي له الحكم: هو شيلون في نبوة يعقوب (تك ٤٩: ١٠) وهو محمد ﷺ.

^(٨٩) حزقيال: ٢١: ٢٥-٢٧.

ثانياً: في سفر يونس:

قول الرب الذي صار إلى يونس بن فنونيل:

"اسمعوا هذا أيها الشيوخ واصغوا يا جميع سكان الأرض. هل حدث هذا في أيامكم لو في أيام آبائكم. أحبروا بكم عنه وبنوكم ببيهم وبنوهم بولاء آخر. فضلة القمح أكلها الزحاف، وفضلة الزحاف أكلها الغوغاء، وفضلة الغوغاء أكلها الطيار. اصحوا أيها السكارى، وبكوا، وولولوا يا جميع شاربى الخمر على العصور، لأنه انقطع عن أفواهكم إذ قد صنعت على أرضى أمة قوية بلا عدد. أسنانها أسنان الأسد ولها أصراس اللبوة. جعلت كرمي خربة وتينتي مهشمة. قد قشرتها وطرحتها فابيضت قصبانها. نوحى يا لرضى كمسروس مؤتزة بمسح من أجل بل صباها. فقطعت النخلة والسكيب عن بيت الرب. ناحت الكهنة خدام الرب. تلف للحقل ناحت الأرض؛ لأنه قد تلف القمح، جف المسطار، ذبل الزيت. خجل الفلاحون وولول الكرامون على الحنطة وعلى الشعير؛ لأنه قد تلف حصيد الحقل. قجعة بيسك والتينة ذبلت. الزمانة والنخلة والنفاحة كل أشجار الحقل بيسك. إنه قد بيسك المهجة من بني البشر.

تتطفوا ونوحوا أيها الكهنة. ولولوا يا خدام المنبح. انخلوا بيتوا بالمسوح يا خدام إلهي؛ لأنه قد لمتع عن بيت إلهكم النخلة والسكيب. قمعوا صوماً نادوا باعتكاف لجمعوا الشيوخ جميع سكان الأرض إلى بيت الرب إلهكم، واصرخوا إلى الرب. آه على اليوم؛ لأن يوم الرب قريب يأتي كخراب من القادر على كل شيء. أما انقطع الطعام تجاه عيونتنا. الفرح والابتهاج عن بيت إلهنا. عفت الحبوب تحت مدرها؛ ظلت الأمراء، تهدمت المخازن؛ لأنه قد بيس القمح. كم تنن البهائم هامت قطعان البقر؛ لأن ليس لها مرعى حتى قطعان الغنم تقنى. إليك يا رب اصرخ؛ لأن ناراً قد لكنت مراعى البرية ولهبياً أحرق جميع أشجار

الحقل. حتى بهائم الصحراء تنظر إليك؛ لأن جداول المياه قد جفت والنار أكلت مراعي البرية»^(٩٠).

جبال إسرائيل:

ويقول حزقيال: إن تجمع الأمم ضد النبي الآتي وضد المؤمنين به من بني إسرائيل؛ سيكون على جبال إسرائيل. وذلك لأن المعارك ستثور في البلاد التي يملك عليها بنو إسرائيل، وهي فلسطين عاصمة ملكهم وماحولها، وفارس وماحولها. الذين يسكنون فيها تحت الجزية من أيام سبي بابل. وكانوا قد فتحوها من قبل سبي بابل، وملكوا عليها، ونشروا فيها التوراة. ويدل على ذلك: توبة أهل نينوى على يد يونس النبي. وقصته معهم مذكورة في التوراة وفي القرآن. وقد أصدر ملك بابل أمراً بعبادة الله في جميع مدن المملكة. ومن النصوص الدالة على ذلك:



في سفر دانيال:

١- "وعند انتهاء الأيام أنا نبوخذ نصر رفعت عيني إلى السماء، فرجعت إلى عظمي، وباركت العلي وسبحت وحمدت الحي إلى الأبد، الذي سلطانه سلطان أبدي وملكوته إلى نور دور. وخُصبت جميع سكان الأرض كلها وهو يفعل كما يشاء في جند السماء وسكان الأرض، ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل. في ذلك الوقت رجع إلى عظمي وعاد إلي جلال مملكتي ومجدي وبهائي، وطلبني مشيري وعظمتائي، وثبتت على مملكتي، وازدادت لي عظمة كثيرة. فالآن أنا نبوخذ نصر أصبح وأعظم وأحمد ملك السماء الذي كل أعماله حق وطريقه عدل، ومن يملك بالكبرياء فهو قادر على أن يثله"^(٩١).

^(٩٠) يونس: ١.

^(٩١) دانيال: ٤.

٢- فأجاب نبوخذ نصر وقال تبارك إله شدرخ وميشخ وعبد نعو، الذي أرسل ملاكه، وأنقذ عبيده الذين اتكلوا عليه، وغرروا كلمة الملك، وأسلموا أجسادهم؛ لكيلا يعبدوا أو يسجدوا لإله غير إلههم. فمني قد صدر أمر بأن كل شعب وأمة ولسان يتكلمون بالسوء على إله شدرخ ومشيخ وعبد نعو، فإنهم يصيرون إربًا إربًا، وتجعل بيوتهم مزبلة إذ ليس إله آخر يستطيع أن ينجي هكذا^(٩٢).

٣- وحلم ملك بابل حلمًا، هو حلم لتمثال والحجر. وقد عبره له دانيال تعبيرًا حسنًا. وفي أثناء التعبير عرفه بالله ~~تعالى~~. وحدثه عن مجيء محمد ﷺ للرموز إليه بالحجر. وقال الملك لدانيال: "حقًا إن إلهكم إله الآلهة ورب الملوك وكاشف الأسرار".

"حينئذ مضى دانيال إلى بيته وأعلم حنانيا وميشائيل وعزريا أصحابه بالأمر؛ ليطلبوا للمراحم من قبل إله المصروفين من جهة هذا السر؛ لكيلا يهلك دانيال وأصحابه مع سائر حكماء بابل.

حينئذ لدانيال كشف السر في رؤيا التمثال. فبارك دانيال إله السموات. أجاب دانيال وقال: ليكون اسم الله مباركًا من الأزل وإلى الأبد له الحكمة والجبروت. وهو يغير الأوقات والأزمنة يعزل ملوكًا وينصب ملوكًا، يعطي الحكماء حكمة، ويعلم العارفين فهما. هو يكشف العمائق والأسرار، يعلم ما هو في الظلمة وعنده يسكن النور. إياك يا إله آبائي أحمد وأسبح، الذي أعطاني الحكمة والقوة، وأعلمني الآن ما طلبناه منك؛ لأنك أعلمتنا أمر الملك. فمن أجل ذلك دخل دانيال إلى أربوخ الذي عنده الملك لإبادة حكماء بابل مصرى، وقال له هكذا: لا تبد حكماء بابل. أدخلني إلى قدام الملك فلبيس للملك التعبير.

حينئذ دخل أريوخ بدانيال إلى قدام الملك مسرعاً وقال له هكذا: قد وجدت رجلاً من بني سبي يهودا الذي يعرف الملك بالتعبير. أجاب الملك وقال لدانيال الذي اسمه يطلشاصر: هل تستطيع أنت علي أن تعرفني بالحلم الذي رأيت وبتعبيره؟ أجاب دانيال قدام الملك وقال: السر الذي طلبه الملك لا تقدر الحكماء ولا السحرة ولا المجوس ولا المنجمون علي أن يبيوه لملك، لكن يوجد له في السموات كاشف الأسرار. وقد عرّف لملك نبوخذ نصر ما يكون في الأيام الأخيرة. حلمك ورؤيا رأسك علي فراشك هو هذا: أنت يا أبها الملك أفكارك علي فراشك صعدت إلي ما يكون من بعد هذا، وكاشف الأسرار يعرفك بما يكون. أما أنا فلم يكشف لي هذا السر لحكمة في أكثر من كل الأحياء. ولكن لكي يعرف الملك بالتعبير ولكي تعلم أفكار قلبك.

أنت أبها الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم، هذا التمثال العظيم البهي جداً وقف قبالتك ومنظره هائل، رأس هذا التمثال من ذهب جيد، صدره ونراعه من فضة، بطنه وفخذه من نحاس. ساقاه من حديد. فعماء بعضهما من حديد والبعض من خزف. كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يد من نصوب التمثال علي قاعدتيه اللتين من حديد وخزف فسحقهما؛ فانصق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً، وصارت كعاصفة اليبس في الصيف، فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان. أما الحجر الذي صرب التمثال، فصار جبلاً كبيراً وملاً الأرض كلها. هذا هو الحلم. فنخبر بتعبيره قدام الملك.

أنت أبها الملك ملك ملوك؛ لأن إله السموات أعطاك مملكة واقتداراً وسلطاناً وفخراً. وحيثما يسكن بنو البشر ووحوش البر وطيور السماء دفعها إليك، وسلطك عليها جميعها، فأنت هذا الرأس من ذهب. وبعثك تقوم مملكة أخرى أصغر منك، ومملكة ثالثة أخرى من نحاس، هيتمسك علي كل الأرض. وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد؛ لأن الحديد يثق ويسحق كل شيء، وكالحديد

الذي يكسر تسحق وتكسر كل هؤلاء. وبما رأيت القنمين والأصابع بعضها من خرف والبعض من حديد؛ فالمملكة تكون منقسمة، ويكون فيها قوة الحديد من حيث إنك رأيت الحديد مختلطاً بخرف الطين. وأصابع المقدمين بعضها من حديد والبعض من خرف، فبعض المملكة يكون قوياً والبعض قصفاً. وبما رأيت الحديد مختلطاً بخرف الطين، فإنهم يختلطون بمنزل الناس، ولكن لا يتلاصق هذا بذلك كما أن الحديد لا يختلط بالخرف.

وفي أيام هؤلاء الملوك بقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبداً، وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفتني كل هذه الممالك، وهي تثبت إلى الأبد لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا يدين، سحق الحديد والنحاس والخرف والفضة والذهب الله العظيم قد عرف قملك ما سياتي بعد هذا. الحلم حق وتعبيره يقين.

وحينئذ خر نبوخذ نصر على وجهه وسجد لدانيال وأمر بأن يقدموا له تقمة وروائح سرور. فأجاب الملك دانيال وقال: حقاً إن إلهكم إله الآلهة ورب الملوك وكاشف الأسرار؛ إذ استطعت على كشف هذا السر.

ومن ذلك يعلم: أن أهل فارس كانوا مسلمين على شريعة التوراة. من قبل مسي بابل بكثير. وأنه لما ظهر عيسى عليه السلام وبشر أتباعه بمحمد ﷺ في بلاد فارس، وإيران، وأفغانستان - أرض يأجوج ومأجوج -، صار أهل هذه البلاد يهوداً ونصارى. والرائون لنبوة محمد ﷺ منهم ساعدوا لليهود في فارس وفلسطين ضده في يوم الرب.

وقد حزقيال البلاد التي ستكون مع يأجوج ومأجوج ضد المسلمين بقوله:

قلرس وكوش وفوط معهم. كلهم بمن وخودة وجومر وكل جيوشه، وبيت ونوجرمة من أقاصي الشمال مع كل جيشه. شعباً كثيرين معك.

وقال حرفيאל^(٩٢): إن شبا وددان ونجار ترشيش وكل أئبالها سيتعجبون من هذه الحرب. وشبا: هي أرض سبأ. أرض اليمين السعيد. ونوح ~~نوح~~ أنجب

(٩٣) وهذه مولد بني نوح سام وحام ويافث. وولدهم بنون بعد الطوفان.

١- بنو يافث: جومر وماجوج ومداي وياولن ونوبال وماشك ونيراس

أ- وبنو جومر: أشكار وريفاث وتجرمة.

ب- وبنو ياولن: أليشة وترشيش وكثيم وددانيم من هؤلاء تفرقت جرائر الأمم بأراضيهم كل إنسان كلسانه حسب قبائلهم بأسمهم.

٢- وبنو حام: كوش ومصرام وفوط وكنعان.

أ- وبنو كوش: سبأ وحويلة وسبئة ورعة وسبتكا. وبنو رعة: شبا وددان. وكوش ولد نمرود الذي ابتدا يكون جبلا في الأرض. الذي كان جبار صيد أمام الرب لذلك يقال كنمرود جبار صيد أمام الرب، وكل ابتدا مملكته بنيل وأره وأكم وكلنة في أرض شنعار. من تلك الأرض خرج آشور وبني بنوي ورحوبونل عير وكلفح ورس بنو بنوي، وكالف هي المدينة الكبيرة.

ومصرام ولد: لوديم وعنام ولهايم وبفتوحيم وفتروسيم وكسلوحيهم، الذين خرج منهم فلسطين وكفتوريم.

وكنعان ولد: صيدون بكره وحنان والبيوسي والأموري والجرجاشي والحوي والعراقي والسيني والأروادي والصماري والعماني. وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني، وكان تخوم الكنعاني من صيدون حينما تجيء نحو جرار إلى غزة، وحينما تجيء نحو سدوم وعمورة وأمنة وسبوييم إلى لاثع. هؤلاء بنو حام حسب قبائلهم كلستهم بأرضهم وأسمهم. =

٣- وسام أبو كل بني عابر يافث ولد له ليمنا بنون. بنو سام: عنام وأشور وأرفكشاد ولود وأرام.

أ- بنو آرام: عوص وحول وجائر وماش.

ب- وأرفكشاد ولد: شالح وشالح ولد عابر، ولعبر ولد ليدان اسم الولد فالج؛ لأن في أيامه قسمت الأرض، واسم أخيه بقتان. ويقطن ولد: المودد وشالب وحصرموت ورياح وهولام ولوزال ونقلا وحويل وأيمليل وشبا ولوهير وحويلة = = ويوباب. وجميع هؤلاء بنو بقتان

حام، وحام أنجب كوش. وبنو كوش: سبأ وحويلة وسبقة ورمعة وسبتكا. وبنو
رمعة: شبا وددان.

ومعنى كلامه: هو أن سكان بلاد العرب سينعجبون من تجمع هذه البلاد
عليهم؛ لأنهم لا يملكون لموالاً يأخذونها بعد انتهاء الحرب، فكان الكاتب يشير
بهذا العجب إلى أنها معركة دينية.

الحرب للرب:

وقال حزقيال: إن في معركة بأجوج ومأجوج سينجو المؤمنون بالأنبي
الآتي، وسيهلك الكافرون به. وقال حزقيال: هذا الهلاك قد تنبأ به من قبل أنبياء
إسرائيل في الأيام القديمة. ووصف شدة المعركة بعبارات كناثية في غاية
المبالغة تناسب شدتها. وقال فيها: إن إسرائيل ستهلك ليكون في ذلك اليوم
ارتعاش عظيم على أرض إسرائيل **فلذا كانت إسرائيل ستهلك مع الجيوش**
المتحالفة مع بأجوج ومأجوج. فمن يكون هو الشعب المنتصر في هذه المعركة؟
لا بد أنه شعب غير اليهودي، لأن جميع الأمم في معركة يوم الرب هذه متحالفة
مع اليهود. كما قال الله عنها: ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ
بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(١١). والذي يدل على أن الحرب للرب، من أجل نصرة
دينه الذي سيأتي به النبي ﷺ قوله: قَاتِلْهُمْ وَانْقَسِمْ أَعْرَفَ نَفْسِي عَلَى عَيُونِ أُمَّمٍ
كَثِيرَةٍ؛ فَيُعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ.

وكل مسكنهم من ميثا حينما تجيء نحو سفار جبل المشرق. هؤلاء بنو سام حسب قبائلهم
كألسنتهم بأراضيتهم حسب أسمهم.

هؤلاء قبائل بني نوح حسب مواليتهم بأسمهم. ومن هؤلاء تفرقت الأمم في الأرض بعد
الطوفان (تكوي، ١٠).

(٩٤) التمل: ٨٣.

وعبر عن أن الله هو الذي يدير هذه المعركة بواسطة رسالة بقوله:
"وأرسل نارا على ماجوح، وعلى الساكنين في الجزر لمنين؛ فحطمون أني أنا
الرب، أعرف اسمي القدوس في وسط شعبي إسرائيل، ولا ادع اسمي القدوس
يُنْتَسَب بعد اليوم؛ فقطع الأمم أني أنا الرب وأنا القدوس في إسرائيل" وقوله: "بعد
اليوم" يدل على أنه لا شريعة بعد شريعة محمد ﷺ.

تنبؤ أنبياء بني إسرائيل بنصر الله في يوم الرب:
يقول حزقيال: "هكذا قال السيد الرب: أكنت أنت الذي تكلمت عنه في
الأيام القديمة على السنة عبيدي أنبياء إسرائيل، المنتسبين في تلك الأيام وطول
السنين بأنني سأجلبك عليهم....".

يقول المفسرون: تجد عند الأنبياء الأكمنين تلمحات إلى اجتياح مقل
على سبيل المثال: (إرمياء ٣ - ٦)، ولكن يبدو أنه يفكر في أنبياء أقدم من
إرمياء. هذا هو قولهم بنصه، وهو يظهر أن التوراة محرفة؛ لأن إرمياء معاصر
لحزقيال، ولكن ما يشبه ما كان عند الأنبياء الأكمنين. في الأصحاح الثالث إلى
نهاية السادس.

وذلك لأن الأنبياء الأكمنين رددوا ما قاله موسى ^{عليه السلام} عن النبي الأكمن،
وهو أنه إذا جاء بهلك الكافرين به من اليهود الأمم، في الأيام الأولى لظهوره.
وقد ردد كلامه كاتب سفر أعمال الرسل، فقال:

"والآن أيها الإخوة أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم كما رؤسواكم أيضا. وأما
الله فما سبق وأنبا به بأفواه جميع أنبيائه أن يتكلم المسيح قد نمه هكذا. فتوبوا
وارجعوا لتحمي خطاياكم لكي تأتي أوقات قفرج من وجه الرب. ويرسل يسوع
المبشر به لكم قبل. الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء التي تكلم

عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر. فإن موسى قال للأنبياء: يا بنيًا
 مثلي سيقم لكم الرب إلهكم من إخوانكم له تسمعون في كل ما يكلمكم به. ويكون
 لي كل نفس لا تسمع لذلك النبي؛ تُباد من الشعب. وجميع الأنبياء أيضًا من
 صموئيل فما بعده. جميع الذين تكلموا؛ سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام. أنتم أبناء
 الأنبياء والعهد الذي عاهد به الله آبائنا قائلًا لإبراهيم: وبفسلك تتبارك جميع
 قبائل الأرض^(٩٥).

ومحرف سحر الأعمال وضع عيسى عليه السلام مكان محمد ﷺ، وهو يعلم أن
 الأيام الأخيرة لم تكن في زمانه.

•••

ويكتفي بذكر الأصحاح السادس من إرمياء للدلالة على نزع الملك من
 اليهود في يوم الرب^(٩٦):

"اهربوا يا بني بنيامين من وسط أورشليم، واصربوا بالبوق في تقوع،
 وعلى بيت مكلم لرفعوا علم نار؛ لأن الشر أشرف من الشمال وكسر عظيم.
 الجميلة الطبيعة ابنة صهيون أهلكها. إليها تلتقي قرعاة وقطعانهم، ينصبون عندها
 خيامًا حولها يرعون كل واحد في مكانه، قنعوا عليها حربًا قوموا فنصعد في
 الظهيرة. ويل لنا؛ لأن النهار مل؛ لأن طلال المساء امتدت. قوموا فنصعد في
 الليل وبهدم قصورها.

لأنه هكذا قال رب الجنود: اقتطعوا أشجارًا. أقموا حول أورشليم مترسة.
 هي المدينة المعاقبة. كلها ظلم في وسطها. كما تتبع العين مياهها هكذا تتبع هي
 شرها. ظلم وخطف يُسمع فيها. أمانى دائمًا مرض وضرب. تأنى يا أورشليم؛
 لنلا تجفوك نفسي؛ لنلا أجعلك خرابًا لرضا غير مسكونة.

(٩٥) أصل: ٢.

هكذا قال رب الجنود. تعليلاً يعللون كجفة بقية إسرائيل. رد بنك كقاطف إلى السلال. من أكلهم وأنذرهم فسمعوا؟ ها إن أنثهم غلفاء فلا يقدرون أن يصغوا. ها إن كلمة الرب صارت لهم عاراً لا يُسرون بها. فامتألت من غيظ الرب مثل البطاقة. اسكبه على الأطفال في الخارج وعلى مجلس الشبان معاً لأن الرجل والمرأة يؤخذان كلاهما والشيخ مع الممثلة أياً ما. وتتحول بيوتهم إلى آخرين. الحقول والنساء معاً لأنني لمد يدي على سكان الأرض. يقول الرب: لأنهم من صغيرهم إلى كبيرهم كل واحد مولع بالربح. ومن النبي إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب، ويشفون كسر بيت شعبي على عثم قائلين: سلام ولا سلام. هل خزوا لأنهم عملوا رجساً؟ بل لم يحزوا خزيًا ولم يعرفوا الخجل، لذلك يسقطون بين الساقطين. في وقت معاقبتهم يعزرون. قال الرب.

هكذا قال الرب: قفوا على الطرق وانظروا واسألوا عن السبل القديمة أين هو الطريق الصالح؟ وسيروا فيه فتحدوا راحة النفوسكم، ولكنهم قالوا لا نسير فيه. وأقمت عليكم رقباء قائلين: اصغوا لصوت البوق. فقالوا: لا نصغي. لذلك اسمعوا يا أيها الشعوب، واعرفي أينها للجماعة ما هو بينهم. اسمعي أينها الأرض هأنذا جالب شراً على هذا الشعب. ثمر أفكارهم لأنهم لم يصغوا لكلامي وشريعتي رفضوها. لماذا يأتي لي اللبان من شبا وقصب الزريرة من أرض بعيدة؟ محرفاتكم غير مقبولة ونبأحكم لا تذل لي. لذلك هكذا قال الرب: هأنذا جاعل لهذا الشعب معثرات فيعثر بها الأبناء والأبناء معاً. لجار وصاحبه يبيدان. هكذا قال الرب. هو ذا شعب قائم من أرض الشمال ولمة عظيمة تقوم من أقاصي الأرض. تمسك القوس والرمح. هي قاسية لا ترحم. صوتها كالبحر يعج، وعلى خيل تركب، مصطفة كإنسان لمحاربته يا بنو صهيون. سمعنا خبرها. ارتخت أيدينا أمسكنا ضيق ورجع كالمحاض. لا تخرجوا إلى الحقل وفي الطريق لا تمشوا لأن سيف العدو خوف من كل جهة.

يا بنة شعبي تنطقي بمسح وتمرغي في الرماد. نوح وحيداً اصنعي لنفسك
مناحة مرة؛ لأن المخرّب يأتي علينا بغتة. قد جعلتك برجاً في شعبي حصناً
لتعرف وتمتحن طريقهم. كلهم عصاة منمرنون ماعون في الوشاية. هم نحاس
وحديد كلهم مفسدون. احترق المسفاخ من النار. فني الرصاص. باطلاً صاغ
للصانع، والأشغال لا يفرزون. فضة مرفوضة يُدعون؛ لأن الرب قد
رفضهم» (١١).

...

عودة بأجوج ومأجوج إلى الله:

ولقد بينا من قبل أن بني إسرائيل فتحوا بلاد فارس وبلاد بأجوج
ومأجوج. وملكوا عليها، ونشروا فيها الإسلام على شريعة موسى. فلما يونس
كان قد توجه من قبل الله إلى نينوى ليأمرهم بالتوبة إلى الله. وعصيانهم
يدل على أنهم قد آمنوا بالله وقلبوا شريعتهم. ولما زحزحهم الشيطان عن الطاعة،
وعظّمهم يونس. وانتقموا بوعظه. فلي سفر يونس:
... وناد لها المنداة التي أَلَدَ سَكَمُكَ تَهَا مَبْدَى

فقام يونس وذهب إلى نينوى بحسب قول الرب. أما نينوى فكانت مدينة
عظيمة لله مسيرة ثلاثة أيام. فابتدأ يونس يدخل المدينة مسيرة يوم واحد وبادى
وقال: بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى.

فلما نزل نينوى بالله، وناموا بصوم، ولبسوا مَسُوحاً من كبرهم إلى
صغيرهم. وبلغ الأمر ملك نينوى، فقام عن كرسيه، وخلع رداه عنه، وتغطى
بمسح، وجلس على الرماد. ولودي وقيل في نينوى عن أمر الملك وعظماائه
قائلاً: لا تنق الناس ولا البهائم ولا الثور ولا الغنم شيئاً. لا ترع ولا تشرب ماء.
وليتغط بمسوح الناس والبهائم، ويصرحوا إلى الله بقدة، ويرجعوا كل واحد عن

طريقه الرديئة، وعن الظلم الذي في أيديهم. لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حُمو غضبه؛ فلا نهلك.

فلما رأي الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة؛ ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم؛ فلم يصنعه.

فهم ذلك يونان غمًا شديدًا فاغتاظ وصلى إلى الرب وقال: آه يا رب أليس هذا كلامي إذا كنت بعد في أرضي؟ لذلك بالرت إلى الهرب إلى ترشيش؛ لأنني علمت أنك إله رموح ورحيم بطيء الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر. فالآن يا رب خذ نفسي مني؛ لأن موتى خير من حياتي. فقال الرب: هل اغتظت بالصواب؟

وخرج يونان من المدينة وجلس شرقي المدينة، وصنع لنفسه هناك مظلة، وجلس تحتها في الظل حتى يرى ماذا يحدث في المدينة. فأعد الرب الإله يقطينة فارثقت فوق يونان؛ لتكون ظلًا على رأسه لكي يخلصه من غمه. فخرج يونان من أجل اليقطينة فرحًا عظيمًا. ثم أعد الله نوبة عند طلوع الفجر في الغد؛ فضربت اليقطينة فريمت. وحدث عند طلوع الشمس أن الله أعد ريحًا شرقية حارة، فضربت الشمس على رأس يونان فذبل. فطلب لنفسه الموت وقال: موتى خير من حياتي.

فقال الله ليونان: "هل اغتظت بالصواب من أجل اليقطينة؟ فقال: اغتظت بالصواب حتى الموت. فقال الرب: أنت شجعت على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا ربيتها التي بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت. أفلا أشفق أنا على نيسوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من مئتي عشرة رهوة من الناس، الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم وبهائم كثيرة^(٩٧)."

(٩٧) يونان: ٤، ٣.

وفي القرون الكريم: ﴿قُلُوبًا كَانَتْ قَرِيَّةً آمَنَتْ فَتَنَعَهَا إِغَاثَهَا إِلَّا قَوْمَ
يُوسُفَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غِظَابَ الْحَزَنِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَتَّبَعْنَاهُمْ إِلَى
حِينٍ﴾ (٩٨).

وفي الإنجيل يذم المسيح اليهود على عدم توبتهم، ويذكرهم بقوم يوس،
وهم من عراق العرب، وأيضاً يذكرهم بملكة سبأ التي أسلمت مع سليمان لله رب
العالمين. وهم ليسوا من اليهود.

يقول المسيح عيسى عليه السلام:

«رجال نبنوى سيقومون في القديس مع هذا الجبل ودينونه، لأنهم تسابوا
بمصاداة يوسا. وهو ذا أعظم من يوسا ها هنا.

ملكة النشمن ستقوم في القديس مع هذا الجبل ودينونه، لأنها أتت من أقاصي
الأرض لتسمع حكمة سليمان. وهو ذا أعظم من سليمان ها هنا» (٩٩).

وعبر حزقيال بعودة يأجوج ومأجوج إلى دين الله بقوله: «وأرجعك وأضع
شكاتكم في فكبك...» ولكنه لا يرجعهم إليه دين موسى. وذلك لأن النبي المكتوب
عنه في التوراة هو الذي يحاربهم مع اليهود والأمم التي نأت عن شريعته
للدخول في دينه. وقد عبر الله عن هذا المعنى بقوله: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرِيَّةٍ
أَهْلُكُنَّهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (١٠٠).

ويقول مفسرو التوراة: إنه من بعد هزيمة يأجوج ومأجوج يستولى الرب
على جوج، ويكرمه على الطاعة. يعون: أنهم سيدخلون في مملكة الرب
الجديدة. أي أن الحرب دينية لإقرار دين جديد في الأرض. ولذلك ختم الكلام

(٩٨) يونس: ٩٨.

(٩٩) متى: ١٢: ٤١ - ٤٢.

(١٠٠) الألقاب: ٩٥.

عن المعركة بقوله: فأجعل مجدي في الأمم، وتري جميع الأمم حكمي الذي أجريته، وبدي التي وضعتها عليها".

جُوج:

في القرآن يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ^(١٠١) ولم يذكر اسم 'جوج'. وفي التوراة: 'أجعل وجهك نحو جوج في أرض ماجوج. رئيس وقائد ماشك وتوبل'. ماشك وتوبل: هما بلدان من آسيا الصغرى (راجع: حر ٢٧: ١٣، وإش ١٦: ٢١). ويرد ذكر "أرض جوج" في هذه الفقرة وفي حزقيال ٣٩: ٦ فقط.

وتعني كلمة 'ماجوج': 'أرض جوج' لما جوج فص العبت أن نحلول أن نعرف شيئاً عنه. لعل وصفه مقتبس من ملامح عدة شخصيات معاصرة مهما يكن من أمر؛ فإنه مصور بصورة مثل الماتح البربري الذي سيجلب على إسرائيل في مستقبل بعيد وغير واضح؛ ما سيصيبه من محن أخيرة^(١٠٢). أمـ وفي القرآن الكريم: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾^(١٠٣) وهو يشير إلى اليهود الذي قال لهم مهيحاً على الإيمان: ﴿إِنْ قُلْتُمْ آمَنَّا بِأَمْرِ رَبِّكُمْ فَأَعْبُدُوا﴾^(١٠٤).

هؤلاء اليهود الذين لما بعث محمد ﷺ تغلبوا في البلاد لحشر اليهود والأمم في فلسطين وغيرها لحربه. وقد استجاب لهم فارس وكوش وفوط وجومر وبيت توجرمة وشعوب كثيرة؛ أتوا من كل حدب ينسلون إلى فلسطين. وغرضهم:

(١٠١) الأنبياء: ٩٦.

(١٠٢) تعليق دار المشرق بلبنان.

(١٠٣) الأنبياء: ٩٦.

(١٠٤) الأنبياء: ٩٢.

إيادته جيش المسلمين الذي بعثه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لفتحها. ثم النزول إلى أرض العرب الآمنة والناجية من تحكم الأمم الوثنية عليهم. ووصف نيتهم صد العرب المسلمين بقوله: إنهم يفكرون في قلوبهم أن يصلوا إلى أرض المدن غير الممورة كناية عن إنها أرض بدو وخيام. وليس لبيوتهم أسوار ولا مزاليج ولا مصاريع. والسبب في هجومهم على هذه الأرض الآمنة: أنهم هل يريدون السلب والنهب والماشية والأموال من هذا الشعب الآمن، الذي يسكن وسط الأرض ؟

قلب الأرض المقدسة والشعب

الذي يسكن في وسط الأرض:

هم شعب العرب؛ لأن مكة المكرمة في وسط الأرض. ولأنه تكلم عن شبا وددان، وهم مجاورون لمكة. وترجمة اللطيفة "سرة الأرض"، وليست لورشليم "سرة الأرض" أي مركز العالم. وفي ترجمة "أعالي الأرض"، وفي ترجمة "مركز الأرض".

The center of the land

وترجمة الكتاب المقدس في لشرق الأوسط هي: "الافتح الخراب المسكونة، وأصلب وأنهب الشعب الذين اجتمعوا من بين الأمم واقتوا ماشية ومتاعاً. وسكنوا في قلب الأرض المقدسة" (١٠٥).

ولا توجد أرض مقدسة في العالم غير أرض مكة المكرمة.

فتح بلاد يأجوج ومأجوج:

وقد تكلم القرآن عن بلاد يأجوج ومأجوج وجميع جيوشهم وشعوب كثيرة. فقال: إن بلادهم يفتحها أصحاب النبي ﷺ، وينشرون فيها الإسلام، ويملكون

(١٠٥) حزقيال: ٣٨: ١٢.

عليها في معارك يوم الرب'. وقال: إنا وعدنا المسلمين بها ﴿وَاتَّقِرْبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾^(١٠٦) بفتحها. ويوم تدور المعارك وتكون الدائرة على اليهود ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١٠٧) الذين هم اليهود. ويقولون إذ يرون نزع الملك منهم: ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾^(١٠٨) الفتح. وهذا يدل على أن أنبياءهم حذروهم من إهلاكهم، وعطوا من هذا التحذير ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾^(١٠٩) لبني إسماعيل؛ إذ منعاهم عن التملك على الأمم بحجة أن الوعود في إسحق وليست في إسماعيل. والتعبير بقوله: ﴿لَوْ تَقَرَّبَ﴾ قد تحقق في أيام عمر بن الخطاب عليه السلام فقد تمت الفتوحات في أيامه.

وفي سورة الكهف:

يخبر عن بناء الإسكندر الأكبر ذي القرنين للسد. ويحكي عن الإسكندر قوله: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ وَمِمَّا كَلَّمَ عَنْهُ هَذَا الْخَدَّ. ثم حكى قول محمد عليه السلام وهو: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ أي إذا جاء وعد الله بفتح هذه البلاد وبشر القرآن فيها منع الحاجز بين المسلمين وجعل بلادهم بلداً واحداً.

وتكلم عن كيفية تحقيق الوعد بقوله: ﴿وَوَرَكْنَا بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ بِمَوْجٍ لِّسِي بَعْضٍ وَفُيَّخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾^(١١٠) شبههم بالأمواج التي لا تستقر

(١٠٦) الأنبياء: ٩٧.

(١٠٧) الأنبياء: ٩٧.

(١٠٨) الأنبياء: ٩٧.

(١٠٩) الأنبياء: ٩٧.

(١١٠) الكهف: ٩٩.

على حال؛ لأن منهم الشديد العدوة للمسلمين، ومنهم المؤمن في السر. وهذا إذا رأى جند المسلمين؛ فإنه سيضم إليهم. وإذا ابتدأت المعارك يُنفخ في الصور كناية عن الإخبار بالقوم إلى هذه المعركة. وإذا سمعوا للنفخ أتوا من كل فج عميق {فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا}

•••

عرض جهنم في معركة يوم الرب:

والمراد بعرص جهنم: هو الهلاك للكافرين بمحمد ﷺ في معركة يوم الرب؛ وذلك لأن اليهودي الذي سيقتل في هذه المعركة، سيدخل جهنم من بعد القتل مباشرة؛ وذلك لأن الإحساس مفقود في المدة من الموت إلى الحياة في الدار الآخرة. على حد قوله ﷺ: "من مات فقد قامت قيامته". ومثل هذا ما جاء في القرآن عن قوم نوح لقوا وهو: ﴿أَغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا كَارَأْمًا﴾^(١١١). لأهم من بعد العرق فقدوا الإحساس لما فقدوا الجسد. فإذا أُعبروا في القيامة؛ لا تصيب لهم مدة، شبه النائم الذي ينام ويستيقظ، فلا يحس أنام قليلاً أم نام كثيراً.

وفي سفر إشعياء عن عرص جهنم: وعن حشر الأمم والممالك الكافرة في يوم الرب، وعن إقبال الأمم للطاهرة على دين الإسلام، وعن تخير الشريعة القديمة بالشريعة الجديدة. ما نصه:

"لأنه هو ذا الرب يأتي في النار ومركباته كالزوبعة ليروى غليل غضبه بحق وتهديده بلهب نار؛ لأن الرب بالنار والسيوف يحاكم كل بشر، ويكون قتل الرب كثيرين. إن الذين يقتسمون أنفسهم ويظهرونها في الجنائن وراء واحد في الوسط، ويأكلوا لحم الخنزير والحيوان النجس والفرا؛ يغنون معاً. يقول الرب: إنما أنا فظراً إلى أعمالهم وأفكارهم، قد حان أن أحشر جميع الأمم والألسنة، فتأتي وترى مجدي، وأجعل بينهم لية، وأرسل ناجين منهم إلى الأمم.

(١١١) نوح: ٢٥.

إلى ترشيث وفول ولود، التي تشد القسي، وتوبل ويلول والجرر البعيدة، التي لم تسمع بسمعتي، ولم تر مجدي، فينادون بمجدي بين الأمم، ويأتون بجميع إخوانكم من جميع الأمم تقبلة للرب. على الخيل والمركبات والهوايح والبعال والمعامل، إلى جبل قدسي أورشليم. قال الرب: كما يأتي بنو إسرائيل بالقبلة في إنشاء طاهر إلى بيت الرب. ومنها أيضا أأخذ كهنة ولاويين. قال الرب: لأنه كما أن السموات الجديدة والأرض الجديدة التي أصنعها تكون أمامي. يقول الرب: فكذلك تكون ذريعتكم واسمكم. ومن رأس شهر إلى رأس شهر، ومن سبت إلى سبت. كل بشر يأتي ليمجد أمامي، قال الرب: ويخرجون ويرون جثث الناس الذين عصوني؛ لأن نودهم لا يموت، ونارهم لا تطفأ. ويكونون رذلة لكل بشر^(١١٢).

...

مناقشة:

قوله في هذه النبوءة "فكذلك تكون ذريعتكم واسمكم" ليس للكافرين بالنبى ﷺ من اليهود. وإنما هو لمن يؤمن به منهم في حال بعثته. ويدل على ذلك: النبوءات التي تنبئ على هلاك اليهود الكافرين به في "يوم الرب" على يده ﷺ، ومن هذه النبوءات: "وكان إليّ كلام الرب قائلًا: يا بن آدم ماذا يكون عود الكرم فوق كل عود. أو فوق القصب الذي من شجر الوعر؟ هل يؤخذ منه عود لاصطناع عمل ما لو يأخذون منه ونكأ ليطبق عليه إناء ما؟ هو ذا يطرح أكلاً للنار تؤكل النار طرفيه ويحرق وسطه فهل يصلح لعمل؟ هو ذا حين كان صحيحًا لم يكن يصلح لعمل ما، فكم بالحري لا يصلح بعد العمل إذا أكلته النار فاحترق.

(١١٢) إشعياء: ٦: ٢٧..

لذلك هكذا قال السيد الرب: مثل عود الكرم بين عيدان الوعر التي بذلتها
أكلاً للنار كذلك أبذل سكان أورشليم. وأجعل وجهي ضدهم. يخرجون من نسل
فتأكلهم نار فتعلمون أني أنا الرب حين أجعل وجهي ضدهم، وأجعل الأرض
خراباً؛ لأنهم خانوا خيانة، يقول السيد الرب^(١١٣).

لاحظ: "يخرجون من نار فتأكلهم نار" أي من معركة إلى معركة. وشبه
شدة القتل فيهم بالبلل.
التوبة عند معاناة الإهلاك:

وهي سورة الأنبياء يحاطب الله بني إسرائيل بقوله: إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢) وَتَقَطُّوا أَفْرَافَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهَةٍ رَاجِعُونَ
(٩٣) فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِلَّا لَهُ كَاتِبُونَ
(٩٤) وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٩٥) حَتَّى إِذَا فُجِعَتْ
يَاجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا
هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا
ظَالِمِينَ ﴿١١٤﴾.

يريد أن يقول لهم: إن أنبياءكم قد أذكروكم بيوم الرب. وقد اقترب مجيئه.
فمن الآن فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِلَّا لَهُ
كَاتِبُونَ ﴿١١٤﴾.

(١١٣) حزقيال: ١٥.

(١١٤) الانبياء: ٩٢ - ٩٧.

واعلموا علم اليقين: أنه سبق في علمنا^(١١٥) أن الذين نريد إهلاكهم
بذنوبهم، ننذرهم من قبل وقوع الإهلاك، فإذا استمروا في الذنوب، وابتدأنا في

(١١٥) في كتب التفسير:

١- حرام على قرية: أي وجب. يعنى قد قدر أن أهل كل قرية أهلكوا، أنهم لا يرجعون إلى
الدنيا قبل يوم القيامة

٢- إنيهم لا يرجعون: أي لا يتوبون.

٣- وحرام على قرية حكما باستئصالها أو بالحثم على قلوبها، أن يتقبل سهم صل. لأنهم لا
يرجعون: أي لا يتوبون.

وكتب التوراة بصرحون بحداب واقع على اليهود ليس له دافع. به ينتهي ملكهم إلى الأبد في
العالم. ويموهون على الأميين بأنه كنز في سبي بابل سنة ٥٨٦ ق.م. وإذا كانت كتب التوراة
كلها مكتوبة بعد سبي بابل فما هي الفائدة من نزول الحداب عليهم في السبي؟ ولأنهم كتبوا أن
الحداب يكون على زوال مملكة الروم، يكون الحداب على يد المسلمين. وكتبوا في التوراة أن
الحداب ليس له دافع لأن يرجعوا إلى الله في سفر إرميا:

"أرأيت عيني والعطري المغليين من شمال: أين القطيع الذي أعطى لك؟ أين غنم فحمك؟ ماذا
تقول إذا علقك من علمهم. أول من يأتى عليك العلوكة. ألا بأحدك المخاص كالمرأة التي
تلد؟

وإن قلت في قلبك: لماذا أصابني هذه؟

فللكثرة إثمك كشفت أذنالك فاعتصبت. هل يغير الحبشي جلده والنمر رقطة؟ وأنتم، فهل
تفتنون أن تصنعوا الخير وأنتم معتلون الشر؟

إني سأستهم كالقش الذي تذهب به ريح قلبية.

هذا نصيبك والقسمة المكيلة لك من لحي؛ يقول الرب: لأنك نصبتني وثقلت على الكذب. فلأنا
أبصنا رفعت أذنالك على وجهك. فلنظر عارك فسك وصهيلك، وفحص ربك على القتال، وفي
الحقول رأيت أذورك. ويل لك يا اورشليم إنك لا تطهرين، فإلى متى بعد؟ (إرميا ١٣: ٢٠-٢٧)

ترجمة أخرى: "هل يغير الحبشي بشرته، والنمر جلده المرقط؟ إذن تقدرون أن تصنعوا
للخير وأنتم تكونتم الشر".

أحدث الإهلاك. فإن من يعانيه ويريد أن يتوب ليتخلص منه؛ فإن التوبة لن تنجيه من الإهلاك ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِلَانَا مُنْتَظِرُونَ﴾ (١١٦).

وهنا يقول: إن فتح بلاد يأجوج ومأجوج سيتم من قبل فتح فلسطين. حتى إذا فتحت بلادهم، ووصل الإهلاك إلى اليهود في فلسطين، ولربوا النجاة منه بالتوبة؛ فإن التوبة لا تنفعهم. هذا هو معنى ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ (١١٧). أي ابتدأنا في إهلاكها بعد الإنذار (لَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) أي لا ينفهم الرجوع إلى الله للإفلات من الإهلاك. وهذا مثل قوله: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (١١٨). وهو في موضوع يوم الرب. وفي كتب التاريخ: أن انتصار المسلمين على بلاد فارس كان من قبل انتصارهم على اليهود في فلسطين.



الكلام عن الإسكندر الأكبر في التوراة

كان أن الإسكندر بن هيلس المقدوني، بعد أن خرج من أرض كتيث وكسر داريوس، ملك فارس وميديا، وحل مكانه مبيكناً باليونان؛ شن حروباً كثيرة وفتح حصوناً وقتل المنطقة، ولجأ إلى قلصي الأرض ومثل عذائم جمهور من

ترجمة كتاب الحياة: هل يمكن للإنبياء أن يغير جلد أو ليمر رقعة؟ كذلك أنتم لا تقصرون أن تصنعوا خيراً بعد أن أقم ارتكاب الشر.

وهذا يوافق معنى ما جاء في القرآن عن قبيد أنهم لا يرجعون.

(١١٦) الأنعام: ١٥٨.

(١١٧) الأنبياء: ٩٥.

(١١٨) يونس: ٣٣.

الأمم ومكنت الأرض بين يديه، فترفع هي قلبه وتسامح. وحشد جيشاً قوياً جداً، وأخضع البلاد والأمم والسلاطين؛ فكانوا يدفعون له الجزية. وبعد ذلك لزم الفراش وعرف أنه يُشرف على الموت. فدعا أشرف صباطه الذين تربوا معه منذ الصبا، فقسم مملكته بينهم وهو لا يزال حياً. وكان الإسكندر قد ملك اثنتى عشرة سنة حين مات. فتولى صباطه الملك كل واحد في منطقته. وليس كل منهم للتاج بعد وفاته، وكذلك بلوهم من بعدهم، سنين كثيرة، فأكثروا من الشرور في الأرض... إلخ^(١١٩).

رأي المسيحيين المعاصرين في نبوءة يلجوج وملجوج:

مكتوب في أسفار التوراة والأنجيل: إن النبي الأمي الآتي على مثال موسى القوي يظهر في نهاية حكم الروم على فلسطين، وأنه سيشن حرباً على الروم، وينتصر عليها، ويؤسس للرب مملكة تقيم إلى الأبد. وهذا النصر سيكون من الله نفسه؛ لأن الحرب له. وقد ظهر محمد رسول الله ﷺ في نهاية حكم الروم، وانتصر عليهم، وملك على فلسطين، وأسس "مملكة الرب" طبقاً للنبوءة دانيال وغيره.

وقد رأى المسيحيون في العالم إحياء الإمبراطورية الرومانية في هذا العصر؛ ليُهموا العالم أنها ما تزال قائمة، ولي النبي الذي سيأتي ليزيلها لم يأت بعد - وهو في نظرهم المسيح عيسى عليه السلام - لذلك اتحدوا تحت شعار السوق الأوروبية المشتركة والاتحاد الأوروبي. وأعلنوا العملة النقدية لروما، وهي "اليورو"، وانتفقوا على إحياء الدين المسيحي من الدستور؛ ليدخلوا في هذا الاتحاد "تركياً" ودولاً إسلامية كانت قبل دمار روما من أملكها. وقالوا للعالم: ها إن الإمبراطورية الرومانية قد عادت. وسوف يظهر "المسيح" قريباً ليؤسس "مملكة

(١١٩) المكابيين الأول: ١: ١-٩.

الرب، وليقاتل بأجوج ومأجوج، وليملك على العالم ألف سنة ملكاً ظاهراً منظوراً.

وليام مملكة الروم كان الروم مسيحيون، وهم طائفة من اليهود. وكان الفرس على دين اليهود من قبل سبي بابل ومن بعده إلى ظهور محمد ﷺ، وكان في الفرس مسيحيون من طائفة النساطرة والأرمن. وما تزال الكنائس الآشورية موجودة. ومعنى هذا: أن اليهود هم الذين كانوا يحكمون العالم. إما بأنفسهم وإما بطوائف مدهم، ولكنهم كذبوا على العالم فقالوا: إن أهل فارس كانوا يعبدون النيران. ولم يكونوا على شريعة التوراة. والحق: أن المجوس كانوا طائفة في بلاد فارس، وهجروا معابد البيرل وأموا بالله على شريعة التوراة. وهي فارس كان ملني الفارسي وأتباعه. وهم من النصاري. وكان مذهب النصاري منتشراً في الهند من أيام "توما" الحواري. وكان الصابئون أتباع يحيى الكاظم في حران، وما بين دجلة والفرات - والصابئون طائفة من اليهود -. وكان اليهود يحكمون على اليمن وما جاورها. ويؤمنون العالم أن الفرس هم الحاكمون. وكان سكان على شريعة التوراة، وتكسر بعض اليهود فيها بقوة أهل الروم. ودول إفريقيا من ليبيا إلى الأندلس، كانت شريعة موسى فيهم وكذلك الأندلس. وكانت دول المملكة الرومانية يعيش فيها بجانب للمسيحيين.

ويقول عزرا في الأصحاح الأول من سفره:

"هكذا قال قورش ملك فارس: جميع ممالك الأرض قد أعطانيها الرب إله السموات".

ويعلق على قوله هذا علماء دار المشرق بلبنان بقولهم:

"كان ملوك فارس متساهلين جداً على وجه عام في شأن عبادات الهياكل، التي استولوا عليها. فقد رمموها ودعموها مع مراقبتهم لها. وقد استوحت

سيادتهم الدينية نحو الدين اليهودي من المبادئ نفسها، ولربما استفاد الدين اليهودي أيضاً من حظوة خاصة بسبب القسبة بين الرب الذي كانوا يسمونه دائماً "إله السماء" في الوثائق الرسمية، والإله الأعلى الذي كان ملوك الفرس يعترفون به". اهـ.

فلما دارت المعارك في يوم الرب" دارت بين اليهود لكافرين وشركائهم من طوائف دينهم. وبين المسلمين أتباع محمد ﷺ.

وفي عصرنا هذا يسمى اليهود والمسيحيون معاً على إعادة ملكهم على العالم، وذلك بوضع قواعد عسكرية لهم في جميع البلاد التي يملك عليها اليهود والمسيحيون (الروم)، وإذا تم لهم هذا يطمنون عن قرب ظهور "المسيح" - الذي هو في نظرهم عيسى بن مريم عليه السلام -.

والبلاد التي يريدون وضع قواعد عسكرية فيها لهم. أعلنوا عن أسمائها وهي: روسيا وأفغانستان - منطقة جوج - وإيران والعراق وسوريا وفلسطين والأردن ومصر وليبيا والحبشة ودول المغرب العربي وإسبانيا (ترشيش).... إلخ. ومعنى أنهم يحتلون دولة من هذه الدول بالقوة العسكرية ويضعون فيها قواعد لهم؛ أن هذه الدولة كانت من أملكهم، وكانت على دينهم.

وقد أشار الله إلى فعلهم هذا فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ قَيْلًا فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨) قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَسِلُّونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ

قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلَهُمُ اللَّهُ أَلَىٰ يُؤْفَكُونَ
(٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا
أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)
يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ (٣٢).



الله يكلم الناس عن نفسه على قدر عقولهم بنسبتهم:

في ذلك اليوم - يوم يأتي جُوج على أرض إسرائيل - يقول السيد الرب:
يطلع سُخْطِي في آنِي، وغِيْرَتِي ونَارُ غَضَبِي؛ تَكَلَّمْتُ. لِيَكُونَ في ذلك اليوم
ارْتِعَاشٌ عَظِيمٌ عَلَى أَرْضِ إِسْرَآئِيلَ؛ لِيَرْتَعْشَ مِنْ وَجْهِ سَمَكِ الْبَحْرِ، وَطَيْرِ
السَّمَاءِ، وَوَحُوشِ الْحَقْلِ، وَجَمِيعِ الزَّحَاوَاتِ الَّتِي تَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ، وَجَمِيعِ الْبَشَرِ
الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَتَتَدَكُّ الْجِبَلُ، وَتَسْقُطُ مَنَاحِرُهَا. وَكُلُّ سَوْرٍ يَسْقُطُ إِلَى
الْأَرْضِ... إلخ (١٢٠).

البيان:

البيان الأول:

زيادات الصلوات عن الذات

لو أنك نظرت إلى رجل يجلس أمامك على كرسي؛ فإِنَّكَ تَرَى اثْنَيْنِ هُمَا:
١- الرجل ٢- والكرسي. وإذا تكلم الرجل بكلام مسموع. فإِنَّكَ لَا تَرَى الْكَلَامَ
المسموع جسمًا ثالثًا، منفصلًا عن الرجل ومنفصلًا عن الكرسي. إِنْ هُوَ قَامَ
ورفع الكرسي عن الأرض؛ فإِنَّكَ لَا تَرَى الْقُدْرَةَ جسمًا ثالثًا منفصلًا عن الرجل

(١٢٠) التوبة: ٢٨: ٣٢.

(١٢١) حزقيال: ٣٨: ١٨ - ٢٠ دار المشرق.

ومنفصلاً عن الكرسي. فصفة الكلام والقدرة ليستا زائدتين عن ذات الرجل، وليستا منفصلتين عنه. حتى يقال: ١- للرجل ٢- والصفة؛ لثان. وحتى يقال: إن للصفة زائدة على الذات.

ولو أنك فست الله على الرجل - من باب تقريب المعاني إلى عقول المخاطبين - لقلت: الله ذات موصوف بالصفات الحسنة، والصفات الحسنة في ذاته، غير زائدة عنها. فهو **ذات** واحد موصوف بالقدرة وبالإرادة وبالعلم وبالسَّمع وبالبصر... إلخ. وهذه الصفات فيه، وغير زائدة عليه.

وهو كائن في البدء ولا شيء معه. وكل المخلوقات منه وهي من بعده. فإذا هو قديم، وإذا صفاته فيه. فإنها تكون قديمة قدمه. فإذا قلنا الله قديم، وبأن للقدرة قديمة، وقلنا بزيادة القدرة على الله، نكون مثبتين بالزيادة تعدد القدماء. أي تعدد الله صفاته. وتعدد الصفات مع القول بزيادتها يؤهم تعدد الآلهة. ولمنع هذا التوهم قال علماء المعتزلة - رضي الله عنهم - إن إثبات صفات لله هي زائدة على ذاته؛ لا يصح اعتقاده من مسلم.

وقالت الحنابلة: إن صفات الله زائدة على ذاته؛ وأثلاً يلزمهم تعدد القدماء؛ قالوا: هي زائدة، ولكنها غير منفكة عن الذات.

ويقول الحنابلة في كتبهم - والأشاعرة أيضاً - : إن المعتزلة ينكرون للصفات. وقولهم هذا غرضهم منه: إيهام الأمين والسذج أن المعتزلة لا يعظمون الله ولا يمجّدونه. وكان يجب عليهم - للأمانة العلمية - أن يكتبوا عنهم: "إن المعتزلة ينكرون زيادة الصفات" فإنهم لا ينكرون الصفات وإنما ينكرون زيادتها.

البيان الآخر:

تكلم الله عن نفسه بلسان بني آدم

١- في كتاب الله تعالى: أنه ينسى، ويحجب وجهه عن الكافرين به من عباده، ويغضب، ويمكر، ويستيزي بالكافرين، ويخدع. وما يشبه ذلك. وهذا أيضاً في كتاب التوراة.

٢- وفي كتاب الله تعالى: أن الله له دين، ورجلين، وعينين. وما يشبه ذلك. وهذا أيضاً في كتاب التوراة.

وقد قال علماء بني إسرائيل في دلت الله وصفاته:

إن خالق العالم هو الله وحده، وليس كمثله شيء. وأنه لما قال عن نفسه إنه ينسى، ويحجب وجهه، وتأسف في قلبه... إلخ. غرضه من هذا القول: هو أن يكلم للناس عن نفسه بلسانهم على قدر عقولهم؛ ليقدروا على تصور ذاته. أما هو فلا يلا تجوز عليه الصفات البشرية بوجه من الوجوه.

وأنه لما قال عن نفسه إنه يتكلم زبيني... إلخ. غرضه من هذا القول: هو نفس غرضه من إثبات النسيان لنفسه، وهو أنه يتكلم بحسب لسان بني آدم. والدليل على أنه يتكلم بحسب لسان بني آدم: أنه ذكر في التوراة استواءه على العرش^(١٢٢).

(١٢٢) (١) "يراحم الرب أغنى إلى الدهر. لنور لنور أخير عن حكمة نفسي. لأني قلت: إن الرحمة إلى الدهر تبني السموات تثبت فيها حكمة. قطعت عهداً مع مغتري. خلقت لداود عهدي إلى الدهر أثبت لسلوك وأبني إلى نور لنور كرميك. سلام. والسموات تصد عجائبك يا رب، وحقك أيضاً في جماعة القديسين؛ لأنه من في السماء يعادل الرب. من يشبه بين أبناء الله. إله محبوب جداً في مؤامرة القديسين، ومحوف عند جميع الذين حولته. يا رب إله الجود من ملك قوي رب وحقك من حولك. أنت متسلط = على كبرياء البحر. عند ارتفاع لوجه أنت تسكنها. أنت سحقت رجب مثل القليل. بذراع قوتك بددت أقدامك. لك السموات. لك أيضاً الأرض. المسكونة وملأها أنت لسمتهما. لشمال والجنوب أنت خلقتهم. تابور وهرمون باسمك يهتفان. لك ذراع تقدر. قوية يدك. مرتفعه يمينك. الحق كرميك. الرحمة والأمانة تتحلمان أمام وجهك. طوبى للشعب العارفين لهتاف. يا رب بنور وجهك

ونذكر فيها أنه في كل مكان. وهما أمران متعارضان في الظاهر؛ لأن وجوده في السماء ينفي وجوده في الأرض حال كونه في السماء. ووجوده في الأرض ينفي وجوده على العرش في السماء.

وتصريحه عن نفسه بأنه ليس مثل الله^(١٢٣) ينفي الجسمية. ونفي الجسمية ينفي الجهة. فإذاً ليس هو على العرش بذاته، وإذن ليس هو المتكلم على جبل طور سيناء مع موسى عليه السلام؛ وإنما المتكلم ملك بالنيابة عنه.

وقد قال المسيح عليه السلام: إن الله أعلى وأجل من أن يحده زمان ولا مكان، وأعلى وأجل من أن يشبه البشر في صفاتهم. واستدل على كلامه هذا بنصوص من سفر النبي إشعياء، وكتب موسى عليه السلام:

يقول المسيح:

قال متى: يا معلم إنك لقد اعترفت أمام اليهودية كلها بأن ليس لله من شبه كالإنسان، وقلت الآن: إن الإنسان ينال من يد الله. فإذا كان الله يذل؛ فله إذن شبه بالإنسان؟

أجاب يسوع: إنك لفي ضلال يا متى؛ ولقد ضل كثيرون هكذا إذ لم يفقهوا معنى الكلام؛ لأنه لا يجب على الإنسان أن يلاحظ ظاهر الكلام بل معناه؛ إذ الكلام البشري بمثابة ترجمة بيننا وبين الله. ألا تعلم أنه لما أراد الله أن يكلم أبائنا على جبل سيناء صرخ أبائنا: كلمنا أنت يا موسى ولا يكلمنا الله لئلا نموت^(١٢٤). وماذا قال الله على لسان إشعياء النبي: أليس كما يحدث السموات

يسلكون. باسمك ينتهجون اليوم كله. ويعتلك بوتلموس؛ لأنك أنت فخر قوتهم، ويرضاه ينتصب قرناء لأن الرب مجتأ وقوس إسرائيل ملكنا... إلخ^(مزمور ٨٩).

(١٢٣) تث: ٣: ٢٦.

(١٢٤) خر. ٢: ١٩.

عن الأرض هكذا بعث طرق الله عن طرق الناس وأفكار الله عن أفكار الناس^(١٢٥).

إن الله لا يدركه قياس إلى حد لئى لرتجف من وصفه. ولكن يجب أن أذكر لكم قضية فأقول لكم إذن: إن السموات تسع، وإثنا بعضها يبعد عن بعض كما تبعد السماء الأولى عن الأرض سفر خمس مائة سنة^(١٢٦) وعليه. فلن الأرض تبعد عن أعلى سماء مسيرة أربعة آلاف وخمس مئة سنة. فبئاء على ذلك أقول لكم: إنها بالنسبة إلى السماء الأولى كراش إبرة. ومثلها السماء الأولى بالنسبة إلى الثانية. وعلى هذا النمط كل السموات. الواحدة منها أسفل مما يليها، ولكن كل حجم الأرض مع حجم كل سموات بالنسبة إلى الجنة كنقطة بل كحبة رمل. ألست هذه العظمة مما لا يقاس؟ فأجاب للتلاميذ: بلى بلى.

حينئذ قال يسوع: لعمر الله الذي تقف نفسي في حضرتي، إن للكون أمام الله لصغير بمقدار حبة رمل، والله أعظم من ذلك بمقدار ما يلزم من حساب الرمل لملئ كل السموات والجنة بل أكثر. فانظروا الآن إذا كن هنالك نسبة بين الله والإنسان الذي ليس سوى كتلة صغيرة من طين واللغة على الأرض. فانتبهوا إذن لتأخذوا المعنى لا مجرد الكلام إذا أردتم أن تتألوا الحياة الأبدية.

فأجاب للتلاميذ: إن الله وحده يقدر أن يعرف نفسه، وإله حقاً لكما قال إشعياء النبي: "هو محتجب عن الحواس البشرية"^(١٢٧) أجاب يسوع: إن هذا هو الحق؛ لذلك سنعرف الله متى صرنا في الجنة كما يعرف هنا البحر من قطرة ماء مالح^(١٢٨).

(125) يش ٥٥: ٩.

(126) إن أقول يبعد كل سماء عن الآخر ٥٠٠ سنة. موجود في التلمود.

(127) يش ٤٥: ١٥.

(128) برنابا: ١٠٥.

وقول المسيح الذي وافق به قول إشعياء النبي؛ يمنع من القول بتأويل يد
الله بقدرته مع السكوت عن القول، بأن الله يكلم الناس عن نفسه بلسانهم. وهذا
خطأ وقع فيه المسلمون جميعاً على اختلاف مذاهبهم في الله وصفاته.
ووجه الخطأ: هو أنهم كتبوا أن يد الله ١- تعني إما اليد الجسمية ٢- وإما
الكتابة عن القدرة. فإذا ذكرنا المحكم وهو {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} فلن المتفق معه
يكون هو المعنى الكنائسي. وعند هذا للقدر بسكت العطاء ولا يكتبون شيئاً.
لما الحدايلة فإنهم لا يردون المتشابه إلى المحكم، ويصرحون بأن الله له يد
ولا مثل لها.

هذا هو خطأ أهل المذاهب. ولما الصواب فإنه هو:

١- لا بد من رد المتشابه إلى المحكم - كما ذكرنا -.

٢- ولا بد من الكتابة بعده هذه العبارة: والله كلمنا على قدر عقولنا بهذه

الألفاظ.



فيكون الصواب كالآتي:

١- {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} نص محكم.

٢- {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} نص متشابه.

والنص المتشابه يحتمل: أ- اليد الجسمية. ب- والكتابة عن القدرة.

والمتفق مع المحكم هو القدرة. والله تعالى كلمنا عن نفسه بلساننا لنقدر

على تصور ذاته، أما هو فليس كمثله شيء.

هذا هو للصواب الذي يجب كتابته؛ وذلك لأن القدرة تستلزم جسماً تتعلق

به. فإذا قلنا اليد كتابة عن القدرة؛ يتبادر إلى الذهن أن الذات الذي له هذه القدرة

جسم؛ فنكون قد فررت من الجسمية بمنع اليد الجسمية، إلى إثبات الجسمية

بإثبات القدرة. فلكي تتقوى الجسمية على أي معنى من معاني المتشابه. يلزمك أن

تصرح بعد الكلام في المحكم والمتشابه: بأن القرآن قد تكلم عن الله بلسان بنى آدم.

رأي علماء بنى إسرائيل في ذات الله وصفته:

يتفق الحبر موسى بن ميمون مع المسيح عيسى الله ونبى الله إشعيا في نفي التجسيم عن الله ﷻ، وفي تأويل ما يؤهم الجسيمة بما ينفيها؛ بتعبير هو: تكلمت للتوراة عن الله بلسان بنى آدم، والأمر الذي غفل عنه الحبر ابن ميمون في هذا الموضع هو أنه لم يقل يرد المتشابه إلى المحكم، فيكون نحن المسلمين قائلين بالمحكم والمتشابه أولاً، وبأن الله كلم الناس عن نفسه على قدر عقولهم ثانياً.

وهذا هو نص كلامه من دلالة الحائرين فصل ٢٦.

قد علمت قولتهم الجامعة لأشواخ التلميدات كلها المتعلقة بهذا الفن. وهو قولهم: "عبرت عنها التوراة بلسان بنى آدم" (بيلاموت ٧١ أ من التلمود). معنى ذلك: أن كل ما يمكن للناس أجمع فهمه وتصوره بأول فكرة هو الذي أوجب الله تعالى؛ فذلك وُصف بأوصاف تدل على الجسمانية؛ ليندل عليه أنه تعالى موجود؛ إذ لا يدرك الجمهور بأول وهلة وجوداً إلا للجسم حاصلة، وما ليس بجسم أو موجود في جسم؛ فليس هو موجوداً عندهم. وكذلك كل ما هو كمال عندنا نسب له تعالى؛ ليندل عليه أنه كمال بأشياء الكمالات كلها، ولا يشوبه نقص أصلاً. فكل ما يدرك الجمهور بأنه نقص أو عدم؛ فلا يُوصف له؛ ولذلك لا يوصف بأكل ولا بشرب ولا بلوم ولا بمرض ولا بما يشبه ذلك. وكل ما يظن الجمهور أنه كمال؛ وُصف به، وإن كان إنما هو كمال بالإضافة إلينا. أما إليه تعالى فتلك التي نظنها كلها كمالات؛ هي غاية نقص، لكن لو تخيلوا عدم تلك الكمالات الإنسانية منه تعالى؛ لكان عندهم نقصاً في حقه.

وأنت تعلم أن الحركة هي من كمال الحيوان وضرورية له في كماله، فكما هو معتق للأكل والشرب لتعويض ما تحلل، كذلك هو معتق للحركة ليقتصد المؤلف له ويهرب من المخالف. ولا فرق بين أن يوصف تعالى بالأكل والشرب أو يوصف بحركة، لكن بحسب لسان بني آدم. أعني الخيال الجمهوري. كان الأكل والشرب عندهم نقصاً في حق الله، والحركة ليست بنقص في حقه، وإن كانت الحركة إنما ألجأ إليها الافتقار. وقد تبرهن: أن كل متحرك فهو عظم، منقسم - بلا شك - وسيبرهن كونه تعالى ليس بأي شكل عظم، فلا توجد له حركة ولا يوصف أيضاً بسكون، إذ يوصف بسكون إلا من شأنه أن يتحرك.

فكل هذا الأسماء الدالة على أنواع لحركات الحيوانية كلها وُصف بها تعالى على الجهة التي قلنا كما يوصف بالحياة؛ إذ الحركة عرض لازم للحيوان، ولا ريب أن مع ارتفاع الجسمانية يرتفع جميع تلك. أعني: نزل، وصعد، وسار، وانصب، ووقف، ودلر، وجلس، ويمكن، وخرج، وجاء، وعبر، وكل ما شأنه وهذا الأمر التطويل فيه فصل، إلا من أجل ما أفقته أذهان الجمهور؛ فذلك ينبغي تبيينه للذين أخذوا أنفسهم بالكمال الإنساني، وإزالة هذه الأوهام السابقة من من الطغولة إليهم بيسير بمنطأ اهـ



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

الفصل الخامس

في

إحياء عظام بني إسرائيل اليافسة

قبل كلام النبي حزقيال عن فتح المسلمين لبلاد بأجوج ومأجوج في الأيام
الأخيرة لبني إسرائيل في الملك والنبوة، وهي الأيام الأولى لظهور النبي محمد
ﷺ تكلم عن:

١- الموت الحقيقي لهم على يد ملك بابل.

٢- والموت المجازي، وهو وقوعهم تحت الأم الوثنية أذلاء ومساكين
بالجزية.

٣- وأن الموت المجازي هذا سبيل ملائمة لليهود إلى أن يظهر النبي
محمد ﷺ، فبحررهم من ذل الأمم الوثنية، ويعيد إليهم المملكة ويكونون أحراراً.
٤- ولا يكون حراً في مملكته إلا المؤمنون به، أما الأمثرون من اليهود
الذين لن يؤمنوا به، فإنهم لن يكون لهم نصيب في مملكته المعروفة بملكوت
المسماوات.

والأصحاح السابع والثلاثون من سفر حزقيال مكون من جزئين:
للجزء الأول: هو عن قدرة الله على بعث الموتى الحقيقيين، وبعث الموتى
الذين ضاعت مملكتهم وخدموا الأجانب.

والجزء الآخر: هو عن أن البعث من موت الدلة والمسكنة سوف يكون
على يد النبي الأمي الآتي إلى العالم.
وملخص ما في الجزء الأول:

١- هو أن الله أرى حزقيال في حلم ليل جماعة من الموتى الحقيقيين. قد
بيست عظامهم، ثم أراه الهواء يدخل في نفوسهم فيقومون أحياء. جيش عظيم جدًا
جدًا.

٢- ولما أراه الله هذا في حلم ليل يعرف "بيد الرب" لو "مرأي النبوة" بين
له ما سيترتب على هذه الرؤيا العنابية، وهو أن الله سيعيد المملكة لليهود الذين
سيؤمنون بالنبى ﷺ. وشبه موت الهول والدلة والمسكنة بموتى حقيقيين قد ماتوا
ودخلوا القبور بجامع فقد العزة والكرامة في كل.
وقال: إن الذين ماتوا سيدخلون في دين النبي الأتى سيكونون إخوة في
الإيمان.

وستزول العداوة من بين اليهود السامريين والعبرانيين، وسيكونون تحت
راع واحد.

ومحرف سفر حزقيال قال: إن هذا الراعى الصالح سيكون من نسل داود
التي من سبط يهوذا. وعبر عنه بدود، وهو لا يعنى به داود نفسه؛ لأنه قد مات
من قبل سبي بابل بنحو مئاة سنة، وإنما يعنى النبي المنتظر ﷺ.
وهذا هو نص الجزء الأول من الأصحاح السابع والثلاثين:

كانت على يد الرب فأخرجني بروح الرب، ولتزلنى في وسط البقعة
وهي ملاكة عظامًا، وأمرني عليها من حولها، وإذا هي كثيرة جدًا على وجه
البقعة، وإذا هي يابسة جدًا فقال لي: يا ابن آدم أتحيا هذه العظام؟ فقلت: يا سيد
الرب أنت تعلم. فقال لي: تتبا على هذه العظام، وقل لها: أيتها العظام اليا بسة
اسمعي كلمة الرب. هكذا قال السيد الرب لهذه العظام، هاأنا أدخل فيكم روحًا
فتحيون وأضع عليكم عصبًا، ولكسيكم لحمًا، وأبسط عليكم جلدًا، وأجعل فيكم
روحًا فتحيون وتعلمون لني أنا الرب، هتبات كما أمرت، وبينما أنا ألتيا كان
صوت وإذا رعث فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمه، ونظرت وإذا بالعصب

واللحم كساها وبسط الجلد عليها من فوق، وليس فيها روح فقال لي: تنبأ للروح تنبأ يا ابن آدم، وقل للروح: هكذا قال السيد الرب، هلم يا روح من الرباح الأربع وهب على هؤلاء القتلى ليحيوا، ففتبأت كما أمرني، فدخل فيهم الروح؛ فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً جداً، ثم قال لي: يا ابن آدم هذه العظام هي كل بيت إسرائيل، ها هم يقولون: يبست عظامنا وهلك رجائنا، قد انقطعنا لذلك تنبأ، وقل لهم هكذا قال السيد الرب. هاأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبي، وأتي بكم إلى أرض إسرائيل؛ فتعلمون أنني أنا الرب عند فتحي قبوركم وإصعادي إياكم من قبوركم يا شعبي، وأجعل روحي فيكم فتحيون، وأجعلكم في أرضكم فتعلمون أنني أنا الرب تكلمت وأفعل^(١٢٩).

التهيل:

رؤيا العظام الياسمة هذه كانت في حلم ليل "يد الرب" في زمن سبي اليهود إلى بابل سنة ٥٨٦ ق.م. وإله قد رأى بقعة مكنة عظمتا. وقال له: يا ابن آدم اتحيا هذه للعظام؟ ثم أمر على العظام الهواء من الرياح الأربع؛ فحيوا. فلما حيوا قال له يا حزقيال: إن اليهود في بابل بعد ضياع ملكهم، قالوا: "يبست عظامنا، وهلك رجائنا. قد انقطعنا" أي انفصلنا عن العظماء من الناس. وعشنا بمنأى عنهم في أكواخ وعشش من الطين كمساكين الأمم. وهذا موت. كما يقول الشاعر:

ليس الميت من مات فاستراح بموت إنما الميت ميت الأحياء
ورد الله عليهم بقوله: سوف أبعثكم من قبوركم. شبه الأكواخ والعشش التي يسكنونها بالقبور. وشبه ذلهم في الحياة الدنيا بالموتى الحقيقيين.
ومتى يكون هذا البعث؟
قد بيّنه حزقيال في الجزء الآخر من نص الأصحاح فقال:

(١٢٩) حزقيال: ٣٧: ١ - ١٤.

وكان إليّ كلام الرب قللاً، وأنت يا بن آدم خذ لنفسك عصا واحدة،
 ولكتب عليها ليهوذا ولبنى إسرائيل رفاقته، وخذ عصا أخرى، ولكتب عليها
 ليوسف عصا أفرام وكل بيت إسرائيل رفاقته وأقرنهما الواحدة بالأخرى كعصا
 واحدة، فتصيرا واحدة في يدك، هذا كلمك أبناء شعبك قائلين: إما نخبرنا ما لك
 وهذا. قل لهم: هكذا قال السيد الرب: هأنذا آخذ عصا يوسف التي في يد أفرام
 وأسياط إسرائيل رفاقته، وأضم إليها عصا يهوذا، وأجعلهم عصا واحدة،
 فيصبرون واحدة في يدي، وتكون القصبون للثان كتبت عليهما في يدك أمام
 أعينهم، وقل لهم: هكذا قال السيد الرب: هأنذا آخذ بني إسرائيل من بين الأمم
 التي ذهبوا إليها، وأجمعهم من كل ناحية، وأتي بهم إلى أرضهم، وأصيرهم أمة
 واحدة في الأرض على جبال إسرائيل، وملك واحد يكون ملكاً عليهم كلهم، ولا
 يكونون بعد أمتين، ولا ينقسمون بعد إلى مملكتين، ولا يتكلمون بعد بأصنامهم،
 ولا برجاساتهم، ولا بشيء من معاصيهم، بل لأخلصهم من كل مملكتهم التي فيها
 أخطأوا، وأطهرهم فيكونون لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً، ودلود عهدي يكون
 ملكاً عليهم. ويكون لجميعهم راعٍ واحد ويسكنون في أحكامي، ويحفظون
 فرائضي ويعملون بها، ويسكنون في الأرض التي أعطيت عهدي يحقوب إياها
 التي سكنها آباؤكم، ويسكنون فيها هم وبنوهم وبنو بنوهم إلى الأبد. وعهدي دلود
 رئيس عليهم إلى الأبد، وأقطع معهم عهد سلام، فيكون معهم عهداً مؤبداً،
 وأقرهم وأكثرهم، وأجعل مقدسي في وسطهم إلى الأبد، ويكون معكم فوقهم،
 وأكون لهم إلهاً، ويكونون لي شعباً، فتطم الأمم أني أنا الرب مقدس إسرائيل؛ إذ
 يكون مقدسي في وسطهم إلى الأبد^(١٢٠).

البيان:

(١٢٠) حزقيال: ٣٧: ١٥ - ٢٧.

كان السامريون شبه عصا ضد العبرانيين، وكان العبرانيون شبه عصا ضد السامريين.

فبين أنه في زمن البعث سيكون الجميع شعبًا واحدًا عصا واحدة. كناية عن أنهم سيكونون أمة واحدة، وملك واحد سيكون عليهم. وهذا الملك هو دُلود عدي، وهو سِيرعاهم بشرعية قيسلكون في أحكامي ويحفظون فرائضي ويعلمون بها، وهذه الشريعة الجديدة ستكون شريعة سلام، وستظل إلى الأبد ويكون مقدسي في وسطهم إلى الأبد، أي ستكون الكعبة المعظمة معظمة في مملكة هذا النبي إلى الأبد.

لا سلام للأشرار

وفي الكتاب المقدس عربي وإنجليزي:

جاء النص هكذا "وما لنا أحد لنهاء يسرائيل من بين الأمم التي تفرسوا فيها، وأجعلهم أمة واحدة في الأرض وعلى الجبال تحت رئاسة ملك واحد فلا يكونون بعد أمتين، ولا ينقسمون إلى مملكتين، ولا يتكنسون بعد بأسمانهم ورجاساتهم، ولا بأي من معاصيهم، بل أخلصهم من موطن إنهم، وأطهرهم؛ فيكونون لي شعباً، ولنا أكون لهم إلهاً، ويصبح دُلود عدي (أي المسيح) ملكاً عليهم؛ فيكون لهم جميعاً راع واحد؛ يمارسون أحكامي ويطيعون فرائضي عاملين بها. ويقومون في الأرض لعدي يعقوب التي سكن فيها أبائكم؛ فيستوطنون فيها هم وأبناؤهم وأحفادهم إلى الأبد، ويكون عدي دُلود (أي المسيح) رئيساً عليهم مدى الدهر، وأبرم معهم ميثاق سلام؛ فيكون معهم عهداً مؤبداً..."

البيان:

١- إنه وضع (أي المسيح) بين قوسين، بجوار كلمة 'عدي'.

٢- وأيضاً وضعها بعد كلمة دُلود.

وقد بينا: أنه يريد بدلود؛ النبي المنتظر. وبيننا: أن النبي المنتظر الذي هو
"المسيح الرئيس" محمد ﷺ.

والدليل على أنه هو محمد ﷺ من هذا النص: هو أنه قال: "وأكرم معهم
ميثاق سلام فيكون معهم عهداً مؤبداً".

وقال أنبياء بني إسرائيل: إنه ليس سلام للأشرار من اليهود، فيكون
المتمتع بنعم الملكوت الآتي هم المؤمنون بالنبي ﷺ ومن تلك:

١- قول المسيح عيسى عليه السلام لليهود: "يا أولاد الأفاعي، كيف تقدر أن
تتكلّموا بالصالحات وأنتم لأشرار" (١٣١).

٢- قول إشعيا للنبي:

"ويقول: اعدوا اعدوا، هبوا الطريق، ارفعوا المعثرة من طريق شعبي؛
لأنه هكذا قال الرب المرتفع ساكن الأبد القدوس، اسمه في الموضع المرتفع
المقدس، اسكن ومع المنسحق والمواضع الروح لأحيى روح المتواضعين،
ولأحيى قلب المنسحقين؛ لأنّي لا أحصم إلى الأبد، ولا أغضب إلى الأبد؛ لأن
الروح بغضى عليها أمامي، وللمسكت التي صنعتها من أجل إثم مكعبه غضبت
ومصيرته استمرت وغضبت فذهب عاصياً في طريق قلبه رأيت طريقه، وسأشفه
ولقوده وأرد تعزيات له ولناحيه خالقاً ثمر الشجرتين سلام سلام للبعيد والقريب.
قال الرب: وسأشفه، أما الأشرار فكأبهر المضطرب؛ لأنه لا يستطيع أن يهدأ
وتنظف مياهه حصة وطننا" (١٣٢).

...

التطبيق مع القرآن الكريم:

أولاً: ﴿الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ﴾

(١٣١) متى: ١٢: ٢٤.

(١٣٢) إش: ٥٧: ١٤ - ٢٠.

١- في القرآن الكريم: أن اليهود - المعبر عنهم بالدين كفروا - سيؤلف الله بين قلوب المؤمنين بالنبي محمد ﷺ، ولما الكافرون به منهم؛ فقد أمر بقتالهم ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (١٣٣) واستمر في الكلام عليهم إلى أن قال: ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١٣٤).

٢- وهي سورة التوبة عن مصارف الزكاة: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْمُقَرَّبِينَ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٣٥). وقد كان بنو إسرائيل من بعد عصر سليمان عليه السلام وعبرانيين، وعاصمة مملكة السامريين كانت "نابلس" المسماة قديماً بنكيم. وكانت عاصمة مملكة العبرانيين "لورشليم" التي هي "القدس". وكانت الحدود متحدة جداً بين الطائفتين في زمن المسيح عيسى عليه السلام.

وحدث أن السامريين والعبرانيين كان يقتل بعضهم بعضاً، وكانوا يخرجون أنفسهم من ديارهم. كما في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشْهِدُونَ﴾ (٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْكُوكُمْ أَمْسَارِي تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتُكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ

(١٣٣) الأنفال: ٣٩.

(١٣٤) الأنفال: ٦٣.

(١٣٥) التوبة: ٦٠.

ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا
اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا
يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٣٦﴾.

والسامريون يعرفون بني إسرائيل أو بسمل أفرايم، والعبرانيون يعرفون
بیهودا؛ لأن الملوك كانوا عليهم من سبط يهوذا. وتعرف مملكتهم بمملكة داود.
ويزعمون أن النبي المنتظر سوف يأتي من سمل داود. ولما جاء المسيح عيسى
عليه السلام وبشر بأن النبي الآتي سيكون من إسماعيل عليه السلام، جعلوا للمسيح عيسى
نسباً مزوراً لداود؛ ليقولوا إن هو النبي المنتظر. والمسيح بن مريم من غير أب؛
فلا يكون له نسب في بني إسرائيل.

وهذا نص من التوراة يدل على أنهم كانوا يقتلون أنفسهم، ويخرجون
أنفسهم من ديارهم:

في السنة الثامنة عشر للملك أربعم ملك أبا على يهوذا، ملك ثلاث سنين
في اورشليم، واسم أمه ميحايا بنت أورينيل من جبعة، وكانت حرب بين أبا
ويربعام، وابتدأ أبا في الحرب بجيش من جبابرة القتل أربع مائة ألف رجل
مختار، ويربعام اصطف لمحاربته ثمان مائة ألف رجل مختار جبابرة بأس،
وقام أبا على جبل صمرايم الذي في جبل أفرايم، وقال: اسمعوني يا أربعم
وكل إسرائيل أما لكم أن تعرفوا أن الرب إله إسرائيل أعطى الملك على إسرائيل
لداود إلى الأبد ولبنيه بعهد ملح، فقام أربعم بن نباط عبد سليمان بن داود
وعصى سيده، فاجتمع إليه رجال يطلقون بنو بلعيل، وتشدوا على رحبعام بن
سليمان. وكان رحبعام حتى رقيق القلب، فلم يثبت أمامهم، والآن أنتم تقولون أنكم
تثبتون أمام مملكة الرب بيد بني داود، وأنتم جمهور كثير، ومعكم عجول ذهب

(١٣٦) البقرة: ٨٤ - ٨٦.

قد عملها يربعام لكم آلهة، إما طرحتم كهنة الرب بني هرون واللاويين، وعملتم
 بأنفسكم كهنة كشعوب الأراضى كل من لى ليملاً يده بثور ابن بقر ومسبحة
 كباش، صار كاهناً للذين ليسوا آلهة. وأما نحن فالرب هو إلهنا ولم نتركه،
 والكهنة لخدامون الرب هم بنو هرون واللاويون في العمل، ويوقدون للرب
 محرقات كل صباح ومساء، وبخور أطياب، وخبز الوجوه على المائدة الطاهرة،
 ومنارة الذهب وسرجها للإيقاد كل مساء؛ لأننا نحن حارمون حراسة الرب
 إلهنا. وأما أنتم فقد تركتموه وهو ذا معنا الله رؤساً، وكهنته، وأبواق الهتاف
 للهتاف عليكم. فإيا بني إسرائيل، لا تحاربوا الرب إله آبائكم؛ لأنكم لا تفلحون،
 ولكن يربعام جعل الكمين يدور ليلتي من خلفهم، فكلوا أمام يهوذا والكمين
 خلفهم، فالتفت يهوذا وإذا الحرب عليهم من قدام ومن خلف، فصرخوا إلى
 الرب، وبوق الكهنة بالأبواق، وهتف رجال يهوذا، ولما هتف رجال يهوذا
 صرب الله يربعام وكل إسرائيل أمام آبائهم ويهوذا؛ فانهزم بنو إسرائيل من أمام
 يهوذا، ودفعهم الله ليدهم، وضربهم أباء وقومه ضربة عظيمة، فسقط قتلى من
 إسرائيل خمس مائة ألف رجل مختاراً قتل بنو إسرائيل في ذلك الوقت، وتشجع
 بنو يهوذا؛ لأنهم اتكلوا على الرب إله آبائهم. وطارد أباء يربعام، وأخذ منه مدناً
 بيت أيل وقراها، ويشلانة وقراها، وعفرون وقراها، ولم يقو يربعام بعد في أيام
 أباء فضربه الرب ومات، وتشدد أباء، واتخذ لنفسه أربع عشرة امرأة، وولد
 اثنين وعشرين ابناً وست عشرة بنتاً، وبقيّة أمور أباء وطرقه وأقواله مكتوبة في
 مدرس النبي عمو^(١٣٧).



(١٣٧) أخبار الملوك الثاني أصحاح ١٣.

واستمرت العدوة بين السامريين والعبرانيين إلى أن ظهر الإسلام. ومن دخل منهم في الإسلام صاروا جميعاً إخوة، وصاروا لجميع المؤمنين بالإسلام من كل الأمم إخوة. وهذا هو معنى أن الله ألّف بين قلوبهم.

وقد تنبأ أنبياء بني إسرائيل بهذا التأليف في زمن النبي الأمي الآتي. وهذه نصوص من التوراة تكل على ذلك:

النص الأول:

‘وكان إليّ كلام الرب قائلاً: وأنت يا بن آدم حد لنفسك عصا واحدة، واكتب عليها ليهودا وابني إسرائيل رفقائه، وخذ عصا أخرى، واكتب عليها ليوسف عصا فراريم وكل بيت إسرائيل رفقائه، وأقرنهما الواحدة بالأخرى كعصا واحدة؛ فتصيرا واحدة في يدك، فإذا كلمك أبناء شعبك قائلين: إما نخبرنا ما لك وهذا. فقل لهم هكذا: قال السيد الرب هاأنذا أخذ عصا يوسف التي في يد فراريم وأسباط إسرائيل رفقائه، وأصم إليها عصا يهوذا، وأجعلهم عصا واحدة؛ فيصبرون واحدة في يدي، وتكون المسكونة للثلاث كتبت عليهما في يدك أمام أعينهم، وقل لهم هكذا: قال السيد الرب هاأنذا أخذ بني إسرائيل من بين الأمم التي ذهبوا إليها وأجمعهم من كل ناحية، وأتي بهم إلى أرضهم وأسيرهم أمة واحدة في الأرض على جبال إسرائيل، وملك واحد يكون ملكاً عليهم كلهم، ولا يكونون بعد أمتين، ولا ينقسمون بعد إلى مملكتين، ولا يتحصنون بعد بأصنامهم، ولا برجاساتهم، ولا يغيء من معاصيهم، بل أخلصهم من كل مساكنهم التي فيها أخطأوا ولطهرهم، فيكونون لي شعباً، وأنا أكون لهم إلهاً، ودلود عهدي يكون ملكاً عليهم، ويكون لجميعهم راع واحد فيسكنون في أحكامي، ويحفظون فرائضي، ويعملون بها، ويسكنون في الأرض التي أعطيت عهدي يعقوب إياها التي سكنها أبائكم، ويسكنون فيها هم وبنوهم وبنو بنوهم إلى الأبد، وعهدي دلود رئيس عليهم إلى الأبد، وأقطع معهم عهد سلام، فيكون معهم عهداً مؤبداً،

وأقربهم وأكثرهم، وأجعل مقدسي في وسطهم إلى الأبد، ويكون مسكني فوقهم،
وأكون لهم إلهًا، ويكونون لي شعبًا، فتعلم الأمم إنني أنا الرب مقدس إسرائيل؛ إذ
يكون مقدسي في وسطهم إلى الأبد»^(١٣٨).

النص الثاني:

"في تلك الأيام يذهب بيت يهوذا مع بيت إسرائيل، ويأتیان معًا من أرض
الشمال إلى الأرض التي ملكت آبائكم ياها»^(١٣٩).

النص الثالث:

"ها أيام تأتي يقول الرب: وأقيم لدود حصن بر؛ فيملك ملكه، وينجح
ويجري حقًا، وعدلاً في الأرض في أيامه يخلص يهوذا، ويسكن إسرائيل آمنًا.
وهذا هو اسمه الذي يدعونه به الرب برنا»^(١٤٠).

"في ذلك الزمان يقول الرب: لأكون إلهًا لكل عشائر إسرائيل، وهم يكونون
لي شعبًا»^(١٤١).



النص الرابع:

"فيقول حسد أفرام، وينقض المضائق من يهوذا. أفرام لا يحد
يهوذا، ويهوذا لا يضائق أفرام وينقضان على أكثاف الفلسطينيين غربًا،
وينهبون بني المشرق معًا، يكون على أنوم ومواب امتداد يدهما، وبنو عمون
في طاعتهما»^(١٤٢).

النص الخامس:

(١٣٨) حزقيال: ٣٧: ١٥ - ٢٨.

(١٣٩) إرميا: ٣: ١٨.

(١٤٠) إرميا: ٢٣: ٥ - ٦.

(١٤١) إرميا: ٣١: ١.

(١٤٢) إش: ١١: ١٣ - ١٤.

"حاكموا أمكم حاكموا؛ لأنها ليست امرأتي وأنا لست رجلها؛ لكي تعزل
زناها عن وجهها وفسقها من بين نكيبها" (١٤٣).
لنص الصلح:

"إني أجمع جميعك يا يعقوب أصم بقية إسرائيل، أضعهم معًا كغنم
الحظيرة، كقطيع في وسط مرعاه يضيع من الناس" (١٤٤).
لنص الصلح:

"وأقطع للمركبة من أهرام، وقفر من أورشليم، ونقطع قوس الحرب،
وننكم بالسلام للأمم، وسلطانة من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصي
الأرض" (١٤٥).



(١٤٣) هوشع: ٢: ٢.

(١٤٤) ميخا: ٢: ١٢.

(١٤٥) زكريا: ٩: ١٠.

من صهيون تخرج الشريعة

في كتاب التوراة أن النبي الأُمِّي الآتي إلى العالم سيأتي إلى اليهود ليكلهم بكلام الله. وليس في كتاب التوراة أنه يخرج من نسل اليهود العبرانيين أو السامريين. وإبه ليوجد فرق بين أنه يأتي إليهم، وبين أنه يأتي منهم. فيأتي إليهم تدل على أنه سيكون من غير جنسهم. ويأتي منهم تدل على أنه سيظهر من جنسهم. إلا إذا قلنا: إن نسل إبراهيم عليه السلام أمة واحدة، إذا أتى من نسل ولد مسن لولده، فإنه يكون منهم مجازاً، لأن لولاد الأعمام هم عشيرة واحدة، ولذلك عبر عن النبي الآتي بقوله: "من وسطك" أي من المؤمنين نسل إبراهيم عليه السلام وقال: إنه سيأتي من إخوانهم الساكنين في أرض فاران. وهم بنو إسماعيل عليه السلام.

وإذا ظهر هذا النبي الأُمِّي فإنه سيهلك الكافرين به من اليهود والأمم، وسيبقى على المؤمنين به من اليهود والأمم، ولذلك تجد في كتب التوراة: أن بلاد اليهود ستخرب على يد هذا النبي عليه السلام.

وتجد فيها: أن بلاد اليهود ستعمر على يد هذا النبي الأُمِّي. وليس هذا من التناقض في شيء. فإن خراب البلاد يكون للكافرين به، وتعمر البلاد يكون للمؤمنين به. وتعد التوراة عن المؤمنين به باليقية للصالحه من بني إسرائيل.

وفي هذا المعنى يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَلَمْ يَأْتِ الْوَحْيَ إِلَّا بِحَقِّ الْوَعْدِ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِظْنَا كِتَابَ حَقِّظْ (١٦)﴾.

يحير عن اليهود: أن محمدًا رسول الله (مُتَدْرِئٌ مِّنْهُمْ) فإنهم جميعًا أولاد عم من عشيرة واحدة. ونقصان الأرض منهم: هو نزع ملكهم قرية قرية إلى أن لا يكون لهم ملك في العالم. والأحبار منهم يكونون في الأرض مع المؤمنين فسي ملكوت السموات*.

ولنطبق هذا على أول سفر إشعيا النبي.

١ - فإنه تكلم عن اليهود بقوله إنهم شعب ناكس الجميل. ولذلك ستكون أرضكم حراب ومدنكم محروقة بالنار*.

٢ - وتكلم عن "البقية" فقال: "لولا أن رب القوت ترك لنا بقية يسيرة؛ لصرنا مثل سدوم وأشبهنا عمورة" قري قوم لوط سورة الحجر.

"اسمعي أيتها المملوكات، واصفي أيتها الأرض؛ لأن الرب يتكلم ربيت بنين ونشأتهن، أما هم فحسوا على قنود يعرف قانيه، والعمار مطف صاحبه. أما إسرائيل، فلا يعرف شعبي لا يعهم، ويل الحكمة الحاطنة للشعب الثقيل الإثم، نسل فاعلي الشر أولاد مفسدين تركوا الرب، استهانوا بقوس إسرائيل ارتدوا إلى وراء على ما نصربون بعد ترددكون زيفًا كل الرأس مريض، وكل القلب سقيم من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة، بل جرح وإحباط وضربة طرية لم تعصر، ولم تعصب، ولم تلين بالرئت. بلانكم حربة مدنكم محروقة بالنار، أرضكم تأكلها غرباء كدائمكم، وهي حربة كتنقلاب الغرباء؛ فبقيت ابنة صهيون كمظلة في كرم كخيمة في مقناة، كمدينة محاصرة لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة؛ لصرنا مثل سدوم وأشبهنا عمورة" (١١٧).

٣ - وتكلم عن السلام الدائم الذي سيكون في آخر الأيام، وهي آخر أيام بني إسرائيل في الملك والنبوة، وهي نفسها أول أيام بني إسماعيل في الملك والنبوة من محمد ﷺ.

(١٤٧) إش: ١: ٢ - ٩.

وعبر عن مكان ظهور الشريعة الجديدة بقوله إنها ستكون من عند جبل
لرب. وليس من جبل للرب إلا في مكة المكرمة.
وهذا هو النص:

"ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال،
ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم، وتسير شعوب كثيرة، ويقولون هلم
نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب، فيعلمنا من طرقه، ونسلك في سبله؛
لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب، فيقضي بين الأمم،
وينصف لشعوب كثيرين، فيطبعون سيوفهم سكاكاً، ورماحهم مناجل لا ترفع أمة
على أمة سيقاً، ولا يتعلمون الحرب في ما بعد يا بيت يعقوب. هلم فنسلك في
نور الرب" (١٤٨).

٤- وتكلم عن أسباب رفض الله لليهود من المسير أمامه. فقال:

"قلبك رفضت شعبك بيت يعقوب؛ لأنهم امتلأوا من المشرق، وهم علفون
كالفلسطينيين، ويصافحون أولاد الأجانب، وامتلات أرضهم فضة وذهباً، ولا
نهاية لكتوزهم، وامتلات أرضهم غيلاً ولا نهاية لمركباتهم، وامتلات أرضهم
أوثاناً يسجدون لعمل أيديهم لما صنعه أصابعهم، وينخفض الإنسان، وينطرح
الرجل؛ فلا تغفر لهم، ادخل إلى الصخرة واخشئي في التراب من أمام هيبة
لرب، ومن بهاء عظمته توضع عيداً تشامخ الإنسان وتخفض رفعة الناس،
ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم، فإن لرب الجنود يوماً على كل منعظم وعال،
وعلى كل مرتفع فيوضع، وعلى كل أرز لبنان العالی المرتفع، وعلى كل بلوط
باشان، وعلى كل الجبال العالقة، وعلى كل التلال المرتفعة، وعلى كل برج
عال، وعلى كل سور منيع، وعلى كل سفن ترشيش، وعلى كل الأعلام البهجة،
فيخفض تشامخ الإنسان، وتوضع رفعة الناس، ويسمو الرب وحده في ذلك

اليوم، وتزول الأوثان بتمامها، ويدخلون في معابر الصخور، وفي حائل التراب من أمام هيبة الرب، ومن بهاء عظمته عند قيامه ليرعب الأرض في ذلك اليوم يطرح الإنسان أوثانه الفضية وأوثانه الذهبية التي عملوها له للمسجود للجرذان والخفافيش؛ ليندخل في بقر الصخور، وفي شقوق المعازل من أمام هيبة الرب، ومن بهاء عظمته عند قيامه ليرعب الأرض كفوا عن الإنسان الذي في أنفه نعمة؛ لأنه ماذا يصب^(١٤٩).

٥- وتكلم عن الأشرار والمرائين، وعلماء السوء للمفسرين في الأرض، والفوضى التي ستكون في اورشليم في أيام ظهور النبي الأتي. فقال:

فإنه هو ذا السيد رب الجنود ينزع من اورشليم، ومن يهودا المسد والركن كل سد خبز، وكل سد ماء الجبار، ورجل الحرب القاصي، والنبي، والعراف، والشيخ رئيس الخمسين، والمعتبر، والمشير، والماهر بين الصنائع، والحاتق بالرماية، وأجل صديقات رؤساء لهم، وأطفالاً يتسلط عليهم، ويظلم الشعب بعضهم بعضاً، والرجل صاحبه. يتمرد الصبي على الشيخ، والذنيء على الشريف إذا لمسك إنسان بأخيه في بيت أبيه قائلاً: لك ثوب فتكون لنا رثيماً، وهذا الخراب تحت يدك يرفع صوته في ذلك اليوم قائلاً: لا أكون عاصياً، وفي بيتي لا خبز ولا ثوب، لا تجعلوني رئيس الشعب؛ لأن اورشليم عثرت ويهوذا سقطت؛ لأن لسانهما وأفعالهما ضد الرب لإغاية عيني مجده، نظر وجوههم يشهد عليهم، وهم يخبرون بخطيتهم كمدوم لا يخفونها، ويل لنفوسهم؛ لأنهم يصنعون لأنفسهم شراً قولوا للصديق خيراً؛ لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم، ويل للفرير شرراً؛ لأن مجازاة يديه تعمل به شعبي ظالموه أولاد ونساء يتسلطن عليه يا شعبي مرشدوك مضلون، ويبلعون طريق مسالكك قد انتصب الرب للمخاصمة، وهو قائم لدينونة الشعوب الرب يدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم، وأنتم قد أكلتم

(١٤٩) إش: ٢: ٦-٢٢.

الكرم سلب البائس في بيوتكم ما لكم تسحقون شعبي، وتطحنون وجوه البائسين
يقول السيد رب الجنود^(١٥٠).

٦- وتكلم عن النبي الأمي الآتي ولقبه بلقب 'حصن الرب' أو 'ثبت الرب'

فقال:

'في ذلك اليوم يكون حصن الرب بهاء ومجداً، وتثمر الأرض فخراً وزينة
للناجين من إسرائيل، ويكون لي الذي يبقى في صهيون، والذي يترك في
لورشليم يسمى قدوساً كل من كتب للحياة في اورشليم. إذا غسل السيد قدر بنات
صهيون، ونقى دم اورشليم من وسطها بروح لقضاء، وبروح الإهراق يخلق
الرب على كل مكان من جبل صهيون، وعلى محفلها مسحاة نهارة ودخاناً
ولمعان نار ملتهبة ليلاً لأن على كل مجد غطاء، وتكون مظلة للقيء نهارة من
الحر ولملحاً ولعذباً من السيل ومن المطر^(١٥١).

٧- وتكلم عن غضب الله على اليهود الكافرين بمحمد رسول الله فقال:

'من أجل ذلك حمي غضب الرب على شعبه، ومد يده عليه، وضربه حتى
ارتعدت الجبال، وصارت جثثهم كالزبل في الأرقعة، مع كل هذا لم يرتد غضبه،
بل يده ممدودة بعد^(١٥٢).

٨- ووصف أصحاب النبي الأمي الآتي بقوله:

'تترفع راية للأمم من بعد، ويصفر لهم من أقصى الأرض، فإذا هم
بالمجلة يأتون سريعاً، ليس فيهم رزح ولا عاثر لا ينصون، ولا ينسامون، ولا
تتحل حزم أحقادهم، ولا تقطع سبور أحذيتهم الذين سهامهم مسنونة وجميع
هسيهم ممدودة، حوافر خيلهم نصب كالصوان، وبكراتهم كالزوبعة. لهم زمجرة

(١٥٠) إش: ٣: ١-١٥.

(١٥١) إش: ٢: ٤-٦.

(١٥٢) إش: ٥: ٢٥.

كاللبنوة، ويرمجون كالشبل، ويهرون ويمسكون الفريسة، ويستخلصونها ولا
منقذ، يهرون عليهم في ذلك اليوم كهدير البحر، فإن نظر إلى الأرض فهو ذا
ظلام للضيقة والنور قد اظلم بمسحبها^(١٥٣).

٩- وتكلم عن "يوم الرب" فقال:

أ - "ويل للجادبين الإثم بحبال البطل والخطية، كأنه يربط العجلة القائلين
ليسرع ليعجل عمله لكي يرى، وليقرب ويأتي مقصد قنوس إسرائيل لعلم ويل
للقائلين للشر خيراً وللخير شراً، الجاعلين للظلام نوراً والنور ظلاماً الجاعلين،
المرحلوا والخلو مرا، ويل للحكماء في أعين أنفسهم، والفهماء عند ذواتهم، ويل
للأبطال على شرب الخمر، ولذوي القدرة على مرج المسكر الذين يبررون
للشرير من أجل الرشوة. ولما حق الصديقين فيزعرونه منهم لذلك كما يأكل
لهيب النار القش ويهبط الحشيش المتهب يكون أصلهم كالنخوة، ويصعد زهرهم
كالنصار؛ لأنهم رذلوا شريعة رب الجنود، واستهانوا بكلام قنوس إسرائيل^(١٥٤).

ب - "إلى الرب الجنود يوماً على كل متعظم وعال، وعلى كل مرتفع
فيوضع^(١٥٥).

وفي القرآن الكريم:

لأن اليهود يستعجلون عذابهم في "يوم الرب"، وهي الأيام الأولى لظهوره
ﷺ ويقولون: ﴿عَجَلْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾^(١٥٦). وعن هذا أيضاً: ﴿وَلَوْ
يُعَجَّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَرُ الْآلِينَ لَا

(١٥٣) إيش: ٥: ٢٦ - ٣٠.

(١٥٤) إيش: ٥: ١٨ - ٢٤.

(١٥٥) إيش: ٢: ١٢.

(١٥٦) ص: ١٦.

يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ
لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٥٨﴾.

وفي سفر إشعياء عن هذا المعنى: "ويل للذين يجرون الإثم بحبال الباطل،
والخطيئة بمنزل أُمّاس المركبة. القذّلين؛ ليبادروا وليعجل في عمله حتى نرى،
وليقترب ويحضر تدبير قنوس إسرائيل حتى نعلم" ﴿١٥٩﴾.

وقد حدثت معارك يوم الرب في موقعة "اليرموك" وأعطاها زوال الملك من
اليهود إلى الأبد. وهي الموقعة التي يسميها لليهود "هارمجدون".
ثانياً: {حذر الموت}

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَرِ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ
الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) وَقَالُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ﴾ ﴿١٦٠﴾.

قال مفسرو القرآن الكريم: إن هذا المقام كان في زمن حزقيال النبي، وعلى

يديه.

والمعنى الصحيح هو:

١- إنهم في زمن سبي اليهود إلى بابل أيام الملك نبوخذ نصر. مخرج المسيون إلى

بابل وهم حذر الموت الحقيقي.

(١٥٧) يونس: ١١.

(١٥٨) العنكبوت: ٥٤.

(١٥٩) يش: ٥: ١٨-١٩.

(١٦٠) البقرة: ٢٤٣-٢٤٤.

٢- فقال لهم الله: موتوا موتاً بحرياً وهو اهواي على الباس. وظنوا في الهوان إلى أن أحياهم الله بمحمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

ثالثاً: ﴿ماء طهوراً﴾

في الأصحاح السادس والثلاثين من سفر حزقيال: «وكان إليّ كلام الرب قائلاً: يا بن آدم إن بيت إسرائيل لما سكنوا أرضهم نجسوها بطريقهم وبأفعالهم، كانت طريقهم أمامي كنجاسة الطامة، سكبت غضبي عليهم لأجل الدم الذي سكبوه على الأرض، وبأصنامهم نجسوها، فبنتهم في الأمم فتذروا في الأراضي كطريقهم، وكأفعالهم دننهم، فلما جاءوا إلى الأمم حيث جاعوا نجسوا اسمي القدوس، إذ قالوا لهم: هؤلاء شعب الرب، وقد خرجوا من أرضه، فتحننت على اسمي القدوس الذي نجسه بيت إسرائيل في الأمم، حيث جاعوا لذلك فقل لبيت إسرائيل: هكذا قال السيد الرب ليس لأجلكم أنا صانع يا بيت إسرائيل، بل لأجل اسمي القدوس الذي نجستموه في الأمم حيث جئتم، فأنقذ اسمي العظيم المنجس في الأمم الذي نجستموه في وسطهم، فتعلم الأمم أنني أنا الرب. يقول السيد الرب: حين أنقذ هيكم قدام أعينهم وأخذكم من بين الأمم وأجمعكم من جميع الأراضي، وأتي بكم إلى أرضكم وأرشد عليكم ماء طاهراً، فتطهرون من كل نجاستكم، ومن كل أصنامكم، تطهركم وأعطيكم قلباً جديداً، وأجعل روحاً جديدة في داخلكم، وأنزع قلب الحجر من لحمكم، وأعطيكم قلب لحم، وأجعل روحي في داخلكم، وأجعلكم تسلكون في فرائضي، وتحفظون أحكامي، وتعملون بها، وتسكنون الأرض التي أعطيت آبائكم ليها، وتكونون لي شعباً، وأنا أكون لكم إلهاً وأخلصكم من كل نجاستكم، وادعوا الحنطة وأكثرها، ولا أضع عليكم جوعاً، وأكثر ثمر الشجر وغلة الحقل؛ لكيلا تتألوا بعد عار الجوع بين الأمم،

فتذكرون طرقكم الرديئة وأعمالكم غير الصالحة، وتمقتون أنفسكم أمام وجوهكم من أجل آثامكم، وعلى رجاساتكم لا من أجلكم أنا صانع. يقول السيد الرب: فليكن معلوماً لكم، فاخجلوا واخزوا من طرقكم يا بيت إسرائيل. هكذا قال السيد الرب: في يوم تطهيري إياكم من كل آثامكم أسكنكم في المدن، فتنبنى للخراب، وتنتج الأرض للخرابة عوضاً عن كونها خربة أمام عيني كل عابر. فيقولون: هذه الأرض الخربة صارت كجنة عدن، والمدن الخربة والمقبرة والمنهزمة محصنة معصورة^(١٦١).

البيان:

إنه يتكلم عن إحياء العظام القابضة في زمن النبي الأُمِّي الأُمِّي. ويقول: إن اليهود لما وقعوا تحت ملك بابل، ومن بعده ملك فارس. ثم اليونان والرومان؛ هانت عليهم أنفسهم فأسوا من حياتهم واستهانوا بربهم. وعبدوا الأصنام؛ ولذلك صاروا نجاساً. فمن يطهرهم من هذه النجاسة؟ إنها نجاسة معنوية. وهي لا تزول إلا بطهارة معنوية. كالكافر الذي يغسل في الدين الإسلامي. فإنه يغتسل بالماء دلالة على أنه كان نجساً. لا نجاسة بدن، وإنما نجاسة بُعد عن الله. هي تزول بالقرب منه. ويجبر بالماء؛ لأنه مسبب في أعين الناس لإزالة وسخ من ثوب أو جسد، فكما أن الماء يطهر الجسد نقياً من الوسخ. كذلك الإيمان يطهر القلب من الكفر. وقد عبر المسيح القديس عن هذا المعنى في محادثته مع امرأة من السامرة؛ إذ طلب منها ماء ينثر ليشرب. ولم تعطه؛ لأنه عبراني والعبرانيون لا يعاملون السامريين؛ لأنهم في نظرهم كفار. ولما لم تعطه قال لها: إن عندي ماء حي. ورددت عليه بقولها: لا تلو لك والهنر عميقة فمن أين لك الماء الحي؟ وقد

(١٦١) حز: ٣٦: ١٦: ٣٥.

فسر المسيح الماء الحي بالكلام الذي يبعث على فقال: "من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا، فلن يعطش إلى الأبد" (١٦٢).

وشبه الكلام الباعث على الإيمان بأنه ينبوع ماء يصير في جسد المؤمن، ويبقى إلى الأبد "بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (١٦٣). ولا أحد يعقل أن لفظ الماء على الحقيقة، لأنه لن يتحول إلى ينبوع حقيقي دائم النبع.

وقال المسيح: لن الماء الذي لنا أعطيه للعطاش إلى الأبد ليشربوا منه ليس ماء أرضياً، وإنما هو من السماء. أي هو كلام الله الذي يحيى القلوب. كما يحيى الماء الجسد ويحفظه من الموت. وكذلك الخبز الذي أكلتموه من المائدة السماوية وطلبتموه بقولكم: «هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ؟» وقد بارك الله في طعام هو "خمسة أرغفة شعير وسمكتان" فأكل من نحو خمسة آلاف. وهذا الطعام كان من طعام الأسميين في الأرض، وعبر عنه بالسماء؛ لأنه جاءهم بطريقة غير مألوفة، وجاءهم من الله لا من الشيطان.

وفي هذا المعنى يقول المسيح: "أنا هو حبز الحياة. من يقبل إلي فسلام يجوع. ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً" (١٦٤).

واستطرد قائلاً: "ولكني قلت لكم إنكم قد رأيتموني ولمستم تؤمنون. كل ما يعطيني الأب فإلي يقبل. ومن يقبل إلي لا أخرجه خارجاً، لأنني قد ترلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني. وهذه مشيئة الأب الذي أرسلني: أن كل ما أعطاني لا أُلْف منه شيئاً، بل أقيم في اليوم الأخير؛ لأن

(١٦٢) يو: ٤: ١٤

(١٦٣) السابق.

(١٦٤) يو: ٦: ٣٥.

هذه مشيئة الذي أرسلني: أن كل من يرى الابن. ويؤمن به، تكون له حياة أبدية. وأنا أقوم في اليوم الأخير^(١٦٥).

ومراد المسيح من نزول من السماء: هو أنه مرسل من الله وليس هو من الأنبياء الكاذبين. واليوم الأخير: هو نهاية أيام بني إسرائيل في الملك والنبوة. وهو بدء أيام بني إسماعيل فيها من محمد ﷺ لأن إسماعيل مبارك فيه. ومن لقاب محمد عندهم لقب "الابن" في المزمور الثاني لدلود الثاني.

فإذا قال حزقيال: إن الله سيحيي المؤمنين بالنبي الآتي من موت النمل والمسكنة. وأنه سيرش على من يؤمن ماء طاهرًا، فإنه يعني بقوله هذا: أن من يؤمن بالنبي سيكون طاهر القلب. وأن من لا يؤمن به من اليهود سيكون نجسًا؛ لأنه ليس على شريعة؛ إذ التوراة قد نسخت، وإذا هم يعبدون الأصنام كعبادة الأمم لها. وعبر برش الماء عن طهارة القلب لأن الناس تعرف أن الماء مزيل للنجاسة.

وحزقيال شبه اليهود الكافرين بمحمد، بالمرأة الحائض التي لا تظهر من نجاستها إلا بالماء فقال: "وصلات سيرتهم في نظري كنجاسة دم امرأة في حوضها"^(١٦٦).

وفي ترجمة أخرى: "كانت طريقهم أمامي كنجاسة الطامث".

وهذا هو نص التوراة عن الحائض:

"وإذا كانت امرأة لها سيل، وكل من سيلها دمًا في لحمها، لسبعة أيام تكون في طمئتها، وكل من معها يكون نجسًا إلى السماء، وكل ما تضطجع عليه في طمئتها يكون نجسًا، وكل ما تجلس عليه يكون نجسًا، وكل من مس فراشها يغسل

(١٦٥) يو: ٦: ٣٦ - ٤٠.

(١٦٦) حز: ٣٦: ١٧.

ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجسًا إلى المساء، وكل من مس متاعًا تجلس عليه
يفسل ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجسًا إلى المساء»^(١٦٧).

وفي القرآن الكريم: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا﴾^(١٦٨). لا يعنى
الطهارة بالماء، وإنما يعنى نقاء القلوب من علائق الدنيا. وفيه أن لوطاً عليه
السلام قال: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أي مؤمنون وليسوا زناة لو بَلَطَ
بهم. ولا يعنى أطهركم بالماء.

وفي القرآن: ﴿وَيُرْسِلْ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ﴾ على المعنى
المراد من كلام حرقياى والمسيح. وإذا قل إنه ماء مبارك لنحى به بلدة ميتة،
فإنه يحتمل إحياءها بالقرآن من الكفر، ويحتمل إخراج نباتها.

وقل تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي
الْمَحِيضِ﴾^(١٦٩). رتب على الأدنى اعتزال النساء في المحيض. ولم يزد عليه
شيئاً.

ولما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾^(١٧٠). فليس معناه الطهر
بالماء؛ لأن انقطاع الدم مزيل للأذى بدون ماء.

والمعنى: لا يتزوج مسلم رتبة حتى يطهر قلبها بالإيمان، وتبتعد عن
الشیطان لقوله: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا
زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٧١).

(١٦٧) لا: ١٥: ١٩ - ٢٢.

(١٦٨) التوبة: ١٠٨.

(١٦٩) البقرة: ٢٢٢.

(١٧٠) البقرة: ٢٢٢.

والدليل على أن يطهرن هو طهارة القلب من الزنا: قوله عن مريم -
 رضي الله عنها -: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾ (١٧٢).
 ووصف المتصدق بأنه طهر قلبه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَلَاةً تُطَهِّرُهُمْ
 وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (١٧٣).
 ووصف الكافر بالنجس: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ
 قُلُوبَهُمْ﴾ (١٧٤). {وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيَعْلَمَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ} (١٧٥).
 ﴿وَطَهَّرَ نَاسِيَ السُّفَّالِينَ﴾ (١٧٦). أي من عبك الأصنام. ﴿وَنَبَاكَ
 فَطَهَّرَ﴾ (١٧٧). كتابة عن حسن مظهر المؤمن، ليدل على حسن قلبه.
 ﴿وَمَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (١٧٨). أي جعل في قلوبهم شريعة صبر
 عنها بالشراب الطهور الذي من يشرب منه لا يفسد أبدا.
 ﴿ذَلِكُمْ أَطَهَّرَ لِقُلُوبِكُمْ وَقَلْبِيهِمْ﴾ (١٧٩). ﴿وَمَطَهَّرَكَ مِنَ الْإِيمَنِ
 كَفَرُوا﴾ (١٨٠). أي أخرجك من بين اليهود، ومنعت عنك الرجس. ﴿مَرْفُوعَةً
 مُطَهَّرَةً﴾ (١٨١).

(١٧١) النور: ٣.

(١٧٢) آل عمران: ٤٢.

(١٧٣) التوبة: ١٠٣.

(١٧٤) الأنبياء: ٤١.

(١٧٥) الأنبياء: ٦.

(١٧٦) الحج: ٢٦.

(١٧٧) المدثر: ٤.

(١٧٨) الإنسان: ٢١.

ومن ذلك يعلم: أن الله شبه المعوي، وهو قوة الإيمان في القلب المحسوس، وهو الطهارة بالماء؛ لأن المألوف عند الناس أن الماء يستعمل بطاقة الجسد والثياب. فله بالمألوف لإيضاح المعنى.

وعلى هذا الذي مألوف بفسر قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (٤٨) لِنُخَيِّبَ بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْفَاسِي كَثِيرًا^(١٧٩). فنقول إن المراد من الماء المنزل من السماء هو الكتابة عن القرآن؛ ليظهر قلوبهم به. وإحياء بلد الميتة به يريد به إحياء أهل الكفر، فإن الكفر موت مجازًا. والمراد بالأنعام للكلية عن علماء بني إسرائيل لقوله: ﴿إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِدَا اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١٨٠). والمراد بالأناسي المهتدون إلى الله من الأميين اليهود والأمم. ومعنى السقيا هو كمعنى الشرب لمن يريد لنفسه النجاة من النيران بالإيمان.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا بِهِمْ لِيَذَكَّرُوا﴾^(١٨١). يريد به تنوع الأساليب عن المعنى الواحد، والتكرار يدل على أن اليهود قد قرأوا هذا في كتبهم، وسمعوه من علمائهم.

رابعاً: ﴿جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعَنَبٍ﴾

(١٧٩) الأحزاب: ٥٣.

(١٨٠) آل عمران: ٥٥.

(١٨١) عبس: ١٤.

(١٨٢) الفرقان: ٤٨ - ٤٩.

(١٨٣) الأعراف: ٥٥.

(١٨٤) الفرقان: ٥٠.

وقال حزقيال عن كثرة الحيرت في زمن محمد ﷺ: "وقال يوم الرب: **أطهركم من جميع آثامكم وأسكنكم في المدن الخربة فتبنونها، وتفلحون الأرض المقفرة بعد أن رآها للناس خراباً. يقال: صارت هذه الأرض المقفرة كجنة** **عن** (١٨٥)".

وفي ترجمة أخرى: "هكذا قال السيد الرب: في يوم تطهيري لياكم من كل آثامكم؛ أسكنكم في المدن؛ أفتني الخرب، وتفتح الأرض الخربة عوضاً عن كونها خربة أمام عيني كل عابر. فيقولون: هذه الأرض الخربة صارت كجنة **عن** "وقال الله تعالى عن اليهود: ﴿وَقَالُوا لَنْ لُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾" (١٨٦).

البيان:



١- تفجير الأرض ينبوع.

٢- جنة من نخيل وعنب.

٣- لو تسقط السماء كسفاً

٤- الإتيان بالله والملائكة.

٥- الرقي في السماء.

وهذا كله في التوراة في أسفار متعددة، وفي أماكن هي نبوت عن محمد

ﷺ:

أولاً: ينبوع

كنى بالينابيع والنخيل والأعاب عن كثرة الخيرات في زمن شريعة محمد

ﷺ ومن النصوص الدالة على ذلك:

(١٨٥) حزقيال: ٢٦: ٣٣ - ٣٥.

(١٨٦) الإسراء: ٩٠.

أولاً: "ها أيام تأتي يقول الرب يدرك الحارث الحاصد، ودائس الغناب،
 انثر الزرع، وتقطر الجبال عصيراً، وتسيل جميع التلال، وأرد سبي شعبي
 إسرائيل؛ هينون مدناً خربة، ويمسكنون، ويغرسون كروماً، ويشربون حمراً،
 ويصنعون جنات، ويأكلون أثمارها، وأغرسهم في أرضهم، ولن يقلعوا بعد من
 أرضهم التي أعطيتهم قال الرب إلهك" (١٨٧).

ثانياً: "ويكون في ذلك اليوم أن للجبال تقطر عصيراً، والتلال تفيض لبناً،
 وجميع ينابيع يهودا تفيض ماء، ومن بيت الرب يجرح ينبوع ويسقي وادي
 السنط" (١٨٨).

والمراد ببيت الرب: الكعبة في مكة المكرمة.

ثالثاً: "تفرح البرية والأرض البسة، وابتهج القفر، ويزهر كالنرجس
 يزهر أزهاراً، وابتهج ابتهاجاً، ويربح يدفع إليه مجد لبنان بهاء كرمل وشارون،
 هم يرون مجد الرب بهاء إليها شذبوا الأيادي المستريحة، والركب المرتعشة
 شذبوها قولوا لحائقي القلوب:

تشدوا لا تخافوا هو ذا إلهكم الانتقام يأتي جزاء الله هو يأتي ويخلصكم،
 حينئذ تنفتح عيون العمي، وأذن الصم تنفتح، حينئذ يقفز الأعرج كالأيل، ويترنم
 لسان الأحرس؛ لأنه قد انفجرت في البرية مياه، وأنهار في القفر ويصير
 السراب أجماً والمعطشة ينابيع ماء في مسكن الذئب في مريضها دار للقصب
 والبردي، وتكون هناك مكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة، لا يعبر فيها
 نحص، بل هي لهم من سلك في الطريق، حتى الجهال لا يضل، لا يكون هناك
 أسد وحش مفترس لا يصعد إليها، لا يوجد هناك بل يسلك المفديون فيها، ومفديو

(١٨٧) عاموس: ٩: ١٣-١٥.

(١٨٨) يونس: ٣: ١٨.

الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنم وفرح أبدي على رؤوسهم ابتهاج وفرح يدركانهم، ويهرب الحزن والقتل^(١٨٩).

رابعاً: "البائسون والمساكين طالبون ماء ولا يوجد، لسانهم من العطش قد يبس، أنا الرب استجب لهم، أنا إله إسرائيل لا أتركهم افتح على الهضاب أنهاراً، وفي وسط البقاع ينابيع، أجعل القفر أجمة ماء والأرض اليابسة مفاجر مياه، أجعل في البرية الأرز والسند والأس وشجرة الزيت، أضع في البادية للسرو والسنديان والشربين معاً لكي ينظروا ويعرفوا ويتبهنوا، ويقاملوا معاً لأن يد الرب فعلت هذا، وفنوس إسرائيل أبدعه"^(١٩٠).

خامساً: "هكذا قال الرب في وقت القبول: استجبك، وفي يوم الخلاص أعنتك، فأحفظك وأجملك عهداً للشعب لإقامة الأرض لتمليك أملاك البراري، قتلًا للأكرى: اخرجوا للذين في الظلام اظهروا على الطرق يرجعون، وفي كل الهضاب مرعاهم لا يجوعون، ولا يعطشون ولا يضربهم حر ولا شمس، لأن الذي يرحمهم يهديهم، وإلى ينابيع المياه يوردهم، وأجعل كل جبلي طريقاً، ومناهي ترتفع هواء من بعد يأتون، وهؤلاء من الشمال ومن المغرب، وهؤلاء من أرض سينيم ترنم أيتها السموات، وابتهاج أيتها الأرض لتشد الجبال بالترنم، لأن الرب قد عزى شعبه، وعلى بائسيه يترحم. وقالت صهيون: قد تركني الرب، وسيدي نسيت هل تكفي المرأة رضيها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين، وأنا لا أنساك، هوذا على كفي نقشك أسوارك أمامي دائماً، قد أسرع بنوك هانموك ومخربوك منك يخرجون، أرفعي عنوك حوائيك، وانظري كلهم قد اجتمعوا أتوا إليك هي أنا يقول الرب: إليك تلبسين كلهم كطي، وتتطيقن بهم كعروس لمن خربك وبراريك، ولأرض خربك أنك تكونين الآن

(١٨٩) يش: ٣٥ كله.

(١٩٠) يش: ٤١: ١٧-٢٠.

ضيقة على السكان، ويتقاعد مبتلعوك. يقول: أيضا في أُنديك بنو تكلتك صيق
 علي المكان، وسعي لي لأسكن، فتقولين في قلبك: من ولد لي هؤلاء ولنا تكلتي
 وعافر منفية ومطرودة، وهؤلاء من رباهم، هأنذا كنت متروكة وحدي هؤلاء
 لين كانوا، هكذا قال السيد الرب: ها إني أرفع إني الأمم يدي، وإلى الشعوب أقيم
 رأيتي، فيأتون بأولادك في الأحضان، وبناتك على الأكتاف يحملن، ويكون
 الملوك حاضيك وسيدتهم مرضعتك بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك، و
 يلحسون غبار رجليك، هتلمين أي أنا الرب الذي لا يحزي منتظروه^(١٩١).

•••

ثانياً: ﴿جَنَّةٌ مِّنْ نُجُجٍ وَعَبٍ﴾

من النصوص الدالة على ذلك:

أولاً: سبق أن ذكرنا من سفر عسافوس: "وبصنعون جهات وياكلوا
 ثمارها".

ثانياً: في سفر يوشع وهو يتكلم عن الأمة القوية التي ستأتي لتقديم لله
 مملكة لا تنقرض أبداً. يقول عن كثرة الخيرات في مدينتها:

"لا تخافي أيتها الأرض ابتهجي والفرحي؛ لأن الرب يعظم عمله، لا تخافي
 يا بهائم الصحراء فإن مراعي البرية تنبت؛ لأن الأشجار تحمل ثمرها التينة
 والكرمة تعطيان فوئهما. ويا بني صهيون ابتهجوا، وفرحوا بالرب إلهكم؛ لأنه
 يعطيكم المطر المبكر على حقّه، وينزل عليكم مطراً مبكراً ومتأخراً في أول
 الوقت؛ هتماً للبيادر حنطة، وتفيض حياض المعاصر خمراً وزيتاً، وأعوض لكم
 عن السنين التي أكلها الجراد الفوغاء والطيار والقمص جيشي العظيمة الذي

(١٩١) يش: ٤٩: ٨-٢٣.

أرسلته عليكم؛ فتأكلون أكلاً وتشبعون، وتسبحون اسم الرب إلهكم الذي صنع معكم عجبا، ولا يخزي شعبي إلى الأبد^(١٩٢).

الإمام المعنين على السوسن لبني قورح قصيدة ترنيمة محبة فاض قلبني بكلام صالح متكلم أنا بإنشائي للملك لساني قلم كاتب ماهر أنت أبرع جمالا من بني البشر، انسكبت الدعة على شفئك؛ لذلك باركك الله إلى الأبد تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهائك وبجلالك لقتحم، لركب من أجل الحق والدعة والبر؛ فترك بمينك مخاوف نبلك المصنونة في قلب أعداء الملك شعوب تحتك يسقطون كرميك يا الله إلى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك، أحببت للبر، وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج لكثير من رفقاءك، كل ثيابك مر وعود وسليخة من قصور العاج سرتك الأوتار بنات ملوك بين حظياتك جعلت الملكة عن بمينك بذهب أوفر اسمي يا بنت، وانتظري وامولي لذلك، ونسي شعرك بيت أبيك؛ فبشهي الملك حسك؛ لأنه هو سيدك فاسجدي له وبنت صور أغنى الشعوب ترسمي وجهك بهدية، كلها مجد ابنة الملك في حدرها منسوجة بذهب ملابسها بملابس مطرزة تحضر إلى الملك في إثرها عذاري صاحباتها مقدمات إليك، يحضرون بفرح وابتهاج، يدخلن إلى قصر الملك عوص عن آياتك، يكون بنوك تقيمهم رؤساء في كل الأرض، أنكر اسمك في كل دور فدور من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد^(١٩٣).

• • •

ثالثا: الكسف الصافط من السماء.

الكتف في لغة التوراة هو القطع من السحاب المظلم. ففي الأصحاح الثالث من سفر أيوب: "لئنه ذلك اليوم الذي ولدت فيه، ولليل الذي قال: قد حبلى

(١٩٢) يونس: ٢: ٢١ - ٢٦.

(١٩٣) مزمور: ٤٥.

برجل، ليكن ذلك اليوم ظلاماً لا يعثر به الله من فوق، ولا يشرق عليه نهار.
'ملكه الظلام وظل الموت. ليحل عليه سحب، لترعبه كاسفات النهار. أما ذلك
الليل فليمسكه الدجى، ولا يفرح حين أيام المسنة، ولا يدخلن في عدد
الشهور...» (١٩١).

وفي القرآن الكريم: ﴿إِنْ نَشَأْ نُغَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ
كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ (١٩٢). ولما قال هذا حسوه زعماء. وذلك قالوا: ﴿أَوْ نُسْقِطَ
السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ (١٩٣).

والغرض من قولهم: هو عجل بعذاب في يوم الرب كما نقول. ولن نقدر
عليها.

...

رابعاً: الإتيان بالله والملائكة.

لما خرج موسى عليه السلام مع بني إسرائيل من "مصر" وسكنوا عند
جبل طور سيناء في خيام وكهوف. أمر الله موسى أن يجمعهم نحو الجبل؛
ليسمعوا صوته فيهابوه إلى الأبد. فلما تجلّى مجده على الجبل؛ حدث من هيئته
رعود وبروق ونار وبخار وارتجف كل الجبل. فارتعب بنو إسرائيل وحافوه.
وقالوا لموسى: إذا أراد الله أن يكلمنا، فليكن عن طريقك، ونحس لك نسمع
ونطيع.

ففي الأصحاح التاسع عشر من سفر الخروج: "فقال الرب لموسى: ها أنا
أت إليك في ظلام المسحاب؛ لكي يسمع لشعب حينما أتكم معك؛ فيؤمنوا بك

(١٩٤) أيوب: ٣: ٣. ٦.

(١٩٥) مزمور: ٩.

(١٩٦) الإسراء: ٩٢.

أيضاً إلى الأبد. وأخبر موسى الرب بكلام الشعب؛ فقال للرب لموسى: اذهب إلى الشعب وقسمهم اليوم وغداً، وليضلوا ثيابهم ويكونوا مستعدين لليوم الثالث؛ لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء، وتقيم للشعب حدوداً من كل ناحية قائلاً: احترروا من أن تصعدوا إلى الجبل أو تلمسوا طرفه، كل من يمس الجبل يقتل قتلًا لا تميمه يد، بل يرحم رجماً، أو يرمى رمياً بهيمة كان أم إنساناً لا يعيش، لما عند صوت البوق فهم يصعدون إلى الجبل.

فانحدر موسى من الجبل إلى الشعب وقدم الشعب وغسلوا ثيابهم وقال للشعب: كونوا مستعدين لليوم الثالث لا تقربوا امرأة. وحدث في اليوم الثالث لما كان للصباح أنه صارت رعود وبروق وسحب ثقيل على الجبل، وصوت بوق شديد جداً، فارتعد كل الشعب الذي في المحلة، وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله، فوقفوا في أسفل الجبل، وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار، وصعد دخله كدخان الأتون، وارتجف كل الجبل جداً، وكان صوت البوق يزداد اشتداداً جداً وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت، ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل، ودعا الله موسى إلى رأس الجبل، فصعد موسى فقال للرب لموسى: انحدر حذر الشعب؛ لنلا يقتحموا إلى قرب لينظروا فيسقط منهم كثيرون، وليتقنص أيضاً الكهنة الذين يقربون إلى الرب؛ لنلا يبطش بهم الرب. فقال موسى للرب: لا يقدر الشعب أن يصعد إلى جبل سيناء؛ لأنك أنت حذرنا قائلاً: لكم حدوداً للجبل وقدمه. فقال له الرب: اذهب انحدر ثم اصعد أنت وهرون معك، وأما الكهنة والشعب فلا يقتحموا ليصعدوا إلى الرب؛ لنلا يبطش بهم؛ فانحدر موسى إلى الشعب وقال لهم^(١٩٧).

البيان:

(١٩٧) خر: ١٩: ٩-٢٥.

إن الله تعالى قد أتى في ظلم السحاب، أي في ظل من الغمام. وصاحب
إتيانه رعب وفرع؛ ولذلك استغفوا من سماع صوته مرة أخرى. وهو في أيام
محمد هدهم بالرعب والفرع؛ ليأخذوا ما آتاهم به بقوة.

ويقول علماء بني إسرائيل: إن الله بنفسه لم يأت إلى الجبل، وإنما أتى إليه
ملك من الملائكة نيابة عنه؛ لأن الله في السموات وفي الأرض. هذا عن تهديدهم
بمجيء الله، وأما عن تهديدهم بالملائكة: فإن المراد بهم أتباع محمد، وقد شبههم
بالملائكة في الطهر والصلاح وقال عنهم: إنهم سيحاربون اليهود بعنف
سينزعون منهم الملك بالقوة.

فهي الأصحاح الثاني والثلاثين من سفر التثنية، وهو يتكلم عن مجيء
محمد في آخر الأيام:

تهللي معه أيتها السموات واسجدوا له يا جميع الآلهة: تهللي أيتها الأمم
مع شعبه، ولنعلن قوته ملائكة الله جميعاً؛ لأنه ينار لدم عبيده، ويرد الانتقام على
حصومه، ويجاري بعصبيه ويكسر عن أرض شعبه^(١٩٨).

ونبوءة فارل: "وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني
إسرائيل قبل موته فقال: أقبل الرب من سباء، وأشرف عليهم من سعير، وتالق
في جبل فارلن. جاء محاطاً بعشرات الألوف من الملائكة، وعن يمينه يومض
برق عليهم حقاً إنك أنت الذي أحببت للشعب، وجميع القديسين في بكاء، ساجدون
عند قدمك، يتلقون منك أقوالاً"^(١٩٩).

خامساً: الرقي في السماء.

(١٩٨) ترجمة دهر المشرق؛ راجع: تث: ٣٢: ٤٣ - ٤٤. خر ٢٥: ١٧.

(١٩٩) ترجمة كتاب الحياة؛ راجع: تث ٣٣: ١ - ٣.

الرقى في السماء هي لغة بني إسرائيل: هو صعود الملائكة ونزولهم في حلم ليل إلى السماء والأرض لسمع النبي الوحي بنفسه من الملاك الوافد بجواره.

ولأن الرقى يكون في حلم الليل، ومن يحلم لا يستيقظ ومعه كتاب فيه وحي، ولأن العقل يجوز الكذب على إيمان يقول: إني قد حلمت؛ إذ ليس من شاهد يشهد له أو بينة. طلب اليهود كتابًا سماويًا يؤيده في دعوى الرقى.

وهذا الموضع في التوراة يدل على محمد ﷺ وبیان ذلك:

لأنه يتكلم عن إحياء الطعام اليابسة في زمن النبي الأمي الأتي. ويقول: إن لليهود لما وقعوا تحت ملك بابل، ومن بعده ملك فارس. ثم اليونان والرومان؛ هانت عليهم أنفسهم فأسروا من حياتهم واستهانوا بربهم. وعبدوا الأصنام؛ ولذلك صاروا أنجاستا. فمن يطهرهم من هذه النجاسة؟ إلهها نجاسة معنوية. وهي لا تزول إلا بطهارة معنوية. كالكافر الذي يدخل في الدين الإسلامي. فإنه يغتسل بالماء دلالة على أنه كان نجسًا. لا نجاسة بدن، وإنما نجاسة بُعد عن الله هي تزول بالقرب منه. ويعبر بالماء؛ لأنه سبب في أعين الناس لإزالة وسخ من ثوب لو جسد، فكما أن الماء يطهر الجسد نقيًا من الوسخ. كذلك الإيمان يطهر القلب من الكفر. وقد عبر المسيح عليه السلام عن هذا المعنى في محادثته مع امرأة من السامرة؛ إذ طلب منها ماء بئر ليشرب. ولم تعطه؛ لأنه عبراني والعبرانيون لا يعاملون السامريين؛ لأنهم في نظرهم ككفار. ولما لم تعطه قال لها: إن عندي ماء حي. ورنيت عليه بقولها: لا تلو لك واليتر عقيقة فمن أين لك الماء الحي؟ وقد حضر المسيح للماء الحي بالكلام الذي يبحث على فقال: "من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا؛ فلن يعطش إلى الأبد" (٢٠٠).

وشبه الكلام الباعث على الإيمان بأنه يسوع ماء يصير في جسد المؤمن، ويبقى إلى الأبد بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية^(٢٠١). ولا أحد يعقل أن نعط الماء على الحقيقة؛ لأنه لن يتحول إلى ينبوع حقيقي دائم النبع.

وقال المسيح: أن الماء الذي لنا أعطيه للعطاش إلى البر ليشربوا منه ليس ماء أرضيًا. وإنما هو من السماء. أي هو كلام الله الذي يحيى القلوب. كما يحيى الماء الجسد ويحفظه من الموت. وكذلك الخبز الذي لكتموه من المائدة السماوية وطلبتموه بقولكم: {هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ}؟ وقد بارك الله في طعام هو خمسة أرغفة شعير وسمكتان فأكل من حصو خمسة آلاف. وهذا الطعام كان من طعام الأعمى في الأرض، وعبر عنه بالسماء؛ لأنه جاءهم بطريقة غير مألوفة، وجاءهم من الله لا من الشيطان.

وفي هذا للمعنى يقول المسيح: لما هو حبر الحياة من يقبل إلى فلا يجوع. ومن يؤمن بي فلا يعطش أبدًا^(٢٠٢).

واستطرد قائلاً: ولكني قلت لكم إنكم إذا رآبتموني ولمستم تؤمنون. كل ما يعطيني الأب قبلي يقبل. ومن يقبل إلي لا أخرجهم خارجاً؛ لأنني قد بزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني. وهذه مشيئة الأب الذي أرسلني: أن كل ما أعطاني لا ألتف منه شيئاً، بل أقيم في اليوم الأخير؛ لأن هذه مشيئة الذي أرسلني: أن كل من يرى الابن. ويؤمن به؛ تكون له حياة أبدية. ولنا أقيم في اليوم الأخير^(٢٠٣).

(٢٠١) السابى.

(٢٠٢) يوحنا ٦: ٣٥.

(٢٠٣) يوحنا ٦: ٣٦ - ٤٠.

ومراد المسيح من نزول من السماء: هو أنه مرسل من الله، وليس هو من الأنبياء الكاذبين. واليوم الأخير: هو نهاية أيام بني إسرائيل في الملك والنبوة. وهو بدء أيام بني إسماعيل فيها من محمد ﷺ لأن إسماعيل مبارك فيه. وممر القاب محمد عندهم لقب "الأبن" في العزمور الثاني لداود عليه السلام.

فإذا قال حزقيال: إن الله سيحيي المؤمنين بالنبي الآتي من موت الذل والمسكنة. وأنه سيرش على من يؤمن ماء طاهرًا؛ فإنه يعني بقوله هذا: أن من يؤمن بالنبي سيكون طاهر القلب. ول من لا يؤمن به من اليهود سيكون نجسًا؛ لأنه ليس على شريعة؛ إذ التوراة قد نسخت، وإذا هم يعبدون الأصنام كعبادة الأمم لها. وعبر برش الماء عن طهارة القلب؛ لأن الناس تعرف أن الماء مزيل للنجاسة.

وحزقيال شبه اليهود الكافرين بمحمدؐ بالمرأة الحائض التي لا تظهر من نجاستها إلا بالماء فقال: "وصلت سريتهم في كاري كنجاسة دم امرأة في حيضها" (٢٠٤).

وفي ترجمة أخرى: كانت طريقهم أمامي كنجاسة الطمث.

وهذا هو نص التوراة عن الحائض:

"وإذا كانت امرأة لها سيل، وكان سيلها دمًا في لحمها، فسبعة أيام تكون في طمئتها، وكل من مسها يكون نجسًا إلى السماء، وكل ما تضطجع عليه في طمئتها يكون نجسًا، وكل ما تجلس عليه يكون نجسًا، وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجسًا إلى السماء، وكل من مس متاعًا تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجسًا إلى السماء" (٢٠٥).

(٢٠٤) حر: ٣٦: ١٧.

(٢٠٥) ٧: ١٥: ١٩-٢٢.

وفي القرآن الكريم: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهُرُوا﴾^(٢٠٦). لا يعني الطهارة بالماء، وإنما يعني نقاء القلوب من علائق الدنيا. وفيه أن لوط عليه السلام قال: ﴿هُؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أي مؤمنون وليسوا زناة لو يلاط بهم. ولا يعني أطهركم بالماء.

وقد رد عليه كتبة الأنجيل بقولهم: إن إبراهيم لم يملك على أرض كنعان، ولم يملك يعقوب.

ففي الأصحاح السابع من سفر أعمال الرسل:

«فخرج حينئذ من أرض الكلدانيين، وسكن في حاران، ومن هناك نقله بعدما مات أبوه إلى هذه الأرض التي أنتم الآن ساكنون فيها، ولم يعطه فيها ميراثاً، ولا وطأة قدم، ولكن وعد أن يعطيها ملكاً له ولنسله من بعده، ولم يكن له بعد ولد، وتكلم الله هكذا أن يكون نسله منكثراً في أرض غريبة فيستعبدوه ويسبئوا إليه أربع مائة سنة، والأمة التي يستعبدون لها سادتها لنا. يقول الله: وبعد ذلك يخرجون ويعبدوني في هذا المكان»^(٢٠٧).

...

والحق أن إبراهيم ~~كان~~ كان ملكاً على مكة ثم تكون لنسله من بعده.

١- وهذا هو نص التوراة على هجرة إبراهيم إلى مكة:

«وقال الرب لإبراهيم بعد اعتزال لوط عنه: ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، لأن جميع الأرض التي أنت ترى، لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد، ولجعل نسلك كتراب الأرض، حتى إذا استطاع

⁽²⁰⁶⁾ التوبة: ١٠٨.

⁽²⁰⁷⁾ أصح: ٧: ٤-٧.

أحد أن يعد تراب الأرض، فنعطيك أيضاً بعد. قسم لمش في الأرض طولها وعرضها، لأنني لك أعطيها» (٢٠٨).

٢- وهذا هو نص للتوراة الذي وضعه للكتب على يعقوب وهو في

الأصل موضوع على إبراهيم.

لقد دعا إسحق يعقوب، وباركه وأوصاه، وقال له: لا تأخذ زوجة من بنات كنعان، قم اذهب إلى دلدل أرم إلى بيت بتوئيل أبي أمك، وخذ لنفسك زوجة من هناك من بنات لابان أخي أمك، والله القدير يباركك، ويجعلك مثمراً، ويكثر لك، فتكون جمهوراً من الشعوب، ويعطيك بركة إبراهيم لك وللعسل معك؛ لتثري أرض غربيك التي أعطاه الله لإبراهيم، فصرف إسحق يعقوب، فذهب إلى دلدل أرام إلى لابان بن بتوئيل الأرامي أخي رفقة لم يعقوب وعيسو. فلما رأى عيسو أن إسحق بارك يعقوب وأرسله إلى دلدل أرم ليأخذ لنفسه من هناك زوجة؛ إذ باركه وأوصاه قائلاً: لا تأخذ زوجة من بنات كنعان. ولما يعقوب سمع لأبيه وأمه وذهب إلى دلدل أرم، رأى عيسو أن بنت كنعان شريرة في عيني إسحق أبيه؛ فذهب عيسو إلى إسماعيل، وأخذ محلة بنت إسماعيل بن إبراهيم أخت ديبوت زوجة له على نسائه؛ فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران، وصادف مكاناً وبات هناك؛ لأن الشمس كانت قد غابت، وأخذ من حجارة المكان ووضع تحت رأسه، فاضطجع في ذلك المكان، ورأى حلماء، وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها، وهو ذا قرب وقف عليها. فقال: أنا لأرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك وللعسل. ويكون نسلك كتراب الأرض، وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً، ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض. وما أنا معك وأحفظك حينما تذهب، ولربك إلى هذه

الأرض، لأنني لا أتركك حتى أقبل ما كلمتك به. فاستيقظ يعقوب من نومه وقال حقاً: إن الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم. وخاف وقال: ما أذهب هذا المكان ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء. وبكر يعقوب في الصباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه، ولقاه عموداً، وصب زيتاً على رأسه، ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل، ولكن اسم المدينة لولاً كان لوز^(٢٠٩).



(٢٠٩) تكوين: ٢٨: ١ - ١٩.

الفصل السادس

في

التوبة إلى الله

في

سفر حزقيال

١- توبة الفرد ٢- لم توبة الجماعة؟

الكلام الذي في سفر حزقيال عن التوبة إلى الله: هو لجماعة المؤمنين. والمراد من التوبة: هو أن جميع اليهود وهم في "بابل" اتفقوا على إنكار نبوة محمد ﷺ، وعلى القول بأن النبي الأمي الآتي على مثال موسى سوف يكون من بني إسرائيل. واتفاقهم هذا وفولهم هذا هو كفر بالنبي الآتي ليقيم لهم مملكة لا تتعرض أبداً. لذلك لما شرع حزقيال في الكلام على إحياء العظام اليابسة، وإعادة مملكة الرب، وهزيمة النبي الآتي ليأجوج وماجوج في آخر أيام الملك والنبوة في بني إسرائيل، ووصف الكعبة المعظمة في مكة. وقوله: إن الرب سيكون هناك. أي شريعته. لما شرع حزقيال في بيان هذه النبوءات الثلاث؛ تكلم عن توبة اليهود من إنكارهم محمد ﷺ وقال لهم: من لم يتب عن هذا الإنكار؛ فليس له نصيب في مملكته.

لما الخطأ الفردي؛ فإن لا يلزمه غير الكفارة في المجدد؛ إذ يقدم المخطئ قرباناً تكفيراً عن خطياه. فإن قدم القربان ولو لم ينطبق بالتوبة ولم يطأطأ رأسه خجلاً؛ فإنه بتقديم القربان يكون قد رفع عنه الخطأ.

وفي الأصحاح الخامس من سفر اللاويين:

"وكلم الرب موسى قائلاً: إذا خاف أحد حيته، وأخطأ سهواً في أقدس للرب يأتي إلى الرب بذبيحة لإثمه كنعناً صحيحاً من الغنم بتقويمك من شواقل فضة على شاكل القنس ذبيحة إثم، ويعرض عما أخطأ به من القنس، ويزيد عليه

خمس، ويدفعه إلى الكاهن، فيكفر الكاهن عنه بكبش الإثم، فيصفيح عنه. وإذا أخطأ أحد، وعمل واحدة من جميع مذبي للرب، التي لا ينبغي عملها ولم يعلم، كان مذنبًا وحمل ذنبه، فيأتي بكبش صحيح من العنق بتقويمك ذبيحة إثم إلى الكاهن؛ فيكفر عنه الكاهن من سهوه للذي سها و هو لا يعلم، فيصفيح عنه أنه ذبيحة إثم قد إثم إثمًا إلى الرب» (٢١٠).

ولجميع الشعب في كل من قربان للتكفير عن خطاياهم، سواء اعترفوا بها أو لم يعترفوا. ففي الأصحاح السادس عشر من سفر اللاويين بعد ذكر هذا القربان: "ويكفر الكاهن الذي يمسحه، والذي يملأ يده للكهننة عوضًا عن أبيه يلبس ثياب للكتان الثياب المقدسة، ويكفر عن مقدس القدس، وعن خيمة الاجتماع والمذبح يكفر، وعن الكهنة وكل شعب الجماعة يكفر، وتكون هذه لكم فريضة دهرية للتكفير عن بني إسرائيل من جميع خطاياهم مرة في السنة، افعل كما أمر الرب موسى» (٢١١).



لذلك نقول ما هي الفائدة من دعوة جرجيل إلى التوبة إذا كانت مراسمتها تكرر كل سنة للجماعة. وكل مرة لخطأ الفرد؟

يقول شراح سفره: إنه يدعوا اليهود إلى التوبة، وهي ترك إنكارهم للنبي الآتي، والدخول في دينه؛ لحيوا حياة طيبة في زمن للنبي الأمسي الآتي، لا للتكفير عن الخطايا الفردية والجماعية.

ويمتثلون على ذلك بهذا الدليل.

قوله في شروط التوبة: "ومثلك في فرائضي وحفظ أحكامي ليعمل بالحق" (٢١٢).

(٢١٠) لا: ٥: ١٤-١٩.

(٢١١) لا: ١٦: ٣٢-٣٤.

(٢١٢) حز: ١٨: ٩.

ومعنى هذا: أن يدخل مع الداطنين في الشريعة الآتية ويحفظ الأحكام؛
ليعمل الحق.

وقد سر حرقبال نفسه قوله هذا بأنه العمل بالشريعة الآتية، التي مسياتي
بها "راع واحد" لجميع بني إسرائيل، ذلك قوله:

"وقل لهم: هكذا قال السيد قرب هانذا آخذ بني إسرائيل من بين الأمم التي
ذهبوا إليها، وأجمعهم من كل ناحية، وآتي بهم إلى أرضهم، وأصيرهم أمة
واحدة في الأرض على جبال إسرائيل، وملك واحد، يكون ملكاً عليهم كلهم، ولا
يكونون بعد أمثين، ولا ينقسمون بعد إلى مملكتين، ولا يتعصبون بعد بأصنامهم
ولا برجاساتهم، ولا بشيء من معاصيهم، بل أخلصهم من كل مساكنهم التي فيها
أخطأوا وأطهرهم؛ فيكونون لي شعباً، وأنا أكون لهم إلهاً. ودلود عهدي يكون
ملكاً عليهم، ويكون لجميعهم راع واحد؛ فيسلكون في أحكامي، ويحفظون
مراعاتي، ويعملون بها، ويسكنون في الأرض التي أعطيت عهدي يعقوب إياها
التي سكنها آبائكم، ويسكنون فيها هم وبنوهم وبنو بنوهم إلى الأبد، وعهدي دلود
رئيس عليهم إلى الأبد. وأقطع معهم عهد سلام؛ فيكون معهم عهداً مؤبداً،
وأقرهم وأكثرهم، وأجعل مقدسي في وسطهم إلى الأبد، ويكون مسكني فوقهم
وأكون لهم إلهاً، ويكونون لي شعباً؛ فتعلم الأمم أني أنا الرب مقدم إسرائيل؛ إذ
يكون مقدسي في وسطهم إلى الأبد^(٢١٣).

ودليل هؤلاء للشراح قوي جداً لا يمكن نقضه، ولكنهم يقولون: إن النبي
الذي سيتويون من إنكاره إذا جاء، إما أن يكون المسيح عيسى بن مريم، وإما أن
يكون نبياً لم يأت بعد، وإذا أتى فإنه سيكون من اليهود، ويرد قولهم هذا: أن
المسيح عيسى بن مريم ^{عليه السلام} جعل التوبة من أجل ملكوت السموات الآتي من

(٢١٣) حز: ٣٧: ٢١ - ٢٨.

بعده، وفي قوله: "توبوا؛ لأنه قد تقرب منكوت السموات" وهو الملكوت الذي سيتأسس بعد نزع الملك من اليهود وقرور، ومحمد ﷺ هو الذي نزع ملكهم.

الإيمان والأعمال

وشريعة التوراة تحتم على المؤمن العمل بجميع أحكام التوراة، مع الإيمان بالله والنقّة في مواعيده، والاعتراف بيوم الحساب. وفي التوراة أن من لا يعمل بأحكام التوراة يكون ملعوناً ومطروداً من رحمة الله. ذلك قوله: "ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها".

وتحتم التوراة على المؤمن أنه إذا جاء النبي المعامل لموسى، فإنه يسمع له ويطيع، وإنه إن سمع وأطاع لا يهلك ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تناد من الشعب: "ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي به باسمي؛ فأني أطلبه"^(٢١٤).

وحزقيال النبي حتم على الذين يريدون أن يحيوا حياة طيبة في مملكة للنبي الآتي، أن يقبلوا شريعته ولي عملوا بها.

بولس يلقو في نبوءة حزقيال

نتلخص نبوءة حزقيال في أن الله سيحيي اليهود من ذل الأجلاب؛ إذا آمنوا بالنبي الآتي، وعملوا بشريعته؛ لقوله: "وأجعل روحي في داخلكم، وأجعلكم تسكنون في أراضني وتحفظون أحكامي وتصلون بها"^(٢١٥).

وقال حزقيال: إن العمل بالشريعة هو "تبر" ذلك قوله: "والبار إن رجع عن بره وعمل إثمًا، وجعلت معثرة أمامه؛ فإنه يموت؛ لأنك لم تذكره يموت في خطيئته، ولا يذكر بره الذي عمله. أما دمه فمن يدك

(٢١٤) تث: ١٨: ١٥ - ٢٢.

(٢١٥) حز: ٣٦: ٢٧.

اطلبه، وإن أنذرت أنت البار من أن يحطى البار، وهو لم يحطى؛ فإنه حياة
يحيا، لأنه أنذر، وأنت تكون قد نجيت نفسك^(٢١٦).

وقد لعا بولس في إحياء اليهود من الأجانب بقوله:

١- إن الإحياء يكون على يد المسيح بن مريم لا على يد بن عبد الله.

٢- وإن الإحياء لا يكون بشرية، وإنما يكون بالإيمان بالمسيح عيسى
ربنا مصلوبًا مكفرًا عن الخطايا.

٣- وأن الله قد أنعم على:

أ- بني إسرائيل. ب- والأمم. بنعمة الإيمان بالمسيح.

٤- وأن الله قد أسقط عن المؤمنين العمل بأحكام بالتوراة. وهذه هي

النعمة.

نص كلام بولس في "النعمة":

وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهودًا له من الناموس
والأنبياء، بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل، وعلى كل الذين يؤمنون؛ لأنه
لا فرق إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، متبررين مجانًا بنعمته بالفداء الذي
بيسوع المسيح، الذي قدمه الله كهدية بالإيمان بنعمته؛ لإظهار بره من أجل الصفح
عن الخطايا السالفة بإمهال الله لإظهار بره في الزمان الحاضر؛ ليكون بارًا،
ويتبرر من هو من الإيمان بيسوع، فأين الافتخار، قد انتفى بأي ناموس، أبناموس
الأعمال؟ كلا بل بناموس الإيمان، إذا نصب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون
أعمال الناموس، أم الله لليهود فقط، أليس للأمم أيضًا؟ بلى للأمم أيضًا؛ لأن الله
واحد هو الذي سيبرر الختان بالإيمان والفرلة بالإيمان^(٢١٧).

ملاحظة:

(٢١٦) حز: ٣: ٢٠ - ٢١.

(٢١٧) رومية: ٣: ٢١ - ٣٠.

راجع في موضوع النعمة: روم ١٦: ١. أمس ٨: ٢ تيموثاوس ٥: ٢ و ٧.

الرد على بولس:

هو أن حزقيال نفسه بين في الأصحاح الثالث من سفره أن نجاة الإنسان من غضب الله عليه تكون بعمله بالشريعة، لا بإيمانه فقط. ومن كلامه: "والبار إن رجع عن بره، وعمل إثمًا. وجعلت معثرة أمامه؛ فإنه يموت؛ لأنك لم تنذره يموت في خطيئته، ولا يذكر بره الذي عمله... إلخ".

السقوط من النعمة:

وزعم "بولس" أن النعمة هي الدخول في مملكة المسيح عيسى المسيح. ولما لم يكن للمسيح شريعة غير شريعة التوراة. قال لليهود: إنكم إذا دخلتم في مملكة المسيح، وأنتم ملتزمون بالعمل بالتوراة فاعملوا بها.

وقال للأمم: إذا أنتم على غير شريعة، ولأنتم للدخول في المسيحية؛ فإن الإيمان بالمسيح ربنا مصلوبًا بكم. وقال لليهود: إن إصراركم على العمل بالتوراة، وأنتم في مملكة يسوع المسيح يدل على أنكم سقطتم من النعمة. تلك كلمة في الأصحاح الخامس من رسالته إلى أهل غلاطية:

"قائمتوا إذا هي الحرية التي قد حررنا المسيح بها، ولا ترتبكوا أيضًا بنير عبودية. ها أنا بولس أقول لكم: إنه إن اختلتم لا ينفعكم المسيح شيئًا، لكن أشهد أيضًا لكل إنسان مختن أن ملتزم إن يعمل بكل الناموس قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس سقطتم من النعمة، فلننا بالروح من الإيمان نتوقع رجاء بره لأنه في المسيح يسوع لا نحن نمنع شيئًا، ولا الغزلة بل الإيمان للعامل بالمحبة، كنتم تسعون حسنًا، فمن صدكم حتى لا تطاوعوا للحق. هذه المطاوعة ليست من الذي دعاكم" (٢١٨).

(٢١٨) غلاطية: ٥: ١-٨.

الخطايا في مملكة يسوع المسيح:

وقال بولس: إن الذين دخلوا في مملكة يسوع المسيح، لن يسقطوا من النعمة. قُلت خطاياهم أو كثرت. وبرر المسيحيون قوله بقولهم: لأن المسيح له شفاعة مقبولة عند الله في الخطاة^(٢١٩).

لست أبطل نعمة الله:

وقال بولس: إن نعمة الله هي الدخول في مملكة يسوع المسيح بالإيمان لا بأعمال الناموس. وإن حاول أحد أن يرجع إلى الناموس لياخذ منه أدلة على الإيمان بيسوع المسيح، أي يكون مقدماً للتوراة وللإنجيل معاً، فليست لمنعه من ذلك. إنما أمنعه إذا كان يؤمن بأن البر بأعمال الناموس. ذلك قوله:

"نحن بالطبيعة يهود وليسنا من الأمم خطاة؛ إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بالإيمان بيسوع المسيح أما نحن أيضاً بيسوع المسيح؛ لننتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس؛ لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما، فإن كنا ونحن طالبون أن نتبرر في المسيح ~~توجد نحن~~ أنفسنا أيضاً خطاة، فالمسيح خاتم للخطية؟ حاشا فإني إن كنت أبني أيضاً هذا الذي قد خدمته فإني أنظر نفسي متعدياً؛ لأنني مت بالناموس للناموس لأحيأ الله مع المسيح صليبت فأحيا لا أنا بل للمسيح بحيا في، فما أحياء الآن في الجسد، فإنما أحياء في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي لست أبطل نعمة الله؛ لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح إذا مات بلا سبب^(٢٢٠).

والرد عليه في هذا كله: أن إحياء مملكة بني إسرائيل يكون على يد النبي الذي سينزل مملكة الرومان بعد سبعين أسبوعاً كما في الأصحاح التاسع من

(²¹⁹) ١ يو: ٢: ١-٢. ١ و: ٩.

(²²⁰) غلاطية: ٢: ٢١-٢١.

سفر دانيال. وإذا جاء هذا النبي فإن اليهود والأمم مكفون بالسماع منه، وبحسب كلامه يؤمنون ويعملون. ذلك قوله:

يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون، حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قاتلاً: لا أعود أسمع صوت الرب إلهي، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً؛ لأننا أموت. قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا، أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطلبه. وأما النبي الذي يطغي فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصيه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى، فموت ذلك النبي. وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي، فلا تخف منه^(٢٢١).

نصوص من سفر حزقيال
عن التوبة

النص الأول:

حزقيال ٢

تجئت إلى المسيبيين عند تل أبيب، الساكنين عند نهر خابور. وحيث سكنوا هناك سكنت سبعة أيام متجيراً في وسطهم. وكان عند تمام السبعة الأيام أن كلمة الرب صارت إلي فائلة: يا ابن آدم، قد جعلتك رفيقاً لبني إسرائيل؛ فاسمع الكلمة من فمي، وأخبرهم من قلبي. إذا قلت للشرير: موتاً تصوت، وما أنذرتك أنت ولا تكلمت إنذاراً للشرير من طريقه الرديئة لإحيائه، فذلك للشرير بموت بإثمه، أما دمه فمن يبك أطلبه. وإن أنذرتك أنت للشرير ولم يرجع عن

(٢٢١) ص: ١٨: ١٥ - ٢٢.

شره ولا عن طريقه الرديئة، فإنه يموت بإثمه، أما أنت فقد نجيت نفسك. والبار
إن رجع عن بره وعمل إثمًا وجعت معصرة أمامه فإنه يموت؛ لأنك لم تنذره،
يموت في خطيئته، ولا يذكر بره الذي عمله، لما دمه فمن يدك أطلبه. وإن
أنذرت أنت البار من أن يخطئ البار، وهو لم يخطئ، فإنه حياة بحياة لأنه أنذر،
وأنت تكون قد نجيت نفسك»^(٢٢٢).

لقد انتقل النبي من المكان الذي كل موجودًا فيه على نهر خابور،
المذكور في الأصحاح الأول إلى تل أبيب، التي كانت تقع أيضًا على نهر خابور
(وتل أبيب هذه هي في بابل - العراق حاليًا -، وهي خلاف تل أبيب الموجودة
حاليًا في إسرائيل على ساحل البحر المتوسط). وفي تل أبيب التي على نهر
خابور كان يسكن عدد من المسيحيين، ولمدة سبعة أيام جلس في محضرهم
مندهِشًا ومتحيرًا ولم يفتح فمه. وهذا المشهد يذكرنا بحالة أيوب وأصحابه، الذي
جلسوا معه على الأرض سبعة أيام وسمع ليالٍ، ولم يكلمه أحد بكلمة واحدة،
كأنه كانت عظمة جدًا^(٢٢٣). مع هذا التفارق، ففي حالة أيوب، هو الذي كسر
للسمت بل لعن اليوم الذي ولد فيه، لكن سمعت حزقيال كسره. الرب الذي
خاطبه بالقول: "يا ابن آدم، جعلتك رفيقًا لبني إسرائيل". والسبعة الأيام كانت
بمناسبة مهلة لتتأمل منحت للنبي؛ لكي يتحقق من خلالها حالة قلوبهم للقاسية التي
كانت قد أعلنت له، وامتلاً قلبه بالحزن والحيرة عندما تأمل حالتهم الراهنة،
وتحقق صلابة قلوبهم والأمل الكاذب الذي لا سند له من الإيمان الذين يستكثرون
عليه، والذي بسببه سيوقع قضاء الله عليهم.

لقد تعين من الله رفيقًا، وبألها من مسئولية خطيئة وضعت عليه، فكان
عليه أن يسمع الكلمة من فم الرب، ويحذرهم من قبله، وأن ينذر الشرير بالقضاء

(٢٢٢) ع: ١٥: ٢١.

(٢٢٣) أي ٢: ١٣.

الذي سبق عليه إذا هو استمر في شره، ولكن سنرى فيما بعد أنه لا يوجد أي أمل فيهم كأمة، وبذلك أغلق الأمر عليهم، وأصبحت مهمته هي معظمتها محصورة في إعلان تأكيد الدينونة القلعة، لكنها دينونة مميزة تميز البقية التي تسمع من مجموعة الشعب، التي تلبي أن تسمع.

ومهمة حزقيال هذه تذكرنا بالرسول عندما أعلن لشيوع كنيسة الفس قائلا: لذلك أشهدكم اليوم هذا إني برئ من دم الجميع؛ لأنني لم أؤخر أن أخبركم بكل مشورة الله.. متذكرون أني ثلاث مسين ليلاً ونهاراً، لم أفتّر عن أن أنذر بدموع كل واحد^(٢٢٤).

ومهمة حزقيال كرفيق مهمة مزوجة: أولاً أن يسمع كلمة الرب، وثانياً أن يعلن تحذير الرب. والتحذير هو دعوة الرقيب الهامة كما نقرأ: تصوت مراقبك. يرفعون صوته^(٢٢٥).

وأيضاً: وأقيمت عليكم رقاب^(٢٢٦) لسمعون الصوت للبوق^(٢٢٦). وإذا نعين على الرقيب ألا يسمع كلمة الرب، كما هي آية من الرب، لا يقدر أن يذدر كما يقول الرب عن مثل هؤلاء الرقباء: مراقبوه عني كلهم. لا يعرفون. كلهم كلاب بكم لا تقدر أن تتبجح^(٢٢٧).

والرقباء العصي هم الأنبياء الكذبة الذين لم يحذروا الشعب، بل قالوا سلام سلام في الوقت الذي لم يكن فيه سلام، سائرين وراء أحلامهم بدلاً من كلمة الرب، فلم يؤمنوا برسالة الرب الخطيرة التي أعطاهم لهم بواسطة أنبياءه الحقيقيين، وكان لكلام الأنبياء الكذبة (المراقبين العمي) تأثيره الضار عليهم

(٢٢٤) ١ ع: ٢٠: ٢٦ - ٣١.

(٢٢٥) يش: ٥٢: ٨.

(٢٢٦) ١ ز: ١٧: ٦.

(٢٢٧) يش: ٥٦: ١٠.

حيث أوجد فيهم الأمل الكاذب الذي لم يشئ فيهم توبة حقيقية، وهذا ما نجده الآن في دائرة الاعتراف المسيحي، حيث كلمة الرب، بما تتضمنه من قضاء مريع ستقع على هذا العالم الحاضر الشرير، قد رفضت واحتقرت، وأصبح الإنسان الذي يصوت وينذر بالتحذير شخصاً غير مقبول، كما كان إرميا وحزقيال في أيامهما.

إن الأكوال الإلهية تتجه أولاً إليه شخصياً بعد أن أفرزه الله من كونه رقيقاً على الشعب؛ لكي يوقف كل إنسان على أساس من مسئولية شخصية قدام الله. إن الشرير العنيد في شره لا بد أن يموت، سواء أفرزه النبي أو لم يفرزه، وكذلك الذي يتحول عن بره ويعمل الإثم، فهو سيموت سواء سمع الإنذار أو لم يسمع الإنذار الذي كان في مقدوره أن يحفظه في طريق البر. ويجب أن نفهم جيداً أن البر هنا هو بر الناموس.



النص الثاني:

حزقيال ١٨:

وكان إلي كلام الرب قائلاً: ها لكم أنتم تضرعون هذا المثل على أرض إسرائيل قائلين: الآباء أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضمرت؟ هي لنا. يقول السيد الرب: لا يكون لكم من بعد أن تضرعوا هذا المثل في إسرائيل، ها كل النفوس هي لي نص الأب كنص الابن كلاهما لي النفس التي تخطئ هي تموت، والإنسان الذي كان براً وفعل حقاً وعدلاً لم يأكل على الجبال، ولم يرفع عينيه إلى أصنام بيت إسرائيل، ولم ينجس امرأة قريبة، ولم يقرب امرأة طامناً، ولم يظلم إنساناً، بل رد للمدينون رهنه، ولم يعتصب اغتصاباً، بل بذل خبزه للجوعان، وكسا العريان ثوباً، ولم يعط بالربا، ولم يأخذ مراهقة، وكف يده عن الجور، وأجرى العدل ولاحق بين الإنسان والإنسان،

وسلك في فرائضي، وحفظ أحكامي؛ ليعمل بالحق فهو بار حياة يحيا يقول السيد الرب^(٢٢٨).

في هذه الأعداء نجد الاتهام الكاذب من الشعب والإجالة الإلهية عليه، وكان الله يقول لهم نتحاجج، أي لهم نتناقش، والنقاش يجيء من أن الإنسان في عدم إيمانه يجهل ذاته، والذي لا يعرف الله لا يعرف نفسه.

فهم يقولون: "الآباء أكلوا الحصرم وألسن الأبناء صرست". وهذا للمثل نجده في نبوة إرميا، لكن يضاف عليه هذا التعبير "بل كل واحد يموت بنسبه. كل إنسان يأكل الحصرم تضرس لسانه"^(٢٢٩). فما هو المقصود بهذا المثل؟

يعني هذا المثل: أن آباءهم ارتكبوا الآثام والشرور بينما الأولاد أبرياء. وكان لسان حالهم: "أبائنا أخطأوا وليسوا بموجودين، ونحن نحمل آثامهم"^(٢٣٠).

لكن اتهامهم هذا هو اتهام باطل، وزعماء يكونون قد بذوا هذا الاتهام على القول المنكور في سفر الخروج "إني أنا الرب إلهك إله عبود، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبعضي"^(٢٣١).

لكن فهمهم هذا فهم خاطئ؛ لأن أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء، هو في الأبناء الشرار الذين يسلكون في نفس شرور الآباء، وهذا واضح في القول: "من مبعضي". إنهم في هذا المثل ينكرون منوبيتهم؛ لذلك يجاوبهم ويوضح لهم خطاهم بالقول: "ما كل النفوس هي لي. نفس الأب كنفس الابن، كلاهما لي. للنفس التي تخطئ هي تموت"^(٢٣٢).

(٢٢٨) ع: ١: ٩.

(٢٢٩) إرميا: ٣١: ٢٩-٣٠.

(٢٣٠) مرقس: ٥: ٧.

(٢٣١) خر: ٢٠: ٥.

(٢٣٢) ع: ٤.

فإنه الخالق له حق السيادة في أن يدير الفرد، سواء الأب أو الابن طبقاً لسلوكه الشخصي، ويتعامل مع كل فرد طبقاً لسلوكه. فإذا أتت خطيئة الآباء على الأبناء؛ هناك لأن الأولاد سلخوا في نفس شر آبائهم، وهذا ما يوضحه الرب أيضاً في القول: "لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيئته يقتل"^(٢٣٣). فالنفس التي تخطئ هي تموت، وهذا ما أعلنه الناموس في القول: "التي إذا فعلها الإنسان يحيا بها"^(٢٣٤).

وفي العدد السادس نجد الإشارة إلى لعبادة الوثنية في القول: "لم يأكل على الجبال، ولم يرفع عينيه إلى أصنام بيت إسرائيل".

وهي العبادة التي كانوا يمارسونها والتي أنهى عنها الناموس بالقول: "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت.. لا تسجد لهم ولا تعبدن"^(٢٣٥).

والأعداد من ٧ - ٩ تستعرض الفصل الذي يجب أن يتحلى بها البار؛ طبقاً لما يتطلبه الناموس.

فلا يظلم إنساناً ويرد للمتيون زكاته^(٢٣٦) ولا يحتصب احتصاباً^(٢٣٧). يبذل خبزه للجوعان ويكسو العريان ثوباً^(٢٣٨). لا يعطي بالربا^(٢٣٩). ولا يأخذ مراهقة^(٢٤٠). يكف عن الجور، ويجري العدل والحق بين الإنسان والإنسان^(٢٤١).

(٢٣٣) تث: ٢٤ : ١٦.

(٢٣٤) لا: ١٨ : ٥.

(٢٣٥) خر: ٢٠ : ٣ - ٥.

(٢٣٦) تث: ٢٤ : ١٣.

(٢٣٧) لا: ١٩ : ١٣.

(٢٣٨) تث: ١٥ : ١١.

(٢٣٩) خر: ٢٢ : ٢٥.

(٢٤٠) لا: ٢٥ : ٣٦.

فهذا البار الذي يتحلى بهذه الفضائل يحيا الحياة الطويلة على الأرض.
 فلن ولد لنا معتقاً مفاك دم، فعل شيئاً من هذه، ولم يفعل كل تلك، بل
 أكل على الجبال، ونجس امرأة قريبه، وظلم الفقير والمساكين، واغتصب
 اغتصاباً، ولم يرد الرهن، وقد رفع عينيه إلى الأصنام وفعل الرجز، وأعطى
 بالربا وأخذ المراهجة، أفحياً؟ لا يحياً! قد عمل كل هذه الأرجاس فموتاً يموت.
 دمه يكون على نفسه^(٢٤٢).

في هذه الأعداد يستعرض الرب ابن لرجل البار، ومثل ذلك الملك يوشيا
 الرجل النقي، والملك صدقيا ابنه كل شريراً، أفحياً هذا الابن الشرير بسبب بر
 أبيه البار؟ فالملك يوشيا لم يأكل حصرماً، فهل يحول ذلك دون أن تضرس
 أسنان ابنه صدقيا.

ومن هنا يجب أن يعاقب الابن، بل يموت مفاك الدم طبقاً لأحكام الله
 قنارة. إنه لا يحياً بل يموت موتاً. **غير الأمان** لا يمكن أن يحمي أولادهم العصاة
 من القضاء الإلهي.

وإن ولد رأى جميع خطايا أبيه قتي فعلها، فرأها ولم يفعل مثلها. لم يأكل
 على الجبال، ولم يرفع عينيه إلى أصنام بيت إسرائيل، ولا نجس امرأة قريبة،
 ولا ظلم إنساناً، ولا لوثهن رهناً، ولا اغتصب اغتصاباً، بل بذل خبزه للجوعان،
 وكسا العريان ثوباً، ورفع يده عن الفقير، ولم يأخذ رباً مراهجة، بل أصرى
 أحكامي وسلك في فرائضي، فإنه لا يموت بإثم أبيه حياة يحيا. أما أبوه فلأنه
 ظلم ظلماً، واغتصب أخاه اغتصاباً، وعمل غير الصالح بين شعبه، فهو ذا
 يموت بإثمه^(٢٤٣).

(٢٤١) ركه: ٧: ٩.

(٢٤٢) ع: ١٠: ١٣.

(٢٤٣) ع: ١٤: ١٨.

يستعرض الله هنا حالة الابن البار والآب الشرير، وخير مثال لذلك الملك حزقيال الذي يعتبر من ملوك يهوذا الأنقياء، لكن أبوه الملك أحاز كان ملكاً شريراً، فقد قيل عنه إنه: «سار في طريق ملوك إسرائيل، حتى أنه عبر ابنه في النار حسب أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل»^(٢٤٤).

فالمالك حزقيال لم يسلك في شرور أبيه ولا طريقه، فمكتوب عنه «وعمل المستقيم في عيني الرب حسب كل ما عمل داود أبيه. هو أزال المرتفعات، وكسر التماثيل، وقطع المولوي، وسحق حية النحاس التي عملها موسى؛ لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقنون لها ودعوها نحشتان. على الرب إله إسرائيل لتكل، وبعده لم يكن مثله في جميع ملوك يهوذا، ولا في الذين كانوا قبله. والنصق بالرب ولم يحد عنه، بل حفظ وصايا الرب التي أمر بها للرب موسى»^(٢٤٥).

وأنتم تقولون: لماذا لا يحمل الابن من إثم أبيه؟ أما الابن فقد فعل حقاً وعدلاً. حفظ جميع فرائضي وعمل بها فحياً وحياءاً. النفس التي تخطئ هي يموت. الابن لا يحمل من إثم الآب، والآب لا يحمل من إثم الابن. بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون. فإذا رجع الشرير عن جميع خطايا التي فعلها وحفظ كل فرائضي، وفعل حقاً وعدلاً فحياً وحياءاً لا يموت. كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه. في بره الذي عمل بحياناً. هل مسرة الرب بموت الشرير؟ يقول السيد الرب: ألا يرجوعه عن طريقه فحياً؟ وإذا رجع البار عن بره وعمل إثمًا، وفعل مثل كل الرجاسات التي يفعلها الشرير، فحياً؟ كل بره الذي عمله لا يذكر. في خيانتة التي خانها وفي خطيئته التي أخطأ بها يموت»^(٢٤٦).

(244) ٢ مل: ١٦: ٣.

(245) ٢ مل: ١٨: ٣-٦.

(246) ع: ١٩: ٢٤.

يثير من الكثيرين هذا الاحتجاج: لماذا لا يحمل الابن من إثم أبيه؟ لكن في حقيقة الأمر إن هذا التساؤل، وهذا الاحتجاج هو اختراع شرير ناتج من قلوبهم الشريرة. فقد ادعوا أنهم أبرار، وليست هناك خطايا لرتكبوها، وهنا السرب بجوابهم بالقول: إن الابن لا يحمل من إثم الأب، كما لا الأب لا يحمل من إثم الابن، بل يتعامل معهم طبقاً لبرهم وشرهم. وهذا ما قرره الرب في التاموس فيقول: "لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيئته يقتل"^(٢٤٧).

وأيضاً ما ذكره إرميا عندما قال: "بل كل واحد يموت بذنبه. كل إنسان يأكل للحصرم تضرس أسنانه"^(٢٤٨).

ويستمر الرب في القول: "هر قهار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون". وهذا ما نجده في صلاة سليمان عندما قال: "تسمع أنت في السماء وأعمل والقبض بين عبيدك؛ إذ تحكم على المذنب فتجعل طريقه على رأسه، وتبرر البار؛ إذ تعطيه حسب بره"^(٢٤٩). وأيضا: "هولوا للصديق خيرا؛ لأنهم يسألون ثمر أفعالهم. وبل للشرير شرا؛ لأن مجازاة يديه تعمل به"^(٢٥٠).

وإذا رجع الشرير عن جميع خطايا التي فعلها، وحفظ كل فرائض الرب، وفعل حقاً وعدلاً فحياة يحيا ولا يموت. بل إن كل معاصيه التي فعلها لا تحسب عليه. وإذا رجع البار عن بره وعمل إثمًا، وفعل كل الرجاسات التي فعلها للشرير، فبره السابق الذي عمله لا ينكر، بل بخطيئته التي لرتكبها يموت. وفي الحالتين يكون القضاء طبقاً للنهاية؛ بحيث لا ذكر هنا للخطية السابقة أو البر

(٢٤٧) تث: ٢٤: ١٦.

(٢٤٨) لوقا: ٣١: ٣٠.

(٢٤٩) ١ مل: ٨: ٣٢.

(٢٥٠) إش: ٣: ١٠-١١.

للمسابق، بمعنى أن خطيئة الماضي لا تؤثر على اتجاه البر الجديد فتعطله، كما أن البر الماضي لا يلغي الخطيئة الحالية.

وأنتم تقولون: ليست طريق الرب مستوية. فاسمعوا الآن يا بيت إسرائيل: لطريقي هي غير مستوية؟ ليست طرقكم غير مستوية؟ إذا رجع البار عن بره وعمل إثماً ومات فيه، فبإثمه الذي عمله يموت.

وإذا رجع الشرير عن شره الذي فعل، وعمل حقاً وعدلاً، فهو يحيى نفسه. رأي فرجع عن كل معاصيه التي عملها فحياة يحيا. لا يموت. وبيت إسرائيل يقول: ليست طريق الرب مستوية، لطريقي غير مستوية يا بيت إسرائيل؟ ليست طرقكم غير مستقيمة؟ من أجل ذلك أقصي عليكم يا بيت إسرائيل، كل واحد كطرفة. يقول السيد الرب: توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم، ولا يكون لكم الإثم مهلكة. اطرخوا عنكم كل معاصيكم التي عصيتم بها، واعملوا لأنفسكم قلباً جديداً وروحاً جديدة، فلماذا يموتون يا بيت إسرائيل؟ لأنني لا أكره يموت من يموت، يقول السيد الرب، فارجعوا واحيوا^(٢٥١).

يلخص الله القصة المطروحة في هذا الأصحاح في هذه الأعداد. فإسرائيل يشنكي والله يجلوب بالوصوح الكامل عن بر واستقامة حكومته. فهم يقولون: ليست طريق الرب مستوية أي طريق الرب ليست مستقيمة، وقد ذكر هذا للتعبير أيضاً في عدد ٢٩ كما سيذكر في الأصحاح ٣٣ (عدي ١٧، ٢٠).

وفي الواقع كانت طرقهم هي الملتوية. إنهم يلومون الآلام التي يقاسونها بينما لم يلوموا أنفسهم بسبب الخطايا التي يرتكبونها. والتي هي علة ومسبب الآلام التي يجتازون فيها، كما أنهم وهم تحت الآلام لم يتحولوا عن خطاياهم، ويرجعوا إلى الرب الذي كان على أتم الاستعداد عن الغفر عنهم إذا هم رجعوا إليه.

وفي الأصحاح السادس والثلاثين الذي يتكلم عن العهد الجديد عهد النبي
الأمي الآتي.

يقول الرب: وأعطيتكم قلبًا جديدًا، وأجعل روحًا جديدة في داخلكم، وأنزع
قلب الحجر من لحمكم وأعطيتكم قلب لحم^(٢٥٢). يا له من حق جميل لا يتعارض
مع بعضه، إنما يميز في انسجام تام. فطبقًا لمتطلبات الناموس، الرب يطلب
منهم أن يعملوا لأنفسهم قلبًا جديدًا وروحًا جديدة، ويجعل روحًا جديدة في
داخلهم، وهو الذي ينزع قلب الحجر من لحمهم، ويعطيهم قلب لحم. فالناموس
يقول: اعمل تحيا.

والعهد الأخير من هذا الأصحاح يربط ما في قلب الله من نعمة وصلاح
للنفوس الهالكة. فهو يذاع من قلبه المحب الذي لا يمر بموت من يموت^(٢٥٣).
وهو ما توصل به أيضًا في الأصحاح الثلاثين والثلاثين^(٢٥٤).

وقال المسيح عيسى عليه السلام في هذا المعنى: تعالوا إلي يا جميع المتعبين
والثقلين الأحمال، وأنا أريحكم^(٢٥٥).

إتباع النعمة

والشرعية نعمة من الله، ومن يعمل بها يكون حكميًا. والحكمة نعمة. وفي
نبوءات الزبور عن محمد ﷺ أن الله سيؤتيه النعمة التامة. وبها يظل أتباعه
ثابتن إلى الأبد. وأن هذه النعمة ستكون من فمه. لا بقراءة ولا بكتابة؛ لأنه أمي
لا يدري ما للكتاب ولا الإيمان.

(252) حز: ٣٦: ٢٦.

(253) ع: ٢٣.

(254) ع: ١١.

(255) مت: ١١: ٢٨.

وهذه هي الأمثلة:

"اسمع يا ابني تلاميذ أبيك، ولا ترفض شريعة أمك؛ لأنهما إكليل نعمة
لرأسك وفلائد لعنقك" (256).

"الرب بالحكمة أسس الأرض، أثبت السماوات بالفهم، بعلمه فتشقت للبحر،
وتقطر السحاب ندى. يا ابني لا تبرح هذه من عيتك، احفظ الرأي والتدبير؛
فيكونا حياة لنفسك ونعمة لعنقك؛ حينئذ تسلك في طريقك آمناً، ولا تعثر رجلك،
إذا اضطجعت فلا تخاف بل تضطجع وبإذ نومك، لا تخش من خوف باغت، ولا
من خراب الأشرار إذا جاء؛ لأن الرب يكون معنك، وبصون رجلك من أن
تؤخذ" (257).

"لنن الحكمة، لنن العهم لا ننس، ولا تعرض عن كلمات فمي، لا نتركها
فتحفظك أحببها فتصونك. الحكمة هي الرأس، لنن الحكمة، وبكل مقتدك، لنن
العهم، ارفعها فتطرك تمجيدك إذا اعتنقتها تعطي رأسك إكليل نعمة تاج جمال
تمحك" (258).

"لإمام المغنين مزموه لدلود. يا رب بقوتك وفرح الملك، وبخلاصك كيف
لا يبتهج جذا، شهوة قلبه أعطيت، وملتمس شفيعه لم تمنعه سلاه؛ لأنك تتقدمه
ببركات خير وضعت على رأسه تاجاً من إيريز، حياة سالك فأعطيت طول الأيام
إلى الدهر والأبد، عظيم مجده بخلاصك جلالاً وبهاء تضع عليه؛ لأنك جعلته
بركات إلى الأبد نقرحه ابتهاجاً أمامك؛ لأن الملك يتوكل على الرب، وينعمة
العلي لا يترزعزع.

(256) أمثال: ١: ٨ - ٩.

(257) أمثال: ٣: ١٩ - ٢٦.

(258) أمثال: ٤: ٥ - ٩.

تصيب يدك جميع أعدائك يمينك تصيب كل مبغضيك، تجعلهم مثل تهور
 نار في زمان حضورك، الرب بسخطه يبتلعهم، وتأكلهم النار، تبيد ثمرهم من
 الأرض، ونزيتهم من بين بني آدم؛ لأنهم نصبوا عليك شرًا تفكروا بمكيدة لم
 يستطيعوها؛ لأنك تجعلهم يتولون تفوق السهام على أوتارك تلقاء وجوههم، لرتفع
 يا رب بقوتك نرنم وتنغم بجبروتك^(٢٥٩).

"الإمام المعين على المؤمنين نبي قورح قصيدة تربية محبة، فاض قلبي
 بكلام صالح متكلم أنا بإبشائي للملك لمسي قلم كاتب ماهر، أنت أبرع جمالاً من
 بني البشر، استكبت النعمة على شعبك؛ لذلك باركك الله إلى الأبد، تقلد سيفك
 على فخذك أيها الجبار جلالك وبهتك، وبحالك لفتح اركب من أجل الحق
 والدعة والبر، فترك يمينك مخاوف تلك المصنونة في قلب أعداء الملك شعوب
 تحمك يسقطون كرمسك يا الله إلى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك،
 أحببت البر وأبغضت الإثم، من أجل ذلك تحمك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر
 من رفقائك، كل ثباتك من وجود وملوخة من قصور لعاج مرتك الأوتار بدأت
 ملوك بين حظياتك جعلت للملكة عن يمينك بذهب أوفير. اسمعي يا بنت
 وانظري وأميلي أذنك، وانسي شمعك وبيت أهلك، فوشتي الملك حسنة؛ لأنه هو
 سيدك فاسجدي له وبنيت صور أغنى الشعوب تقرضي وجهك بهدية، كلها مجد
 ابنة الملك في خدرها منسوجة بذهب ملابسها بملابس مطرزة تحضر إلى الملك
 في إثرها عذارى صاحباتها مقدمات إليك، يحصرون بفرح وابتهاج يدخلن إلى
 قصر الملك عوض عن أبنائك، يكون بوك تقيمهم رؤساء في كل الأرض، لذكر
 اسمك في كل دور فدور من أجل ذلك تحمك الشعوب إلى الدهر والأبد^(٢٦٠).

الحياة الأبدية

(259) مزمور: ٢١.

(260) مزمور: ٤٥.

كلمة "الحياة" يقابلها "الموت"، وهما على الحقيقة للإنسان الذي يعيش على الأرض، ثم ينقطع عن أرض الأحياء، وهما على المجاز للحي بسبب عمله بالشرعية، وللميت بسبب إعماله لها. وعن هذا المعنى جاء في التوراة عن عمل اليهود بالشرعية: "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل ما يخرج من فم الرب؛ يحيا الإنسان" (٢٦١).

ويطلق على التوراة "حياة" ولا يطلق عليها "الحياة الأبدية"، وإنما تطلق للحياة الأبدية على شريعة النبي الأمي الأنبياء على مثال موسى، وهو محمد ﷺ، وذلك لأن توراة موسى تنسخ على يديه. أما هو فلا ينسخ شريعة نبي؛ لأنه خاتم النبيين.

ويجبر عن الحياة الأبدية أيضا بتعبير "الحياة" كما في قول المسيح عيسى عليه السلام وهو يتكلم عن محمد ﷺ بلقب "ابن الإنسان" و "ابن الله":

١- "الحق الحق أقول لكم: إن من يسمع كلامي، ويؤمن بالذي أرسلتني، فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل لا تنتقل من الموت إلى الحياة. الحق الحق أقول لكم: إنه تأتي ساعة، وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله، والسامعون يحيون؛ لأنه كما أن الأب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضا، أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطانا أن يدين أحياء؛ لأنه ابن الإنسان، لا تتعجبوا من هذا فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة. أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا كما اسمع لأبي، ودينونتي عادلة؛ لأنني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الأب الذي أرسلتني" (٢٦٢).

وقال يوحنا المعمدان بمثل قوله:

(٢٦١) متى: ٨: ٣. لوقا: ٤: ٤. لوقا: ٤: ٤.

(٢٦٢) يوحنا: ٥: ٢٤ - ٣٠.

٢- 'وحدثت مباحثة من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهير، فجاءوا إلى يوحنا، وقالوا له: يا معلم هوذا الذي كان معك في عبر الأردن، الذي أنت قد شهدت له هو يعمد، والجميع يأتيون إليه. أجاب يوحنا وقال: لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئاً إن لم يكن قد أعطي من السماء، أنتم أنفسكم تشهدون لي أنني قلت لست أنا المسيح، بل إني مرسل أمامه. من له العروس فهو العريس، وأنا صديق للعريس الذي يقف ويسمعه فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس إذا فرحني هذا قد كمل، ينبغي أن ذلك يريد وأني أنا أنقص الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع، والذي من الأرض هو لرضي، وأن الأرض يتكلم الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع، وما رآه وسمعه به بشهد، وشهادته ليس أحد يقبلها، ومن قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق؛ لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله؛ لأنه ليس بكل يعطي الله الروح الأب يحب الابن، وقد دفع كل شيء في يده، الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن أن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله' (٢٦٣).

٣- وقال المسيح في نفس الموضع وهو يتحدث عن المائدة السماوية: فقال لهم يسوع الحق أقول لكم: ليس موسى أعطاكم الخبر من السماء بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء؛ لأن خبز الله هو النازل من السماء للواهب حياة للعالم، له يا سيد أعطنا في كل حين هذا الخبز، فقال لهم يسوع: أنا هو خبز الحياة من يقبل إليّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً، ولكني قلت لكم أنكم قد رأيتموني ولمستم تؤمنون. كل ما يعطيني الأب فأبني يقبل، ومن يقبل إلي لا أخرجه خارجاً لأنني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني، وهذه مشيئة الأب الذي أرسلني، إن كل ما أعطاني لا ائلف

منه شيئاً بل أقيم في اليوم الأخير؛ لأن هذه مشيئة الذي أرسلني أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية، وأنا أقيم في اليوم الأخير^(٢٦٤).

ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا؛ فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية^(٢٦٥).

وكان عيد التجديد في اورشليم، وكان شتاء، وكان يسوع يتمشى في الهيكل في رواق سليمان، فاحتاط به اليهود، وقالوا له إلى متى تعلق أنفسنا إن كنت أنت المسيح، فقل لنا جهراً. أجابهم يسوع: أفي قلت لكم ولستم تؤمنون الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي، ولكنكم لستم تؤمنون؛ لأنكم لستم من خرافي كما قلت لكم، خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني، وأنا أعطيه حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطئها أحد من يدي، أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي، أنا والأب واحد^(٢٦٦).

من يحب نفسه يهلكها ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية، إن كان أحد يخدمني؛ فليتبعني وحيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادمي، ولن كان أحد يخدمني يكرمه الأب^(٢٦٧).

فنادى يسوع وقال: للذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني، والذي يراني يرى الذي أرسلني. أنا قد جئت نوراً إلى العالم، حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة، وإن سمع أحد كلامي، ولم يؤمن، فلنا لا لديه؛ لأنني لم أت لأدين العالم، بل لأخلص العالم من رذلتي، ولم يقبل كلامي، فله من يدينه.

(264) يوحنا: ٦: ٣٢ - ٤٠.

(265) يوحنا: ٤: ١٤.

(266) يوحنا: ١٠: ٢٢ - ٣٠.

(267) يوحنا: ١٢: ٢٥ - ٢٦.

الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير؛ لأنني لم أتكلم من نفسي لكن الأب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم، وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية فما أتكلم أنا به، فكما قال لي الأب هكذا أتكلم^(٢٦٨).

تَكلم يسوع بهذا، ورفع عينيه نحو السماء وقال: أيها الأب قد أتت الساعة مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضاً إذ أعطيتَه سلطاناً على كل جسد ليعطي حياة أبدية لكل من أعطيتَه، وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته أنا مجدك على الأرض للعمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته، والآن مجدني أنت أيها الأب عند ذاك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم، أنا أظهرت اسمك للذين أعطيتني من العالم كانوا لك، وأعطيتهم لي وقد حفظوا كلامك، والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك؛ لأن الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم، وهم قبلوا وعلموا يقيناً أنني خرجت من عندك، ولمنوا لك أنت أرسلتني من أجلهم، أنا أسأل، لست أسأل من أجل العالم، بل من أجل الذين أعطيتني لأنهم لك. وكل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي، وأنا ممجد فيهم، ولست أنا بعد في العالم، وأما هؤلاء فهم في العالم، وأنا أنتي إليك أيها الأب للقدوس، لحفظهم في اسمك الذين أعطيتني؛ ليكونوا واحداً كما نحن حين كنت معهم في العالم كنت لحفظهم في اسمك الذين أعطيتني حفظتهم، ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم للكتاب، أما الآن فإنني أنتي إليك وأتكلم بهذا في العالم؛ ليكون لهم فرح كامل فيهم، أنا قد أعطيتهم كلامك، والعالم أبغضهم؛ لأنهم ليسوا من العالم، كما أنني أنا لست من العالم، لست أسأل أن تأخذهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرير، ليسوا من العالم، كما أنني أنا لست من العالم، قدسهم في حقاك كلامك هو حق، كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم، ولأجلهم أقديس أنا ذاتي؛ ليكونوا هم أيضاً مقدسين

(٢٦٨) يوحنا: ١٢: ٤٤ - ٥٠.

في الحق، و نست أرسل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضًا من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم؛ ليكون الجميع واحدًا، كما أنك أنت أبها الأب في، وأنا فيك؛ ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني، وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني؛ ليكونوا واحدًا كما أنا نحن واحد، أنا فيهم وأنت في؛ ليكونوا مكملين إلى واحد، وليعلم العالم أنك أرسلتني، وأحببتهم كما أحببتني. أبها الأب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي؛ حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني؛ لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم، أبها الأب البار أن العالم لم يعرفك، أما أنا معرفتك، وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني، وعرفتهم اسمك، وسأعرفهم؛ ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، ولكون أنا فيهم^(٢٦٩).

...

الحياة الأبدية من بعد القبر

ولا حياة في القبر ولا سؤال ولا نعم لو عذاب. كما يقول طمء من بني إسرائيل. فإنهم يقولون: إن الروح في جسد الإنسان أو الحيوان عبارة عن "هبة هواء" يستنشقها الفم. فإن كانت أعضاء الجسد صالحة لأن يؤثر فيها الحياة؛ يكون للجسد حياة، وإن كانت أعضاء الجسد غير صالحة لأن يؤثر فيها الحياة. يكون الجسد ميتًا، وليس من "روح" مستقلة عن الجسد. فإذا كان البعث من السموات للجنة أو النار؛ يجمع الله العظام ويكسوها لحمًا وجلدًا ويمر عليها الهواء. فيقوم كل إنسان على رجله. ويسير إلى الحساب. هذا هو قولهم في نعي حياة للبرزخ في القبور.

ومعناه: إن من مات لا يحس بشيء، فإذا حيا في الدار الآخرة يحس بكل شيء، فتكون المدة الزمنية غير محسوبة من القبر إلى الآخرة شبه نائم لا يحس

(٢٦٩) يوحنا: ١٧: ١ - ٢٦.

بمن حوله، ولا يعلم عدد الساعات التي مرت عليه وهو نائم إلا إذا أخبره مخير بها.

وإذ المدة في القبر غير محسوبة؛ فإن حياة الدنيا تكون موصولة بحياة الآخرة. والمدة كلها يطلق عليها "الحياة الأبدية"؛ ولذلك جاء عن الشهداء أنهم أحياء. على معنى أنهم مشبهون بالنوم، الذين ينامون بدء الليل ويستيقظون آخره. والقداس كلهم على هذا النظام يسمون ويستيقظون، ولا يقال إنهم أموات، فكنكك الشهداء.

والفرق بين الشهيد وغير الشهيد: أن الشهيد يقوم صامناً من الله العيش الدائم هي الجنة؛ ولذلك قال عنهم أنهم أحياء. أما غير الشهيد فإنه يقوم ولا يرى أرجله ستكون في الجنة أم ستكون في النار.

هذا هو حال المسلمين في "الحياة الأبدية"، ولما حال من كان قبلهم، فإنهم كانوا يعملون بشريعة وعليها ماتوا والأبدية للأشرار منهم في النار، أما المعمدون فإن الأشرار منهم ليس لهم عذاب أبدي في النار، والأبدية في الجنة للسابقين إلى الحيرات. مثلهم مثل المسلمين بمواهبهم.

والدليل على ذلك:

١- أن المسيح عيسى عليه السلام وهو ينكم عن ساعة معركة هو مجنون قال عقبها:

"فجربهم قاتلاً: الحق أقول لكم بما أنكم لم تقطوه بأحد هؤلاء الأصابع في لم تقطوا، فمضى هؤلاء إلى عذاب أبدي، والأبرار إلى حياة أبدية" (٢٧٠).

٢- وكثيرون من الرافضين في تراب الأرض، يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى النار للأزدراء الأبدية (٢٧١).

(٢٧٠) متى: ٢٥: ٤٥ - ٤٦.

(٢٧١) دانيال: ١٢: ٢.

٣- "لا تتعجبوا من هذا فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته؛ فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة" (٢٧٢).

٤- "أما الذين يصبر في العمل الصالح يظلمون المجد والكرامة والبقاء، بالحياة الأبدية" (٢٧٣).

٥- "ثم رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة؛ لأن السماء الأولى، والأرض الأولى مضتا، والبحر لا يوجد فيما بعد، وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله، مهيأة كمروس مزينة لرجلها، وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً: هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم إليها لهم، ويسمى كل دمع من عيونهم، والموت لا يكون فيما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد؛ لأن الأمور الأولى قد مضت، وقال الجالس على العرش: ها أنا أصنع كل شيء جديداً. وقال لي: لكتب قلى هذه الأقوال وصلافة وأمينة. ثم قال لي: قد تم لنا هو الألف والياء، البدئية والنهاية لنا أعطى العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً، من يعطى يرث كل شيء، ولكون له إليها، وهو يكون لي ابناً، وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبد الأوثان وجميع الكذبة، فمصيرهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذي هو الموت الثاني" (٢٧٤).

٦- "من تعب نفسه يرى ويشبع وعبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين وأثامهم هو يحملها؛ لذلك أقسم له بين الأعراء، ومع العطاء يقسم غنمة من

(٢٧٢) يوحنا: ٥: ٢٨ - ٢٩.

(٢٧٣) رومية: ٢: ٧.

(٢٧٤) رؤى: ٢١: ١ - ٨.

لجل أنه سكب للموت نضجه وأحصى مع إنهم، وهو حمل خطية كثيرين، وشجع
في المذنبين^(٢٧٥).

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾

يخبر الله عن قسوة قلوب اليهود في زمان ما قبل القرآن، وفي زمان ما
بعده، والقرنية للمرجحة لهذا المعنى هي ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾^(٢٧٦). لتطابقها مع
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾^(٢٧٧). وعلى
هذا للمعنى يكون ﴿مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾^(٢٧٨). من بعد القرآن. المعبر عنه في بدء
السورة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٢٧٩). ولا يراد بالقسوة من بعد ما رأوا
الآيات، وذلك لأن حزقيال كان يتكلم من بعد تحريف اليهود للتوراة، ويحكي عن
اليهود قولهم: "قد بيمت عظامنا وملكنا رجلاً" قد انقطعنا.

وقد كرر حزقيال نبأ قسوة اليهود فقال: "واترع قلب الحجر من لحمكم
وأعطيتكم قلب لحم"^(٢٨٠).

وقال أيضاً: وأعطيتكم قلباً واحداً، ولجعل في دلوكم روحاً جديداً، وانزع
قلب الحجر من لحمهم، وأعطيتهم قلب لحم! لكي يسلكوا في فرائضي، ويحفظوا
أحكامي ويعملوا بها، ويكونوا لي شعباً، ولنا لكون لهم إلهاً"^(٢٨١).

(275) يش: ٥٣: ١١-١٢.

(276) البقرة: ٧٤.

(277) المائدة: ٨٢.

(278) البقرة: ٧٤.

(279) البقرة: ٢.

(280) حز: ٣٦: ٢٦.

(281) حز: ٨: ١٩-٢٠.

١- ﴿وَإِنْ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَخَرَّ مِنْهُ الْآثَارُ﴾ (٢٨٢).

٢- ﴿وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ (٢٨٣).

٣- ﴿وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (٢٨٤).

أشار بكل واحدة من الثلاثة إلى نبوة عن محمد ﷺ وبيان ذلك:
للنبوة الأولى:

١- الأصحاح الخامس والثلاثون من سفر إشعياء:

تفرح البرية والأرض اليابسة، ويبتهج الفقير، ويزهر كالنرجس، يزهر أرهاراً، ويبتهج ابتهاجاً وبترنم، يدفع إليه مجد لبنا بهاء كرمل، وشارون هم يرون مجد للرب بهاء إلها، متددوا الأيدي المسترخية، والركب المرتعشة شتوها. قولوا لخائفي القلوب: تشددوا لا تحافوا هو ذا إلهكم الانتقام يأتي جزاء الله هو يأتي، ويخلصكم؛ حينئذ تنفتح عيون العمي، وأذن الصم تنفتح؛ حينئذ يقفز الأعرج كالأيل، ويترنم لسان الأخرس؛ لأنه قد انفجرت في البرية مياه، وأنهار في القفر، وبصير المرأب أجماً، والمغطشة بنابيع ماء في مسكن الدناب في مريضها دار للقصب والبردي، وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة، لا يعبر فيها نجس، بل هي لهم من سلك في الطريق حتى الجهال لا يصل لا يكون هناك أمد وحش مفترس لا يصعد إليها لا يوجد هناك، بل يسلك المصدبون فيها، ومقدبو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنم وفرح أبدي على رؤوسهم ابتهاج وفرح يدركهم، ويهرب الحزن والتهديد (٢٨٥).

(282) البقرة: ٧٤.

(283) السابق.

(284) السابق.

(285) إش: ٣٥.

٢- أيضًا: المزمور المائة والرابع وفيه: "باركي يا نفسي الرب يا رب
 إلهي قد عظمت جدًا مجدًا وجلالًا لبست اللباس النور كثوب الباسط السماوات،
 كشفة المسقف علاليه بالمياه الجاعل لمجابه مركبته، الماشي على أجنحة
 الريح، الصانع ملائكته رياحا، وخدامه نارًا ملتهبة، المؤسس الأرض على
 قواعدها، فلا تتزعزع إلى الدهر والأبد، كسوتها الغمر كثوب فوق الجبال تقف
 المياه من انتهارك، تهرب من صوت رعدك تفر، تصعد إلى الجبال تنزل إلى
 البقاع إلى الموضع الذي أسسته لها، وضعت لها تحما لا تتعداه لا ترجع لتغطي
 الأرض المفجر عيونًا في الأودية بين الجبال تجري، تسقي كل حيوان البر تكسر
 الفراء ظمأها فوقها طيور السماء تسكن من بين الأغصان تسمع صوتًا، الساقى
 الجبال من علاليه من ثمر أعمالك تشبع الأرض، العنت عشبًا للبهائم وخضرة
 لخدمة الإنسان لإخراج خبز من الأرض وحمز تفرح قلب الإنسان لإماع وجهه
 أكثر من الزيت وخبر يسد قلب الإنسان، تسبح أشجار الرب لوز لناس الذي
 نصبه، حيث نعش هناك العصافير، أما القلق فالمرو بيته الجبال العالية
 للوعول الصحور ملجأ للوبار، صنع القمر للمواقيت الشمس تعرب مغربها
 تجعل ظلمة، فيصير ليل فيه يدب كل حيوان الوعر، الأشبال تزمجر لتخطف،
 ولتلتصق من الله طعامها، تشرق الشمس فتجتمع وفي ماويها تريض الإنسان
 يخرج إلى عمله وإلى شغله إلى المساء، ما أعظم أعمالك يا رب كلها بحكمة
 صنعت ملائكة الأرض من غلاك.

هذا البحر الكبير الواسع الأطراف هناك دبابات بلا عدد صفار حيوان مع
 كبار، هناك تجري السفن لويانين هذا خلقته ليلعب فيه، كلها إياك تترجى لترزقها
 قوتها في حينه تعطيتها، فتلقظ تفتح يدك فتشبع خيرًا، تحجب وجهك فترتاع تتزع
 أرواحها فتعوت، وإلى ترابها تعود، ترسل روحك فتطق وتجدد وجه الأرض،
 يكون مجد الرب إلى الدهر يفرح الرب بأعماله الخاطر إلى الأرض فترتعد،

بمس الجبال فتكخن، اغشي للرب في حياتي أرئم لإلهي ما دمت موجوداً، فيلذ له
نشيدي، ولنا الفرح بالرب لتبد الخطاة من الأرض، والأشرار لا يكونوا بعد
باركي يا نفسي للرب هلولياً^(٢٨٦).

النبوءة الثانية:

في المزمور الثامن والسبعين: ثبث صخوراً في البرية، ومقامه كأنه من
بحر عظيمة^١ والمزمير كلها نبوءات عن محمد ﷺ.

النبوءة الثالثة:

١- ارتجاف جبل طور سيناء لما صعد موسى لمناجاة الله، وطلب منه
العهد على بني إسرائيل أن يقوموا بالشرعية خير قيام وقالوا كل ما تكلم به
الرب فإياه نفعل^٢. ومن أحكامها الإيمان ببني مثل موسى في حالة ظهوره، وهو
محمد ﷺ.

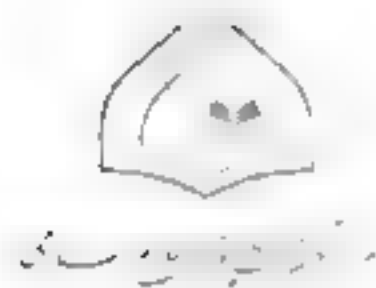
٢- في الأصحاح الثالث عشر من سفر حزقيال عن هلاك أنبياء بني
إسرائيل للكنية في الأيام الأولى لظهور محمد ﷺ في مجلس شعبي لا يكونون،
وفي كتاب بيت إسرائيل لا يكتبون، وإلى أرض إسرائيل لا يدخلون^٣.
وقال عن إهلاكهم بالحجارة "ولئن يا حجارة البرد تسقطن".
وهذا هو النص:

"وكان إلي كلام الرب قائلاً: يا بن آدم تنبأ على أنبياء إسرائيل، الذين
يتنبأون، وقل للذين هم أنبياء من تلقاء نواتهم: اسمعوا كلمة الرب هكذا قال السيد
الرب: ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء رءوسهم، ولم يروا شيئاً، أنبياءك يا
إسرائيل صلوا كالشعالب في الحرب، لم تصعدوا إلى الثغر، ولم تنهوا جدلاً
لبيت إسرائيل للوقوف في الحرب في يوم الرب، رأوا باطلاً وعرقلة كاذبة،
للقاتلون وحي الرب، والرب لم يرسلهم، وانتظروا إثبات الكلمة، ألم تروا رؤيا

(286) المزمور: ١٠٤.

باطلة وتكلمتم بعراة كاذبة قائلين وحي الرب، وأنا لم أتكم لذلك، هكذا قال السيد الرب: لأنكم تكلمتم بالباطل ورأيتكم كتباً؛ لذلك ها أنا عليكم يقول السيد الرب، وتكون يدي على الأنبياء الذين يروون الباطل، والذين يعرفون بالكذب في مجلس شعبي لا يكونون، وفي كتاب بيت إسرائيل لا يكتبون، وإلى أرض إسرائيل لا يدخلون؛ فتعلمون أنني أنا السيد الرب من أجل أنهم أضلوا شعبي قائلين: سلام وليس سلام، وواحد منهم يبني حائطاً، وها هم يملطونه بالطفل، قل للذين يملطونه بالطفل: إنه يسقط يكون مطر جارف، واثنان يا حجارة البرد تسقطن، وريح عاصفة تشققه، وهودا يدا سقط الحائط، أفلا يقال لكم أين الطين الذي طيتم به؟ لذلك هكذا قال السيد الرب أنني اشققه بريح عاصفة في غصبي، ويكون مطر جارف في سحطي وحجارة برد في غيظي لإفناء؛ فاهدم الحوائط الذي ملطتموه بالطفل والصق بالارض، وينكشف أساسه ويسقط، وتفتنون أنتم في وسطه؛ فتعلمون أنني أنا الرب، ^{هاتم غصبي} على الحائط وعلى الذين ملطوه بالطفل، وأقول لكم ليس الحائط موجوداً ولا الذين ملطوه؛ أي أنبياء إسرائيل الذين يتنبأون لأورشليم، ويرون لها زوى سلام ولا سلام. يقول السيد الرب: وأنت يا بن آدم، فاجعل وجهك ضد بيت شعبك، للواتي يتنبأن من تلقاء دولتهن، وتتبا عليهن، وقل: هكذا قال السيد الرب: ويل للواتي يحطن وساند لكل لوصال الأيدي، ويصنعن مخدات لرأس كل قامة؛ لاصطياد النفوس اقتصطن نفوس شعبي، وتستحيين أنفسكن، وتتجسني عند شعبي لأجل حفة شعر، ولأجل فتات من الخبز؛ لإماتة نفوس لا ينفي من تموت، ولستحياء نفوس لا ينفي أن تحيا بكذبكن على شعبي السامعين للكذب لذلك، هكذا قال السيد الرب: ها أنا ضد وسائلكن التي تصططن بها النفوس كالغراخ، وأمزقها عن أذرعكن، وأطلق النفوس، النفوس التي تصططنها كالغراخ، وأمزق مخداتكن، وأنقذ شعبي من أيديكن، فلا يكونون بعد في أيديكن للصيد، فتعلمن أنني أنا الرب؛ لأنكن

أحرقت قلب الصديق كلباً، وأنا لم أحزنه، وشددت أيدي الشرير؛ حتى لا يرجع
عن طريقه الرديئة فيحيا؛ فذلك لن تعدن تربي الباطل، ولا تعرفن عرافة بعد،
وانقذ شعبي من أيديكن؛ فتعلمون أنني أنا الرب» (٢٨٧).



الفصل السابع

في

﴿رَفِيعُ الْفَرْجَاتِ نُورُ الْعَرْشِ﴾

تكلم النبي حزقيال عن مجد "ابن الإنسان" - الذي هو محمد رسول الله ﷺ - والمجد: هو العرش في مملكة الرب المعروفة بملكوت السموات. وقد تكلم عنه كما قد رأي في "مراي النبوة"، وهي تشبه حالة الصرع، أي أنها حالة صرع يعترى النبي - منهم - إذا أراد الله أن يملكه بشيء. ويرى في هذه الحالة، وهو بين النائم واليقظ، كما يرى في البقطة سواء بسواء، ولأن هذه الحالة تشبه "حلم الليل" والحلم غير البقطة؛ فإن النبي يكتب ما رآه كأضغاث أحلام؛ ولذلك يحار مفسرو كلامه في بيان غرضه.

وعند بني إسرائيل من أسفار قرؤى كبرى. وعد النصارى من سفر يسمى بسفر رؤيا يوحنا اللاهوتي. تشبه بسفر حزقيال.

ويقول المفسرون في هذين السفرين: إنهما يتنبآن عن ظهور "المسيح" وعرشه، ويصفان تعظمه وارتفاعه ومجده. يقسمون زمان "مجد الله" إلى قسمين. قسم بدأ مع موسى الظلال وسيرتفع هذا المجد عن بني إسرائيل. ومسيحود هذا المجد علي يد النبي الآتي علي مثال موسى الذي يلقبونه "المسيح" أو "المسيح"، ويعبرون عن زوال المجد بأن الله ابتعد عن "أورشليم" وغادر "صهيون"؛ أي أنهم صاروا بعد رواله كأمة من الأمم قوثية؛ لأن الله ابتعد عنهم. أي أخذ منهم الشريعة التي نزل علي مجده في الأرض، وسلمها لقوم آخرين.

وقد كتباً عن خراب أورشليم. وقال: إن من أهلها ستكون "بقية" لنس يدركها الفناء وقت الخراب. وهي التي ستؤمن بالنبي الأمي الآتي. ولكد علي

مجيء هذا النبي. وقال: إن علي يديه يكون بعث اليهود خلقاً جديداً. وأيضاً
سيؤلف بين قلوب اليهود السامريين والعبرانيين.

وفي نهاية سفره تكلم عن المدينة الجديدة، وقال: "واسم المدينة من ذلك
اليوم يهوه شمع" أي الرب هنالك.

وإذ هو ينذر "أورشليم" بالهلاك في يوم الرب، تكون المدينة الجديدة التي
ستكون عاصمة عرش للنبي الآتي ومجده، هي مدينة "مكة المكرمة" وعرش
النبي ومجده، هما عرش الله نفسه ومجده، بمعنى سيادة شريعة علي الأرض لا
سيادة شرائع عباد الأصنام. فإذا عبد الناس للشيطان في مدينة من المدن، يقال
علي هذه المدينة: إن فيها عرش الشيطان ومجده، وإذا عدوا الله في مدينة من
المدن، يقال علي هذه المدينة: إن فيها عرش الله ومجده. وأي ملك يعظم ملكه
يقال عن ملكه: إنه مجد هذا الملك.

فالمسيح عيسى عليه السلام وهو بحث الحواريين علي الدعوة إلي ملكوت
السموات يقول: "لا يقدر أحد أن يحكم مدينتين، لأنه إما أن يرفض الواحد ويحب
الأخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقرون أن تخدموا الله والمال؛ لذلك
أقول لكم: لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسادكم بما
تلبسون. أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس؟ انظروا إلي
طيور السماء، إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلي مخازن. وأبوكم السماوي
يقوتها. أليست أنتم بالحري أفضل منها؟ ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد علي
قامته دراعاً واحدة؟ ولماذا تهتمون باللباس؟ تأملوا زنايق الحقل كيف تنمو؟ لا
تتعبد ولا تغزل. ولكن أقول لكم: إنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة
منها. فإن كان عشب الحقل الذي يُؤخذ اليوم ويطرح غداً في التور يلبسه الله
هكذا، أفليس بالحري جداً يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان؟ فلا تهتموا قائلين: ماذا
نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس. فإن هذه كلها تطلبها الأمم؛ لأن أباكم

السمائي يعلم أنكم تحتاجون إلي هذه كلها. لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم. فلا تهتموا للغد؛ لأن الغد يهتم بما لنفسه. يكفي اليوم شره^(٢٨٨).

ويقول المسيح أيضاً عن مجد محمد رسول الله الذي يلقبه بلقب "ابن الإنسان" كما لقيه حزقيال ودانيال:
ففي إنجيل لوقا:

"وقال للجميع: إن أراد أحد أن يائي وراثتي؛ فليترك نفسه، ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني، فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي، فهذا يخلصها؛ لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وأهلك نفسه أو خسرها؛ لأن من استحي بي ويكلامي، فهذا يستحي ابن الإنسان متى جاء بمجده ومجد الأب والملائكة القديسين. حقاً أقول لكم إن من القيام ها هنا قوماً لا ينشققون الموت حتى يروا ملكوت الله^(٢٨٩).
ففي إنجيل متى:

"ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه؛ فحينئذ يجلس^(٢٩٠) على كرسي مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه، والجداء عن اليسار، ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غربياً فأوَيْتُموني، عرياناً فكسوتُموني، مريضاً فزرتُموني محبوباً فأنتبتم إلي. فجيبيه الأبرار حينئذ قائلين: يا رب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك أو عطشاناً

(288) متى: ٦: ٢٤ - ٢٤.

(289) لوقا: ٩: ٢٣ - ٢٧.

(290) بمعنى: يجلس على عرش مجده.

فسيقيناك؟ ومتى رأيناك غريباً فأوليناك، أو عرياناً فكسوناك؟ ومتى رأيناك مريضاً أو محبوباً فأتيناً إليك؟ فيجب لملك ويقول لهم: الحق أقول لكم بما أنكم عطشتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبني فعلتم. ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار: اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته؛ لأنني جعت فلم تطعموني، عطشتم فلم تسقوني، كنت غريباً فلم تلووني، عرياناً فلم تكسوني، مريضاً ومحبوباً فلم تزوروني. حينئذ يجيبونه هم أيضاً قائلين: يا رب متى رأيناك جائعاً أو عطشناً أو غريباً أو عرياناً أو مريضاً أو محبوباً ولم نخدمك. فيجيبهم قائلاً: الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبني لم تفعلوا. هيمنوا. هيمنوا هؤلاء إلى عذاب أبدي، والأبرار إلى حياة أبدية^(٢٩١).

قال المسيح: إنني لست صاحب المجد الآتي - أي لست صاحب عرش مملكة السموات الآتية - أنا لست أطلب مجدي. يوجد من يطلب ويدين^(٢٩٢).



وفي سفر النبي حزقيال لا يوجه الإنذار لليهود في يوم الرب فقط، بل يوجه إليهم وإلى الأمم أيضاً. فلننذر أورشليم بقول فيه: يا بن آدم قد جعلتك رفيقاً لبني إسرائيل. فاسمع الكلمة من فمي، وأنذرهم من قبلي... الخ^(٢٩٣).

وفي إنذار الأمم يقول: إن الأمم المندثرة هي: بني عثون، موآب، ومسير، أدوم، فلسطين، كريت، صور، صيدون، مصر. وبعثما فرغ من إنذار الأمم؛ شرع في الكلام في يوم الرب. فقال:

(291) متى: ٢٥: ٣١ - ٤٦.

(292) يوحنا: ٨: ٥٠.

(293) حز: ٣: ١٧.

وكان إلى كلام الرب قائلاً: يا بن آدم تنبأ وقل: هكذا قال السيد الرب، ولولوا يا اليوم؛ لأن اليوم قريب، ويوم للرب قريب يوم غيم، يكون وقتاً لكم، ويأتي سيف على مصر، ويكون في كوش خوف شديد عند سقوط القلبي في مصر، وبأخذون ثروتها، وتهدم أسسها، يسقط معهم بالسيف كوش وفوط ولود وكل للنفيف وكوب وبنو أرض العهد، هكذا قال الرب، ويسقط عاضد ومصر، وتتحط كبرياء عزتها من مجد إلى أسوان يسقطون فيها بالسيف. يقول السيد الرب: لتقف في وسط الأراضي المقفرة، وتكون منها في وسط المدن الخربة؛ فيعلمون أني أنا الرب عند إضرامي ناراً في مصر، ويكسر جميع أعوانها في ذلك اليوم يخرج من قلبي رمل في سعي لتخويف كوش المطمئنة، فيأتي عليهم خوف عظيم كما في يوم مصر؛ لأنه هوذا يأتي» (٢٩١).

وتكلم عن أن اليهود إذا قبلوا للنبي الأنبياء فإنه لن يهلكهم لن يهلكهم في يوم الرب: «ولنت يا ابن آدم قد جعلتك رفيقاً لبني إسرائيل، فتسمع للكلام من فمي، وتحذرهم من قلبي...» (٢٩٢).
وتكلم عن علماء بني إسرائيل وقال: «هكذا قال السيد الرب للرعاة: ويل لرعاة إسرائيل...» (٢٩٣).

وقال: إن الله قادر على أن يحييكم بشريعة هذا النبي، ويبعثكم خلقاً جديداً ما هم يقولون: يبست عظامنا وهناك رجاؤنا. قد انقطعنا؛ لذلك تنبأ وقل لهم:

(٢٩٤) حز: ٣٠: ١ - ٩.

(٢٩٥) حز: ٣٣: ٧.

(٢٩٦) حز: ٣٣: ٢.

هكذا قال السيد الرب: هاذا أفتح قبوركم^(٢٩٧) وأصعدكم من قبوركم يا شعبي...^(٢٩٨).

وبعدما تكلم عن النعت الجديد، أخذ في الكلام عن معركة يوم الرب وشدتها فقال: إن شعب الله الجديد، سوف يجلبه أعداء مخيفين، فيهم يأجوج ومأجوج، وفيهم الكافرون من اليهود والأمم. وإن شعب الملوك من البقية الصالحة من بني إسرائيل وقوم النبي الأُمِّي الآتي. سوف يفتحون بلاد يأجوج ومأجوج في يوم الرب، وسوف يملكون على بلادهم وبلاد الأمم أيضا. وذلك في الأصحاح ٣٨ و ٣٩.

وقال حزقيال: إن شعب الله المجدد، ستكون له عاصمة ملك غير عاصمة ملك اليهود في فلسطين. ورمم بخراله لجيل الذي ستصبح عليه عاصمة شعب الله المجدد. وذلك في الأصحاح ٤٠ إلى ٤٨.

وإذا يقول حزقيال: إن هذه المعارك في يوم الرب، ومعلوم أن يوم الرب لم يكن من قبل المسيح عيسى عليه السلام، فإن المسيح به على مجيئه من بعده: يكون للشعب المجدد هو شعب محمد رسول الله ﷺ ولا يكون يوم الرب لملك بابل نبوخذ نصر أو غيره من الأمم الوثنية.

• • •

هيئة العرش:

ماذا رأي حزقيال؟ رأي:

١- غمامة كبيرة.

٢- عاصفة.

٣- نار.

⁽²⁹⁷⁾ القبور مجاز عن الضيق والشدة.

⁽²⁹⁸⁾ حز: ٣٧: ١٣.

٤- أربع حيوانات.

٥- الحيوانات الأربع تطير.

٦- الحيوانات تحمل جُداً.

٧- علي الجلد عرش.

٨- وفوق الجلد هيئة إنسان.

٩- وحول الإنسان ضياء.

ماذا رأى؟ رأى في داخل غلّمة كبيرة نار تكوم، يسبقها هبوب العاصفة، ثم كائنات حية. وهي أربعة تطير حاملة جُداً، يظهر عليه عرش. وفوق الجلد هيئة إنسان حوله ضياء.. هذه هيئة مجد الرب^(٢٩٩).

• • •

النص علي عرش صاحب ملكوت السموات:

من ترجمة دار المشرق:



في السنة الثلاثين، في الشهر الرابع، في الخامس من الشهر، وأنا بين
المجلوبين علي نهر كبار انفتحت سموات، فركبت رُؤى إلهية. في الخامس من
الشهر، وهي السنة الخامسة من جلاء لملك بوياكين، كانت كلمة الرب إلي
حزقيال بن بوزي الكاهن، في أرض قلدانيين، علي نهر كبار، وكانت عليه
هناك يد الرب.

فظنرت فإذا بريح عاصف مقبلة من الشمال، وغمام عظيم ونار متواصلة،
والغمام ضياء من حوله ومن وسطها ما يشبه اللّمعان القرمزي من وسط النار.
ومن وسطها شبه أربعة حيوانات، وهذا منظرها: لها هيئة بشر، ولكل واحد
أربعة وجوه، ولكل واحد أربعة أجنحة، وأرجلها أرجل مستقيمة، وأقدام أرجلها
كقدم رجل العجل، وهي تشرق مثل لنحلّس الصّفيل. ومن تحت أجنحتها أيدي

(٢٩٩) حز: ١: ٤ - ٢٨.

بشر علي أربعة جوانبها، وكذلك وجوها وأجنحتها لأربعتها أجنحتها متصلة
 واحد بالآخر، والحيوانات لا تعطف حين تسير، فكل واحد منها يسير أمام
 وجهه. أما هيئة وجوها فهو وجه بشر، ووجه أسد عن اليمين لأربعتها، ووجه
 ثور عن الشمال لأربعتها، ووجه عقاب لأربعتها. وجوها وأجنحتها منفصلة من
 فوق، لكل واحد جناحان متصلان أحدهما بالآخر، وجناحان يستتران أجسامها.
 وكانت تسير كل واحد منها أمام وجهه، وإلي حيث للروح يوجه المسير كانت
 تسير، ولا تعطف حين تسير. أما هيئة الحيوانات فمظهرها كجمرات نار متقدة،
 كمنظر مشاعل وهي تسير بين الحيوانات، وللنار ضياء، ومن النار يخرج برق.
 والحيوانات تجري وترجع ومظهرها كالبرق. هطرت للحيوانات، فإذا بدولاب
 واحد علي الأرض بجانب الحيوانات نوت الوجوه الأربعة. منظر الدواليب
 وصنعها كلمعان الزبرجد، ولأربعتها شكل واحد، ومظهرها وصنعها كأنما كان
 للدولاب في وسط الدولاب. فعد سيرا علي جوانبها الأربعة، ولا تعطف حين
 تسير. أما دولابها فعالية وهائلة، ودولابها ملهي عيوناً، من حولها لأربعتها.
 وعند سير الحيوانات تسير الدواليب بجانبها، وعن ارتفاع الحيوانات عن
 الأرض ترتفع الدواليب، وإلي حيث للروح يوجه المسير كانت تسير، والدواليب
 ترتفع معها؛ لأن روح الحيوان في الدواليب. فعند سير تلك تسير هذه، وعند
 وقفها تقف، وعند ارتفاعها عن الأرض ترتفع الدواليب معها؛ لأن روح
 الحيوان في الدواليب. وكان علي رؤوس الحيوانات شبه جلد كلمعان البلسور
 الهائل، منبسط علي رموسها. من فوق. وتحت الجلد أجنحتها مستقيمة، الواحد
 نحو الآخر. لكل واحد ثلثان يستتران أجسامها من جهة، ولكل واحد ثلثان
 يستترانها من جهة أخرى.

وسمعت صوت أجنحتها كصوت مياه غزيرة، كصوت القدير. فعند سيرها كان صوت جلبة كصوت مصكر، وعند وقوفها كانت ترخي أجنحتها، وعند وقوفها وهي مرخبة أجنحتها، كان صوت من فوق الجلد الذي علي رؤوسها. وفوق الجلد الذي علي رؤوسها كمنظر حجر اللازورد في هيئة عرش، وعلي هيئة العرش هيئة كمنظر بشر عليه من فوق. ورأيت كلمعان القرمز، كمنظر نار بالقرب منه محيطاً به، مما يشبه وسطه إلى فوق. ومما يشبه وسطه إلى تحت، رأيت كمنظر نار والضياء يُحيط به. وكان منظر هذا للضياء من حوله مثل منظر قوس الغمام في يوم مطر. هذا منظر يشبه مجد الرب.


الشرح والبيان:

الإشارة بالعمام العظيم هو إلى ظهور أربعة ناسحة لشريعة موسى. وذلك لأن الله تعالى كلم موسى علي جبل طور سيناء من العمام لما أراد أن ينزل عليه للتوراة. ففي الأصحاح التاسع عشر من سفر الخروج: "ولما موسى فصعد إلى الله، فناداه الرب من الجبل قائلاً: هكذا تقول لبني يعقوب وتخبر بني إسرائيل. أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين. وأنا حملتكم علي أجنحة النسر وجئت بكم إلي. فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي؛ تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب. فإن لي كل الأرض. وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة. هذه هي الكلمات التي تكلم بها بني إسرائيل.

فجاء موسى ودعا شيوخ الشعب ووضع قدامهم كل هذه الكلمات التي أوصاه بها الرب. فأجاب جميع الشعب معاً وقالوا: كل ما تكلم به الرب نفعل. فرد موسى كلام الشعب إلى الرب. فقال قرب لموسى: ها أنا أت إليك في ظلام المساء لكي يسمع الشعب حينما أتكم معك؛ فؤمنوا بك أيضاً إلي الأبد. وأخبر موسى بكلام الشعب.

فقال الرب لموسى: اذهب إلى الشعب وقسّم لهم اليوم وغداً، وليغسلوا ثيابهم، ويكونوا مستعدين لليوم الثالث؛ لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء، وتقيم للشعب حدوداً من كل ناحية قائلاً: احترزوا من أن تصدوا إلى الجبل أو تسموا طرفه. كل من يمس الجبل يُقتل قتلاً. لا تمسه يد، بل يرحم رجماً أو يرمى رمياً. بهيمة كان أم إنساناً لا يعيش. أما عند صوت البوق فهم يصعدون إلى الجبل.

فأخبر موسى من الجبل إلى الشعب، وقسم الشعب وغسلوا ثيابهم. وقال للشعب: كونوا مستعدين لليوم الثالث. لا تقربوا امرأة.

وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح، أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً. فارتعد كل الشعب الذي في المحلة. وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله. فوقفوا في أسفل الجبل. وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار. وصعد دخانه كدخان الآتون وارتجف كل الجبل جداً. 

فحرقبال ينقل صورة بدء الوحي على موسى. وهي العمام والرعود والبروق والسحاب الثقيل والدخان والنار والرجاف الجبل، إلى بدء الوحي على النبي الآتي على مثاله. ففي صورة حزقيال. للريح العاصفة والغمام والنار. ويظهر للمعان وهو الذي قال عنه موسى: إن بركة الله مستلألاً من جبل فاران. وفي ترجمة: لهم ألمع من فاران" تلك قوله: " وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته. فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألاً من جبل فاران وأتى من ربوات القدس، ومن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب جميع قديسيه في ذلك.

وقول حزقيال: "وكان علي رؤوس الحيوانات شبه جلد كالمعان البلسور الهائل منبسط علي رؤوسها" يدل علي أن الحيوانات تحمل إذن عرش الرب لكثير مما تجره.

وحمل عرش الرب الآتي. يشبه تابوت العهد في شريعة موسى. حيث "رب الجنود الجالس علي الكروبيم"^(٣٠١).

ففي الأصحاح الخامس والعشرين من سفر الخروج عن صناعة للتابوت: "يصنعون تابوتاً من خشب السنط، طوله ذراعان ونصف، وعرضه ذراع ونصف، وارتفاعه ذراع ونصف، وتغشيه بذهب نقي من داخل ومن خارج تغشيه، وتصنع عليه إكليلاً من ذهب حوالبه، وتسبك له أربع حلقات من ذهب، وتجعلها علي قوائم الأربع، علي جانبيه الواحد حلقتان، وعلي جانبيه الثاني حلقتان، وتصنع عصوين من خشب السنط، وتغشيهما بذهب، وتدخل العصوين في الحلقات علي جانبي التابوت؛ ليحمل التابوت بهما، تبقى للعصوان في حلقات التابوت لا تنزعان منها"^(٣٠٢).

وإذا خرج بنو إسرائيل لقتال أعدائهم كانوا يمشون التابوت أمام الجيش، وكانت تطمئن قلوبهم إذا رأوه معهم. ويعبرون عن الأطمئنان بقولهم الله معنا؛ لأن التابوت نائب عن حضوره. ولما كان التابوت نائباً عن الله، كانوا يقولون: الله يجلس علي التابوت، يجلس فوق الكروبيم. وهذا منهم كتابة عن أن الله معهم. والتابوت يذكرهم به. وليس هذا منهم علي الحقيقة؛ وذلك لأن في التوراة: أن الله في كل مكان بذاته ويعطيه، وأنه ليس كمثله شيء، وأنه^(٣٠٣) يكلم الناس

(٣٠١) ١ صم: ٤: ٤.

(٣٠٢) خر: ٢٥: ١٠: ١٥.

(٣٠٣) "أيها العطاش جميعاً هلموا إلي المياه، والذي ليس له فضة تعلقوا لشترها وكلوا. هلموا اشترؤا بلا فضة وبلا ثمن خمراً ولبناً. لماذا ترون فضة بغير خبر وتمسككم لغير شبع.

عن نفسه علي قدر عقولهم، شبه ما يكلم به بعضهم بعضاً؛ ليقتروا علي تصور ذاته.

ففي سفر إرمياء:

"العلي إله من قريب. يقول الرب. ولست إلهاً من بعد؟ إذا اختبأ إنسان في أماكن مستترة. أفما أراه أنا؟ يقول الرب. أما أملأ السموات والأرض؟ يقول الرب" (٢٠٤).

وفي توراة موسى: "ليس مثل الله" ومثل هذا كثير في كتبهم.

وفي الأصحاح الرابع من سفر صموئيل الأول:

"وكان كلام صموئيل إلي جميع إسرائيل، وخرج إسرائيل للقاء الفلسطينيين للحرب، ونزلوا عند حجر المعونة، ولما الفلسطينيون فنزلوا هي أهي، واصطف

استمعوا لي استماعاً، وكلوا للطيب ولتتذلقوا باسم أنسكم. أسلوا أدانكم واهلوا إلي. استمعوا فحبها أنسكم، وأقطع لكم عهداً أبدياً - **تحريراً لكم** - **دود الصانقة** هوذا قد جعلته شارعاً للشعوب رئيساً. وموصياً للشعوب: ها لمة لا تعرفها تدعوها، وأمة لم تعرفك تركض إليك من أجل الرب إلهك وقدم إسرائيل؛ لأنه قد مجدك.

اطلبوا للرب ما دلم يوجد. ادعوه وهو قريب؛ لئلا تترك الشرب طريقة ورجل الإثم أفكاره وليت إلي الرب فبرحمه وإلي إلهنا لأنه يكثر الفرح؛ لأن أفكارني ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقني. يقول الرب: لأنه كما علت السموات عن الأرض؛ هكذا علت طرقني عن طرقكم وأفكارني عن أفكاركم؛ لأنه كما يدرل المطر وتنتج من السماء ولا يرجع إلي هناك، بل يرويان الأرض ويجعلونها تلة وتثبت وتعطي ررعاً للزراع وحبزاً للكل. هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي. لا ترجع إلي فارغة، بل تعمل ما مررت به وتنتج في ما أرسلتها له. لأنكم بفرح تخرجون وبسلام تحصدون. لجبال والأكام تشيد أمامكم ترنماً وكل شجر الحقيل تصفق بالأيدي. عوصاً عن الشوك ونبت سرو، وعوصاً عن القريس يطلع أنس. ويكون للرب سماً. علامة أبدية لا تنقطع" (إشعيا ٥٥).

(304) ٢٣: ٢٣ - ٢٤.

الفلستينيون اللقاء إسرائيل، واشتبكت الحرب؛ فانكسر إسرائيل أمام الفلسطينيين، وضربوا من الصف في الحقل نحو أربعة آلاف رجل، فجاء الشعب إلى المحلة. وقال شيوخ إسرائيل: لماذا كسرنا اليوم الرب أمام الفلسطينيين؟ لنأخذ لأنفسنا من شيلوه تابوت عهد الرب؛ فيدخل في وسطنا، ويخلصنا من يد أعدائنا، فأرسل الشعب إلى شيلوه، وحملوا من هناك تابوت عهد رب الجنود الجالس على الكرسي، وكان هناك أبنا عالي: حفي وبنيحاس مع تابوت عهد الله. وكان عدد نحول تابوت عهد الرب إلى المحلة أن جميع إسرائيل هتفوا هتافاً عظيماً، حتى ارتجت الأرض فسمع الفلسطينيون صوت الهتاف، فقالوا ما هو صوت هذا الهتاف العظيم في محلة العبرانيين، وعلموا أن تابوت الرب جاء إلى المحلة فخاف الفلسطينيون؛ لأنهم قالوا قد جاء الله إلى المحلة، وقالوا: وبئس لقاء لأنه لم يكن مثل هذا منذ أمس ولا ما قبله^(٣٠٥).

ويقول مفسرو التوراة في معنى ما قلناه:

"كان بنو إسرائيل يخشون أن يروا وجه الرب؛ ولذلك فقد كان الله في أغلب الأحيان يريهم "مجد" أي العلامات الخارجية التي تحيط بشخصه وتكشفه^(٣٠٦). فمجد الرب هو إذن علامة حضوره. كان هذا المجد عادة في هيئة غمام نير^(٣٠٧). أما هنا فالغمام يرافقه نوع من الخيال البشري المساطع^(٣٠٨).

حملة العرش في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي:

(٣٠٥) ١ صم: ٤: ١-٧.

(٣٠٦) راجع خر: ٣٣: ١٨-٢٢ قح.

٣٠٧ خر: ١٦: ١٠، خر: ٤٣: ١-٥.

(٣٠٨) تعليق دار المشرق على النص.

وقد ألف المسيحيون سفر الرؤيا، ووصعوا فيه مثل ما وضع اليهود عن عرش النبي الآتي في سفر حزقيال، بأسلوب أسطوري. يفهمون معناه، ولا يفهم معناه الأميون، وغرضهم من تأليفه: هو أن يطبقوا نبوءة العرش على "الخروف" الذي هو "المسيح عيسى بن مريم" في نظرهم. وهم يلقبونه بالخروف، لأنه في نظرهم قد نُبح لدهاء عن خطايا بني آدم. ومع هذا كتبوا فيه ما يدل العلماء على أن صاحب العرش هو النبي محمد ﷺ، ولقبوه بلقب "الوحش" وقالوا: إن الوحش بحساب الجمل يدل على اسم إنسان، وجملة حسابه ست مائة وستة وستون. ومعلوم: أن محمد بن عبد الله العربي بمكة تماوي هذا الرقم. وقالوا: إنه سيعلب القديسين أي اليهود والنصارى. ولقبوه بلقب "الأسد".

وقالوا: إن النبي الآتي الملقب بالأسد، سيكون من سبط يهوذا أصل دلود. ومعلوم أن عيسى ليس من سبط يهوذا ولا ينتسب إلي أب، لأنه بلا أب. وقالوا: إن الجالس على العرش هو غير الخروف وحزقيال في سفره لا يتكلم إلا عيسى واحد هو الجالس على العرش. فيكون بشرك الخروف معه هو اللغو في النبوءة. ذلك قوله: "سمعتها فائلة للجالس على العرش والخروف: البركة والكرامة والمجد والسلطان إلي أبد الأبد".

• • •

وفي إنجيل برنابا أن عدد الأنبياء مائة وأربعة وأربعون ألفاً. ومصرف سفر الرؤيا جعل الحد في بني إسرائيل. ذلك قوله: "وسمعت عدد المختومين مائة وأربعة وأربعين ألفاً مختومين. من كل سبط من بني إسرائيل".

وهذا هو نص إنجيل برنابا:

"أجاب يسوع: لما خلق الله كتلة من التراب، وتركها خمسين وعشرين ألف سنة بدون أن يفعل شيئاً آخر؛ علم الشيطان الذي كان بمثابة كاهن ورئيس للملائكة، لما كان عليه من الإدراك العظيم: أن الله سيأخذ من تلك الكتلة مائة

وأربعة وأربعين ألفاً موسومين بسمه للنبوة، ورسول الله الذي خلق الله روحه قبل كل شيء آخر بستين ألف سنة؛ ولذلك غضب الشيطان فأسغرى الملائكة قائلاً: انظروا سيريد الله يوماً ما أن نسجد لهذا التراب. وعليه فتبصروا في أننا روح، وأنه لا يليق أن نفعل ذلك؛ لذلك ترك الله كثيرين^(٣٠٩).

ثم تكلم عن هزيمة اليهود والأمم في يوم الرب، في أرض قمر مجنون فقال:

ثم سكب الملاك السادس جامه على النهر الكبير العرات، فنفث ماؤه لكي بعد طريق الملوك الذين من مشرق قشعر، ورأيت من قم التين، ومن قم الوحش، ومن قم للنبي الكذاب ثلاثة أرواح نجسة شبه ضفادع، فإنهم أرواح شياطين صانعة آيات تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم يوم الله القادر على كل شيء. ها أنا آتي كل من طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه؛ لنلا بمضي عرباناً، هربوا عربيتهم فجمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية هرمجدون^(٣١٠).

ومعلوم: أن المنتصر في هذه المعركة هم المسلمون لتباع محمد ﷺ. وبعد ذلك قال:

وآخر الأربعة والعشرون شيخاً والأربعة الحيوانات، وسجدوا لله الجالس على العرش قائلين آمين هلوليا. وخرج من العرش صوت قائلاً: سبحوا لإلهنا يا جميع عبيده الخائفين الصغار والكبار. وسمعت كصوت جمع كثير، وكصوت مياه كثيرة، وكصوت رعود شديدة قائلة: هلوليا. فإله قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء....^(٣١١).

(٣٠٩) برنثيا: ٣٥: ١ - ١١.

(٣١٠) رؤ: ١٦: ١٢ - ١٦.

(٣١١) رؤ: ١٩: ٤.

نبوءة كلمة الله:

ونبوءة كلمة الله هي من نبوءات لتوراة الإنجيل علي محمد ﷺ، وقد لغا فيها ككتب سفر للرؤيا بقوله:

ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا هرمس أبيض والجالس عليه يدعي أمنيا وصانعا وبالعدل يحكم ويحارب. وعيناه كلهيب نار وعلي رأسه تيجان كثيرة، وله مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو. وهو متسربل بثوب مغموس بدم، ويدعي اسمه كلمة الله. والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه علي خيل بيض لأيسين بزاً أبيض ونقياً. ومن فمه يخرج سيف مضيء لكي يضرب به الأمم، وهو سيرعاهم بعضاً من حديد، وهو يدوس معصرة خمر وسطح وغصب الله القادر علي كل شيء. وله علي ثوبه وعلي هذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب^(٣١٢).



أي أن الملك هو الملقب بكلمة الله

ثم تكلم عن شريعة جديدة ستأتي لتقبل الأرض غير الأرض والسموات.

فقال:

ثم رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة؛ لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضت، والبحر لا يوجد فيما بعد، ولنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها، وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً: هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً، والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم، وسيمسح الله كل دمعاً من عيونهم، والموت لا يكون فيما بعد، ولا يكون حزن ولا سراح ولا وجع فيما بعد؛ لأن الأمور الأولى قد مضت. وقال للجالس على العرش: ها أنا لصنع كل

(٣١٢) رؤ: ١٩: ١١-١٩.

شيء جديدًا. وقال لي: اكتب فإن هذه الأقوال صادقة وأمينة. ثم قال لي: قد تم لنا هو الألف والياء البداية والنهاية أنا أعطي العظماء من ينبوع ماء الحياة مجاناً من يظلب يرث كل شيء، وأكون له إلهاء، وهو يكون لسي إلهاء، وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون وقتلون والزناة والمسرعة وعبداء الأوثان وجميع الكذبة، فأنصيبهم في البحيرة المنقذة بار وكبريت، الذي هو الموت الثاني^(٣١٣).

• • •

وفي نهاية السفر يقول المحرف: إن مملكة النبي الآتي المرموز إليه بالوحش. سيكون المسيحيون فيها، لأنها ستكون مملكة واحدة لأتباع الاثنين. ذلك قوله:

وأراني نهراً صافياً من ماء حياة لامعاً كبلور خارجاً من عرش الله، والخروف في وسط سوقها، وعلى النهر من هذا ومن هناك شجرة حياة تصنع اثنتي عشرة ثمرة، وتعطي كل شهر ثمرها وورق الشجرة لشفاء الأمم، ولا تكون لعنة ما في ما بعد وعرش الله، والخروف يكون فيها وعبيده يخدمونه، وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم، ولا يكون ليل هناك، ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس، لأن الرب الإله ينير عليهم، وهم سيملكون إلى أبد الأبد^(٣١٤).

• • •

أقوال المفسرين في أن سفر الرؤيا يتكلم عن النبي الأُمِّي الآتي:
أ- في كتاب التفسير الحديث للكتاب المقدس - العهد الجديد - الرؤيا.
تأليف ليون موريس، نشر دار الثقافة المسيحية بالقاهرة:

(٣١٣) رؤ: ٢١: ١-٨.

(٣١٤) رؤ: ٢٢: ١-٥.

١- سفر الرؤيا باليونانية اسمه "أيو كاليموس".

٢- يتمسك البعض بأنه يختص بصفة قاطعة بأحداث نهاية الأيام^(٣١٥).

هذا هو قولهم: "وقد بدأ: أن نهاية الأيام هي آخر أيام الملك والنبوة في بني إسرائيل، وبدء أيام الملك والنبوة في بني إسرائيل".

٣- قال "لأن يوبيك": "إنه ليس كتاب ألفاز، لأنه ينادي بمملكة الله، التي ستعلن في حينها، وتجلب معها سقوط، وتدمير كل مقاوم^(٣١٦)".

٤- وهو أيضا مثل الكتابات الرؤيوية الأخرى في توقعه قيام ملكوت الله، وتطلعه لسماء جديدة وأرض جديدة^(٣١٧).

٥- إن للراني يكتب عن مسيح سيأتي بالحقيقة^(٣١٨).

وقد ذكرنا أن المسيح بن مريم قال: "إنه لن يأتي إلى العالم. فكون المسيح الآتي هو محمد ﷺ".



ب- وفي دراسات تفسيرية في سفر الرؤيا للدكتور هاني ماهر طبعة ١٩٩٢.

١- إن يتكلم عن إقامة مملكة البرّ المنتظرة شأنه أسفار الرؤى^(٣١٩).

٢- إن هذا المعبر هو إعلان عن يسوع المسيح نفسه لما لا بد أن يكون عن قريب^(٣٢٠).

٣- سيأتي المسيح ليحارب أعداءه في هرّ مجنون^(٣٢١).

(٣١٥) ص: ١٣.

(٣١٦) ص: ١٦.

(٣١٧) ص: ١٩.

(٣١٨) ص: ٢٠.

(٣١٩) ص: ٦.

(٣٢٠) ص: ١١.

ومعلوم: أن هرمجدون هي معركة لليرموك. ولم يكن فيها المسيح ابن مريم.

٤- أحداث السفر من أصحاح ٤ إلى أصحاح ١٩، هي نبوءات لأحداث تنتظر التتبع (٣٢٢).

٥- الأصحاحات من ٤ : ١٩ تتحدث عن تاريخ العالم إلى نهاية العالم (٣٢٣). ومعلوم: إن نهاية العالم هي نهاية أيام الملك والنبوة في بني إسرائيل.

٦- الجزء الخاص بالدينونة الأخيرة والحياة الأبدية. الذي تكلم عنه يوحنا لم يكن قد تحقق من قبله (٣٢٤). ومعلوم أن الدينونة الأخيرة هي هلاك الكافرين بمحمد ﷺ من اليهود والأمم في يوم الرب.

٧- يقول يوحنا في سفره: كنت في الروح في يوم الرب الآتي، وأصف مشاهدته وأخبر بها من قبل أن تحدث (٣٢٥).

وهذا يدل على أن السفر موصوع التحذير من يوم الرب.

٨- الختم السادس هو يوم الرب، وأحداث هذا الختم مستم في اليوم الأخير (٣٢٦).

ومعنى ذلك: أن المعر يتحدث عن ظهور النبي الآتي؛ ليهلك اليهود في آخر أيامهم على الأرض في هرمجدون. وقد تم ذلك على أيدي المسلمين.

• • •

(٣٢١) ص: ١٦.

(٣٢٢) ص: ١٦.

(٣٢٣) ص: ١٧.

(٣٢٤) ص: ١٩.

(٣٢٥) ص: ٢٨.

(٣٢٦) ص: ٦٩.

ولأن سفر الرؤيا مكتوب على مثال سفر حزقيال، وعرضنا هو تفسير نبوءة «رَفِيعُ الثَّرَجَاتِ نُو العَرْشِ». فلنبدأ سنذكر نص حزقيال عن العرش من ترجمة البروتستانت ومنظهر تفسيره. ومن التفسير التطابق بينه وبين سفر الرؤيا في العرش. وما سيتبقى من النبوءات؛ قد ذكرته في كتاب "الإنجيل في التوراة" وفي التوراة وفي كتاب "الدفاع عن إنجيل برنابا"، وغيرهما.

• • •

نص نبوءة «رَفِيعُ الثَّرَجَاتِ نُو العَرْشِ»:

الأصحاح الأول من سفر حزقيال:

كان في سنة الثلاثين في الشهر الرابع في الخامس من الشهر، وأنا بين المسيبيين عند نهر خابور، أن السماوات انفتحت، فرأيت رؤى الله في الخامس من الشهر، وهي السنة الخامسة من محي يوباكين لملك، صار كلام الرب إلى حزقيال الكاهن ابن بوزي في أرض الكلدانيين عند نهر خابور، وكانت عليه هناك يد الرب، فخطرت وإذا بريح عاصفة جاءت من الشمال سحابة عظيمة، ونار متواصلة وحولها لمعان، ومن وسطها كمنظر للنحاس الالامع من وسط النار، و من وسطها ثوب أربعة حيوانات، وهذا منظرها لها شبه إنسان، ولكل واحد أربعة أوجه، ولكل واحد أربعة أجنحة، وأرجلها أرجل قائمة، وأقدام أرجلها كقدم رجل العجل، وبارقة كمنظر للنحاس المصفول، وأيدي إنسان تحت أجنحتها على جوانبها الأربعة، ووجوهها، وأجنحتها لجوانبها الأربعة، وأجنحتها متصلة الواحد بأحبه لم تكرر عند سيرها كل واحد يسير إلى جهة وجهه. أما شبه وجوهها فوجه إنسان، ووجه أسد اليمين لأربعتها، ووجه ثور من الشمال لأربعتها، ووجه نسر لأربعتها، فهذه أوجهها، أما أجنحتها فمبسوطة من فوق لكل واحد اثنان متصلان أحدهما بأحبه، واثان يغطيان أجسامها، وكل واحد كان يسير إلى جهة وجهه إلى حيث تكون الروح لتسير تسير لم تكرر عند سيرها.

أما شبه الحيوانات فمنظرها كجمر نار متقدة كمنظر مصابيح هي سالكة بين
الحيوانات، وللنار لمعان، ومن النار كس يخرج برق، الحيوانات راكضة
وراجعة كمنظر البرق، فطرت الحيوانات، وإذا بكرة واحدة على الأرض
بجانب الحيوانات بأوجهها الأربعة منظر البكرات، وصنعها كمنظر الزبرجد،
وللأربع شكل واحد ومنظرها وصنعها كأنها كانت بكرة وسط بكرة لما سارت،
سارت على جوانبها الأربعة لم تدر عدد سيرها. أما أطرها فعالية ومخيفة و
أطرها ملأية عيوناً حوالها للأربع، فإذا سارت الحيوانات سارت البكرات
بجانها، وإذا ارتفعت الحيوانات عن الأرض ارتفعت البكرات إلى حيث تكون
الروح لتسير يسبرون إلى حيث الروح لتسير والبكرات ترتفع معها لأن روح
الحيوانات كانت في البكرات، فإذا سارت تلك سارت هذه، وإذا وقفت تلك
وقفت، وإذا ارتفعت تلك عن الأرض ارتفعت البكرات معها لأن روح
الحيوانات كانت في البكرات، وعلى رؤوس الحيوانات شبه مقب كمنظر البلور
للهائل منتشرا على رؤوسها من فوق، وتحت المقب أجنحتها مستقيمة الواحد
نحو أحبه لكل واحد اثنان يعطيان من هنا، ولكل واحد اثنان يغطيان من هناك
أجسامها، فلما سارت سمعت صوت أجنحتها كحرير مياه كثيرة كصوت القدير
صوت ضجة كصوت جيش، ولما وقفت أرخت أجنحتها، فكان صوت من فوق
المقب الذي على رؤوسها إذا وقفت أرخت أجنحتها، وفوق المقب الذي على
رؤوسها شبه عرش كمنظر حجر العقيق الأزرق، وعلى شبه العرش شبه
كمنظر إنسان عليه من فوق، ورأيت مثل منظر النحاس اللامع كمنظر نار داخله
من حوله من منظر حقويه إلى فوق، ومن منظر حقويه إلى تحت رأيت مثل
منظر نار، ولها لمعان من حولها كمنظر القوس التي في السحاب يوم مطر،

هكذا منظر المعان من حوله هذا منظر شبه مجد الرب، ولما رأيته خرت على وجهي، وسمعت صوت متكلم^(٣٢٧).

٢- وفي الأصحاح الثالث من سفر حزقيال:

ثم حملني روح فسمعت خلفي صوت رعد عظيم: مبارك مجد الرب من مكانه وصوت أجنحة الحيوانات المتلاصقة الواحد بأخيه، وصوت البكرات معها، وصوت رعد عظيم. فحملني الروح وأخذني فذهب مرا في حرارة، ويد الرب كانت شديدة علي^(٣٢٨).

الشرح والتبيين

الأصحاح الأول:

المقدمة

كان في سنة الثلاثين^(٣٢٩) في الشهر الرابع في الخامس من الشهر، وأنا بين المسبيين عند نهر حابور، أن السموات انفتحت، ورأيت رؤى الله. فني الخامس من الشهر، وهي السنة الخامسة من سبي يوباكين الملك، صار كلام الرب إلي حزقيال الكاهن ابن بوزي في أرض الكلدانيين عند نهر حابور. وكانت عليه هناك يد الرب^(٣٣٠).

بدأت نبوة حزقيال في سن الثلاثين تقويم مملكة بابل، وفي السنة الخامسة من سبي يوباكين (يهوياكين)^(٣٣١)، ونكر السنة الخامسة من سبي يهوياكين ليس

(٣٢٧) حزقيال: ١.

(٣٢٨) حز: ٣: ١٢-١٤.

(٣٢٩) يرى البعض أن حزقيال بدأ خدمته النبوية في سن الثلاثين.

(٣٣٠) ع: ١: ٣.

(٣٣١) هناك بعض حوادث هامة كانت تؤرخ الأحداث بالنسبة لها. من هذه الحوادث قيام مملكة بابل سنة ٦٢٥ ق.م وسبي يهوياكين الذي حدث سنة ٥٩٩ ق.م (انظر جدول التسواريخ

بدون معنى أو سبب خاص، بل قصد الله أن يكون هناك وقت كاف^(٣٣٢) بين هذه السنة والخراب النهائي الذي حل بأورشليم سنة ٥٨٨ ق.م، لأولئك الذين تركوا في الأرض والذين كانوا في السبي.

ويقول المصرون إن العرص من رؤيا حزقيال هو أن يتوب اليهود عن عصيانهم لله، وقولهم باطل، فإن اليهود لما حدث لهم ما حدث من المصائب في ذلك الزمان وقالوا: "قد هلك رجائنا" بيّن الله لهم أن الرجاء لم يهلك؛ لأنه سوف يرسل لهم النبي الأمي الآتي على مثال موسى ليحييهم مرة أخرى، وفي ظله يعيشون بين الأمم. يدل على ذلك: ما في سفر حزقيال عن "يوم الرب" الآتي. وقد أتى من بعده بأكثر من ألف سنة. وعناصر الموصوع هي:

١- السماوات المفتوحة.

٢- رؤى الله

٣- صلات كلام الله إليه

٤- يد الله كانت عليه

السماوات المفتوحة:

لا نقرأ في العهد القديم أن السماء فتحت إلا في هذا المكان. إلا أن حزقيال قد رأى السماء المفتوحة في رؤى الله، شبه ما جاء في الإنجيل. عندما تكلم المسيح مع نثنائيل قائلاً له: "من الآن ترون السماء مفتوحة، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان"^{(٣٣٣)(٣٣٤)}.

والحوادث الهامة في الكتاب المقدس بليل، وأيضاً شرح حر: رشاد فكري: طبعة ٢٠٠٣. نشر مكتبة الأخوة بالقاهرة).

(٣٣٢) هذه الحوادث تقرب من ٧ سنوات من سنة ٥٩٥ إلى سنة ٥٨٨ ق.م

(٣٣٣) ابن الإنسان لقب لمحمد ﷺ في الأصحاح السابع من سفر دانيال.

(٣٣٤) يو: ١: ٥١.

رؤى الله:

للسماوات المفتوحة قد أحضرت لحرفيال في رؤى الله؛ فهو قد رأى
الرؤيا التي تصور الله في معاملته للقضاة مع بني إسرائيل.

كلام الرب الذي صار إليه:

نفهم من هذا أن رسالته هي من الرب؛ لأن كلام الرب صار إليه. فهو لم
يرسل نفسه بل أرسله الرب وتكلم بكلام الرب.

يد الرب كانت عليه:

ذكرت هذه العبارة في هذا السفر سبع مرات:

(١) ١ : ٣

(٦) ١ : ٣٧

(٢) ١٤ : ٣

(٧) ١ : ٤٠

(٣) ٢٢ : ٣

(٤) ١ : ٨

(٥) ٢٢ : ٢٣

كم هو أمر جميل ومبارك عندما توضع يد الرب على المؤمن؛ لكي
تعضده وتمنحه القوة التي يحتاجها لمواجهة الخدمة المكلف بها من الرب؛ لأننا
لسنا كهنة من أنفسنا بل للكفاية كلها من الله؛ لأن فضل القوة لله لا منا.

• • •

رؤيا المجد:

تفطرت وإذا بريح عاصفة جاءت من الشمال. سحابة عظيمة ونار
متواصلة وحولها لمعان، ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار.
ومن وسطها شبه أربعة حيوانات. وهذا منظرها: لها شبه إنسان. ولكل واحد
أربعة أجنحة. وأرجلها أرجل قائمة، وأقدام أرجلها كقدم رجل العجل، وبارقة
كمنظر النحاس المصقول. وأيدي إنسان تحت أجنحتها على جوانبها الأربعة

ووجوهها وأجنحتها لجوانبها الأربعة. وأجنحتها متصلة الواحد بأخيه. لم تدر عند سيرها. كل واحد يسير إلى جهة وجهه. أما شبه وجوهها: فوجه إنسان ووجه أسد لليمين لأربعتها، ووجه ثور من الشمال لأربعتها، ووجه نسر لأربعتها. فهذه أوجهها. أما أجنحتها فمبسوطة من فوق. لكل واحد لثان متصلان أحدهما بأخيه، واثنتان يغطيان أوصالهما. وكل واحد كان يسير إلى جهة وجهه. إلى حيث تكون للروح لتسير؛ تسير؛ لم تدر عند سيرها.

أما شبه الحيوانات فسنظرها كحجر نار متقدة، كمنظر مصابيح هي مائة بين الحيوانات. وللنار لمعان، ومن النار كان يخرج برق. الحيوانات راضية وراجعة كمنظر البرق (٣٣٥).

وقد ذكرت هذه الرؤيا عدة مرات في السفر. ذكرت في الأصحاح الحادي عشر. عندما رأى النبي الكروبيم وأجنحتها والبكرات معها، ومجد الرب الذي عليها من فوق راحلة من أورشليم، وولقة على الجبل الذي يقع شرق المدينة. والمرة الأخيرة التي ذكرت فيها هذه الرؤيا نجدها في الأصحاح الثالث والأربعين، عندما رأى النبي مجد الرب إسرائيل. وقد جاء من طريق الشرق وصوته كصوت مياه (٣٣٦) كثيرة، والأرض أصامت من مجده، ويذكر أن المنظر الذي رآه عند نهر حابور (٣٣٧).

وهذه الرؤيا تسمى رؤيا: شبه مجد الرب كما تقول في لوقا ٢٨ "هذا منظر شبه مجد الرب" أي لأن الله يرى في مجده لتعبد القضاء. أول ما رآه حزقيال في هذه الرؤيا: هو الريح العاصفة التي جاءت من الشمال سحابة عظيمة وبار متواصلة، فالريح العاصفة والنار تسيرون إلى

(٣٣٥) ع: ٤: ١٤.

(٣٣٦) من المؤكد أنه يشير إلى بئر رمم في مكة.

(٣٣٧) حز: ٤٣: ١ - ٤.

القضاء الإلهي، وعن هذا نقرأ في سفر المزمير: "ارتجت الأرض وارتعشت
أسس الجبال، ارتعدت وارتجت؛ لأنه غضب، صعد دخان من أنفه، ونار من فمه
أكلت، جمر اشتعلت منه. طأطأ السموات ونزل، وضباب تحت رجليه. ركب
علي كروب وطار، وهب علي أجنحة لرياح..."^(٣٣٨).

كما أن إرميا يذكّر غضب الله في صورة الريح يقول: "هوذا كسحاب
يصعد، وكزوبعة مركباته. أسرع من النور خيله"^(٣٣٩).
وأيضاً: "يا بني إلهنا ولا يصمت، نار قدامه تاكل، وحوله عاصف
جداً"^(٣٤٠).

وكون الريح العاصفة التي رآها حزقيال قادمة من الشمال: يدل علي أن
سحابة القضاء الإلهي وروبعة الدينوية، التي ستأتي علي مملكة يهوذا، ومدينة
لورشليم؛ لن يستخدم فيها الله بابل، كأداة لتنفيذ هذا القضاء؛ لأن اليهود في ذلك
الوقت في بابل. وإذا هو يتكلم عن يوم الرب الآتي، تكون الآتية للعقاب أمة
الذي الآتي.

ويدل علي ذلك: أن أفق النبوة يمتد إلي ما وراء تبوخذ نصر؛ حيث
يصل إلي اجتماع الشعوب ضد لورشليم في الأيام الأخيرة^(٣٤١).
وأيضاً: "ارفعوا الراية نحو صهيون، احتتموا، لا تقفوا؛ لأنني آتي بشر من
الشمال، وكسر عظيم. قد صعد الأسد من غابته، وزحف مهلك الأمم"^(٣٤٢).

(٣٣٨) مر: ١٨: ٧-١٥. انظر أيضاً زمر: ٧٧: ١٨، ٩٧: ٢-٤.

(٣٣٩) إر: ٤: ١٣.

(٣٤٠) مز: ٥٠: ٣.

(٣٤١) زكريا: ١٤: ٢.

(٣٤٢) إرميا: ٤: ٦-٧.

وليضاً: 'هوذا صوت خير جاء، واضطراب عظيم من أرض الشمال
 لجبل مدن يهوذا خراباً، مأوى لهنات آوى' (٣١٢).
 كما أن السحابة حولها لمعان كمطر للنحاس الالامع من وسط النار.
 والنحاس يشير إلى الدينونة التي بحسب لبر أو بمعنى آخر رمز لبس الله في
 علاقته مع الإنسان في القضاء، كما أن النار تشير إلى القضاء أيضاً لأن إلهنا
 نار آكلة' (٣١١). كما يقول: 'وكان منظر مجد الرب كنار آكلة على رأس الجبل
 أمام عيون بني إسرائيل' (٣١٥).

• • •

بعد ذلك يذكر الكتاب الرؤيا نصها:

فأولاً: رأي أربعة حيوانات - وبمعنى أدق أربعة كائنات حية - وهذا
 منظرها: لها شبه إنسان، ولكل واحد أربعة أوجه، ولكل واحد أربعة أجنحة،
 وأرجلها قائمة، وأقدام أرجلها كقدم رجل العجل، ويؤدي إنسان تحت أجنحتها،
 وأجبتها متصلة للواحد بأخيه، أما شبه وجوهها: فوجه أمد، ووجه ثور، ووجه
 نصر.

تسمى هذه الحيوانات الأربعة في الأصحاح العاشر بالكروبيم والكروبيم
 تمثل المبادئ الإلهية التي بمقتضاها يمارس الله سلطته القضائية؛ لأن الله يستخدم
 الملائكة أحياناً والناس أحياناً أخرى في التعبير عن طرق فضله.

• • •

والحيوانات الأربعة هنا تختلف بعض الشيء عن الحيوانات الأربعة
 المذكور في سفر الرؤيا. ويمكن ملاحظة أوجه الخلاف فيما يلي:

(٣٤٣) ل: ١٠ : ٢٢.

(٣٤٤) تث: ٤ : ٢٤.

(٣٤٥) حز: ٢٤ : ١٧.

١- في سفر الرؤيا الحيوان له وجه واحد، أما في حزقيال فالحيوان له أربعة وجوه.

٢- في سفر الرؤيا الحيوان له ستة أجنحة، أما في حزقيال فالحيوان له أربعة أجنحة.

٣- لا نقرأ في سفر الرؤيا أن للحيوانات أيدي، أما في حزقيال فنقرأ أن لها أيدي إنسان تحت أجنحتها على جوانبها الأربعة.

٤- في سفر حزقيال يذكر أن لها لرجل قائمة. وأقدام أرجلها كقدم رجل للعجل، أما سفر الرؤيا فلا نقرأ عن أرجل لها.

ولكل حيوان أو كروب أربعة لوجه. أي أنه يتحرك في كل الاتجاهات. ولوجه الكروب نوحى إلينا بمختلف أنواع وأشكال معاملات الله سياسيًا وقصائنيًا. فوجه الإنسان يوحي بالحكمة والفهم، والأسد بالجلال والقوة، والثور بالصبر والاحتمال والعمل والاجتهاد والتدبر بحدثة البصر وسرعة العمل والتتبع.

هذه الأوصاف والمميزات مجمعة تعبر عن مبادئ عرش الله في قصائده على الأرض، سواء نفذ الله هذا القصاص بواسطة بشر أو ملائكة بحسب حكمة مشيئته.

وترتيب الأوجه في سفر حزقيال يختلف عنه في سفر الرؤيا، ففي حزقيال يأتي الترتيب هكذا: إنسان، أسد، ثور، نمر.

أما الترتيب في سفر الرؤيا فيأتي هكذا: أسد، ثور، إنسان، نمر.

في سفر حزقيال يرى الرب وقد سحب عرشه من اورشليم، وسلم السيادة لأمة جديدة. أي لشعب غير شعب لليهود. أي أنه سيمارس حقوقه الملكية في نهاية لزمنة الأمم عندما يستعلن بالمجد والقوة عن طريق النبي الملقب بالبن الإنسان.

وهذا ما قد رآه دانيال: "مع سحب السماء مثل لين إنسان.. فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعد له كل الشعوب و للأمم والألجنة"^(٣٤٦).

ونرى أجنحة هذه الكائنات الحية السرعة المدهشة التي تتعد بها مقاصد الله وجميع طرقه ومعاملاته.

كما أن أجنحتها متصلة، أحدها بأخيه، وفي ذلك نرى الوحدة الكاملة بحسب تلك الكائنات الحية.

أما الأيدي التي تحت الأجنحة التي هي شبه أيدي إنسان: فهو كناية عن الاستعداد؛ لأن تمتد بالقضاء إذا كان هذا ضرورياً، مثلما امتدت طرف اليد الكاتبة لكي تعطي القضاء علي بيلشاصر الملك ونهاية مملك بابل^(٣٤٧).

أما أرجلها فثلاثة، ولقدام أرجلها كقدم رجل العجل، وبارقة كمنظر للنحاس المصقول. فإذا عرفنا أن هذه الكائنات الحية تمثل صفات الله في القضاء؛ سهل فهم مدلولها.

فالأرجل يقال عنها إنها قائمة أو مستقيمة، ثم بارقة كمنظر للنحاس المصقول: كناية عن أن القضاء يسير، ولن يتوقف ولن تقف قوة لمده. ثم عن الأقدام كقدم رجل العجل، كناية عن الصبر الكامل في تنفيذ الديونة. وعندما تصل أناة الله إلي نهايتها، لا بد أن يتم القضاء.

وما لقضاء حيث نقرأ: "قدامه"^(٣٤٨) ذهب الوباء، وعند رجله خرجت الحمى. وقف وقاس الأرض. نظر فرجف الأمم وبكت الجبال الدهرية"^(٣٤٩).

(٣٤٦) دا: ٧: ١٣-١٤.

(٣٤٧) دا: ٥، ٦.

(٣٤٨) نبوة حبقوق هي لمحمد ﷺ.

(٣٤٩) حب: ٣: ٦.

وكل واحد كان يسير إلى جهة وجهه؛ أي أنها تسير مستقيمة إلى الأمام ولا تنحرف، بل تتجه إلى الهدف الذي تقصده، ولن تنحرف عن تنفيذ المبادئ الإلهية للدينونة. وليس هناك قوة تستطيع أن تغير مسارها، لو تعرضت لحكام برّ الله التي تسير وتمضي متممة أغراضها إلى النهاية.

ثم نلاحظ القول: "كل واحد كان يسير إلى جهة وجهه، إلى حيث تكون الروح لتسير" (٣٥٠). فالكل يسير موجهًا بواسطة الروح الذي هو التعبير عن الله عاملًا.

ومنظر هذه الحيوانات الأربعة كجمر نار متقدة، هذا يذكرنا بالقول: "الصانع ملائكة رياحا، وخدامه نارًا ملتهبة" (٣٥١). حيث إن الملائكة هم خدام ورسول أعمال عنايته.

كمنظر مصابيح هي سالكة (٣٥٢) بين الحيوانات. وتلنار لمعان، ومن الدار كان يخرج برق (٣٥٣). وهذا يذكرنا بالوصف الذي للسيد المذكور في مزسور ١٨: ١٢ "من الشمع قدلمه عبرت صحبه، يرد وجمر نلر".

وليفنا: "جلاله غطي السموات، والأرض أملاك من تسبيحه، وكان لمعان كالنور. له من يده شعاع، وهناك استلر قدرته" (٣٥٤).

"الحيوانات راكضة وراجعة كمناظر الثبرق" (٣٥٥). أي أنها رسل سريعة في تنفيذ ما يوكل إليها بسرعة. راكضة وراجعة. ونحظّد الوقت ليس لها إنما هي تتقدم بسرعة من مكان إلى مكان حسب أمر سيدها.

(٣٥٠) آية: ١٢.

(٣٥١) مز: ١٠٤: ٤.

(٣٥٢) لو صاعدة هابطة.

(٣٥٣) آية: ١٣.

(٣٥٤) حب: ٣: ٣ - ٤.

(٣٥٥) آية: ١٤.

التص:

تفطرت الحيوانات وإذا بكرة واحدة علي الأرض بجانب الحيوانات
بأوجها الأربعة. منظر البكرات وصنعتها كمطر الزبرجد، والأربعة شكل
واحد، ومنظرها وصنعتها كأنها كانت بكرة وسط بكرة. أما سارت، سارت علي
جوانبها الأربعة. لم تُر عند سيرها. أما أطرها فعالية ومخيفة، وأطرها ملائكة
عيوناً حوالها للأربع.

فإذا سارت الحيوانات، سارت البكرات بجانبها، وإذا ارتفعت الحيوانات
عن الأرض ارتفعت البكرات. إلي حيث تكون الروح لتسير؛ يسيرون إلي حيث
الروح لتسير والبكرات ترتفع معها؛ لأن روح الحيوانات كانت في البكرات.
فإذا سارت تلك؛ سارت هذه، وإذا وقعت تلك؛ وقعت. وإذا ارتفعت تلك
عن الأرض ارتفعت البكرات معها؛ لأن روح الحيوانات كانت في البكرات.
وعلي رؤوس الحيوانات شبه مقبب كمنظر البلور الهائل منتشراً علي رؤوسها
من فوق. وتحت للمقبب أجنحتها مستقيمة. الواحد نحو أخيه. لكل واحد اثنين
يخطيان من هنا، ولكل واحد اثنين يخطيان من هناك لأجسامها، فلما سارت؛
سمعت صوت أجنحتها كخبر مياه كثيرة، كصوت القدير. صوت ضجة،
كصوت جيش. ولما وقعت أرخت أجنحتها.

وفوق المقبب الذي علي رؤوسها شبه عرش كمنظر حجر الحقيق الأزرق،
وعلي شبه العرش شبه كمنظر إنسان عليه من فوق. ورأيت مثل منظر النحاس
اللامع كمنظر نار دليلة من حوله، من منظر حقويه إلي فوق، ومن منظر
حقويه إلي تحت؛ رأيت مثل منظر نار ولها لمعان من حولها. كمنظر القوس
التي في المسحاب يوم مطر. هكذا منظر اللمعان من حوله. هذا منظر شبه مجد
للرب. ولما رأيته خررت علي وجهي، وسمعت صوت متكلم^(٣٥٦).

(٣٥٦) آية: ١٥ : ٢٤.

التفسير:

بعد مشهد الحيوانات الأربعة يأتي مشهد البكرات - العقالات - والبكرات تحدثنا عن تطورات الزمن ومجريات الأمور التي يسيطر عليها الله؛ لأننا نقرأ أن روح الحيوانات كانت في البكرات؛ أي أن الله هو الذي يسيطر على كل شيء. كما يذكر الحكيم إذ يقول: لكل شيء زمان، ولكل أمر تحت السماوات وقت^(٣٥٧).

أي أن العناية الإلهية هي التي ترتب جميع الأمور كبيرها وصغيرها، وأن الإنسان لا يستطيع أن يغير شيئاً، فكل شيء محدد بزمانه المعين له. وللإنسان دورته المحددة ونوره في القلب، مثل دورة الشمس والرياح والمياه؛ لأن البكرة متحركة وسائرة وليست ساكنة.

والبكرة تأخذ منظر الزبرجد؛ أي أنها تعن كمالات الله نفسه. هو الذي يخرج النور من الظلمة والحياة من الموت. ومنظرها كأنها بكرة دخل بكرة. أي أن أعمال الله في تنوع من حيث الأغراض والمظاهر.

أما أطرها - جع إطار - فعالية ومخيفة، أي أن قدرة الله هي التي تتحكم في كل شيء وتسير كل شيء. أنها فوق إدراكنا ولهمنا كما يقول الله: "لأن أفكاري ليست لأفكاركم. ولا طرقكم طرقى. يقول الرب: لأنه كما علت السماوات عن الأرض، هكذا علت طرقى عن طرقكم وأفكارى عن أفكاركم"^(٣٥٨).

وإن كانت طرقه فوق إدراكنا لكل شيء تحت سيطرته؛ لأنه يعمل كل شيء طبقاً للخطة التي رسمها، وينفذها بالطريقة التي تحقق أغراضه. لكن البكرة ترتفع وتطوا فتبدو مخيفة. الأمر الذي لا يسمح للإنسان أن يرى من

(٣٥٧) جا: ٢: ١.

(٣٥٨) يش: ٥٥: ٨ - ٩.

تطورات الحوادث سوى القليل، ولا يتبع خطوات الزمن إلا فترة قصيرة؛ لأنها عالية جدًا، وبعيدة عن متناول الحواس المجردة.

كما أن البكرات لا يمكن أن يوصل عن الحيوانات في حركتها لو سيرها، كما نقرأ: "فإذا سارت تلك؛ سارت هذه، وإذا وقفت تلك وقفت. وإذا ارتفعت تلك عن الأرض؛ ارتفعت البكرات معها" (٣٥٩).

أي أن الكل يعمل في انسجام تام؛ لأن القوة المنظمة لكل من الحيوانات والبكرات هي قوة الروح الذي فيها. أي أن الله هو الذي يسيطر على الكل، وهو الذي يوجه كل حركة، ولا يمكن أن تخطئ أغراضه في معاملاته الخاصة بسيادته على الأرض؛ لأنه السزء عن الخطأ، فلا مجال للصدف لو ما يسميه الناس "القضاء والقدر" لكن كل شيء يسير طبقاً للخطوة المرسومة التي لا تخطئ.

ثم هناك العيون التي في أطراف البكرات وهي تكلمنا عن الفهم والإدراك. أي أن أعمال الله القصصانية صادرة عن حكمة وفهم "لأن عيني الرب تجولان في كل الأرض ليشتد الدين قلوبهم كاملة نحو، فقد حققت في هذا حتى إنه من الآن تكون عليك حروب" (٣٦٠).

ثم رأي حزقيال على رؤوس الحيوانات شبه مقبب - الجلد - كمنظر البلور الهائل منتشراً على رؤوسها من فوق. ثم فوق المقبب الذي على رؤوسها شبه عرش كمنظر حجر العقيق، وعلى شبه العرش كمنظر إنسان عليه من فوق. وهذا يبدو الاختلاف عن سفر الرؤيا؛ حيث أن حزقيال يرى الحيوانات تحت العرش في حين أن يوحنا يرى الحيوانات حول العرش، فحزقيال يراها على الأرض، وأما يوحنا فيراها وهو في السماء. ومن هنا ندرك تماماً اتجاه

(٣٥٩) آية: ٢١.

(٣٦٠) ٢ أخ: ١٦: ٩.

الحيوانات والبهائم إنما يخضع خضوعاً كاملاً لسلطة وقوة الجالس على العرش.

ثم إن الأجنحة مبسوطة وفي حالة الاستعداد للخدمة، لما أجسامها مغطاة دائماً بأجنحتها. وعندما سارت، سمع النبي "صوت أجنحته كخريف مياه كثيرة، كصوت القدير، صوت صفة، كصوت جيش" (٣٦١).

وهنا يجب أن نتذكر أن هذه الحيوانات تعبر عن مبادئ عرش الله في قضائه على الأرض، ولهذا أدرك النبي أن هذا الصوت الذي سمعه من أجنحة الحيوانات هو صوت القدير. وهذا ما أكدته النبي أيضاً في القول المرتبط بهذه الرؤيا بعد ذلك: "وإذا بعد إله إسرائيل جاء من طريق الشرق وصوته كصوت مياه كثيرة" (٣٦٢).

وهذا ما نلاحظه أيضاً في أعمال عنانيته. فعندما قصد الرب أن ينقذ شعبه من الجوع في أيام السامرة نقراً: "قل للرب أسمع جيش الأراميين صوت مركبات وصوت حبل، صوت جيش عظيم" (٣٦٣). والحيوانات هنا في المكان الصحيح تؤدي الخدمة عند سماع صوته. وتكون قدومه ملفوفة بأجنحتها. وعند سماع صوته تصمت مرخية أجنحتها.

ويوصف العرش أنه كمنظر حجر العقيق الأزرق. وهذا بذكرنا بذلك الذي شوهد مرة على جبل سيناء حيث نقراً:

ثم صعد موسى وهارون وزاداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، وركبوا إله إسرائيل، وتحت رجله شبه صفة من العقيق الأزرق الشفاف،

(٣٦١) لوقا: ٢٤

(٣٦٢) حز. ٤٣: ٢.

(٣٦٣) ٢ مل: ٧-٦. نظر: أخ: ١٤: ١٥.

وكذلك السماء في النقاوة^(٣٦٤). كما أن يوحنا أعطي أن يري الجئس على العرش في المنظر؛ شبه حجر اليشب والعقيق^(٣٦٥).

ولم يعط لنا أن يري العرش فقط أو نسمع صوت المزمدي فقط بل أن نرى أيضاً الجئس عليه حيث نقرأ: وعلي شبه العرش شبه كمنظر إنسان عليه من فوق^(٣٦٦).

وهذا الإنسان الذي رآه النبي على العرش كان محاطاً بالمجد حيث نقرأ: ورأيت مثل منظر النحاس اللمع. كمنظر نار داخلة من حوله، من منظر حقويه إلى فوق، ومن منظر حقويه إلى تحت، رأيت مثل منظر نار ولها لمعان من حولها. كمنظر القوس التي في السحاب يوم مطر، هكذا منظر اللمعان من حوله. منظر شبه مجد الرب^(٣٦٧). ففي النحاس اللمع نرى استعلان القداسة التي لا تتغير في القضاة. أما القوس التي في السحاب، أي قوس قزح، فيكلمنا عن العهد الذي لا يتغير الذي عمله الله مع نوح، وهو علامة عهد الله مع الأرض^(٣٦٨).

وهو نفسه الذي رآه يوحنا حيث نقرأ: وكان القوس في المنظر شبه حجر اليشب والعقيق، وقوس قزح حول العرش في المنظر شبه المزمرد^(٣٦٩). ففي قوس قزح نرى رحمة الله في وسط الغضب.

(٣٦٤) خر: ٢٤: ٩ - ١٠.

(٣٦٥) رؤ: ٤: ٣.

(٣٦٦) آية: ٢٤.

(٣٦٧) ع: ٢٧: ٢٨.

(٣٦٨) تث: ٩: ٩ - ١٧.

(٣٦٩) رؤ: ٤: ٣.

ثم يختم المشهد بهذا التعبير الجميل: "هذا مطر شبه مجد الرب" أو هذا
"لعمان شبه مجد الرب" وهنا النبي يخر علي وجهه قدام الله. وهنا نسمع صوتاً
يهمسه فيرسله رسولاً من قبل الله لشعب متعرد.

• • •

وجهة نظر المسيحيين في نبوءة رفيع الدرجات دو العرش:
إن هذا التفسير الذي ذكرناه من كتبهم باحتصار. غرضهم منه: تطبيق
نبوءة رفيع الدرجات دو العرش علي المسيح عيسى عليه السلام في معركة "يوم الرب"
يريدون أن يقولوا: إن مملكة الرب الآتية، وهي ملكوت السموات ستكون
للمسيح، والمسيح يجلس علي عرشها بمعنى أن كتابه هو الذي سيكون مرجع
الديانة فقط. ويرد قولهم بسهولة: أن للمسيح وهو يتكلم عن مجيء "بيراكليت"
من بعده قال: "في ذلك اليوم تطلبون باسمي"^(٣٧٠). أي يوم هذا؟ وفي ذلك اليوم
لا تسألوني شيئاً^(٣٧١). أي يوم هذا؟

يقول مؤلف شرح سفر حزقيال. وهو الأستاذ رشاد مكري:
ما نصه: "وترتيب الأوجه في سفر حزقيال يختلف عنه في سفر الرؤيا،
ففي حزقيال يأتي الترتيب هكذا: إسماع، أمد، ثور، نسر. أما الترتيب في سفر
الرؤيا فيأتي هكذا: أمد، ثور، إسماع، نسر. أما سفر حزقيال فيرى الرب وقد
سحب عرشه من "أورشليم"، وسلم السيدة للأمم أي أنه سيمارس حقوقه الملكية
في نهاية أزمنة الأمم عندما يستعلن بالمجد. وهذا ما رآه دانيال: "مع سحب
السماء مثل ابن إسماع.. فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً ليتعبد له كل الشعوب
والأمم والألسنة"^(٣٧٢).

(٣٧٠) يو: ١٦: ٢٦.

(٣٧١) يو: ١٦: ٢٣.

(٣٧٢) دا: ٧: ١٣-١٤.

تطابق نبوءة العرش مع القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: ﴿حَم (١) لِرَبِّكِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢)
غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ
(٣) مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُوكَ ثَقَلُيَهُمْ فِي السِّلَاحِ
(٤) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْرَابُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَهُمْ يَنْفَعُهُمْ وَهُم يُبْغِضُهُمْ
لِيَأْخُذُوهُ وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥)
وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦) الَّذِينَ
يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا
سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ
وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ
السَّيِّئَاتِ وَمَنْ لَقِيَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ
فَتَكْفُرُونَ (١٠) قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَلَيْسَ الْأَشْتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا النُّتُنَ فَاغْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى
خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١١) ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخَذَهُ عَهْدُهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ
تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢) هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ
السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ (١٣) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ
كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤) رَفِيعُ الثَّرَاجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْزِلَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ
مِنْهُمْ شَيْءٌ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ
بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ

الْقُلُوبُ لَدَى الْحَاجِرِ كَاطْمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ (١٨)
يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ
يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠).

البيان:

ابتداء السورة بالحاء والميم، والحروف المقطعة في القرآن هي مثل
الحروف المقطعة في التوراة والإنجيل. ولذلك قال في معاهدا: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي
إِلَيْكَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢١). ومدح الله نفسه بخبر أن
الذنوب وبشدة العقاب وبالإحسان، وبين أنه الحالق للعالم وحده، وإليه سيرجع
الناس.

ودلائل نبوة محمد ﷺ واضحة، ولا يجادل إنكارها إلا اليهود الكفرة.
ومنها نبوة عه في التوراة وفي الإنجيل. وهي نبوة العرش، في ملكوت
السموات. وسندكرها كدليل عنكم على نبوته، تعرفوه بها. ومع ذلك تجادلون.
ويقول لنبيه ولكل مسلم في شخصه: لا تهتم بتقلهم في بلاد الأمم ليصسرفوا
الناس عن الإيمان بك. وسوف نهلكهم؛ لأنهم يفعلون معك كما فعلت الأمم
السابقة مع أنبيائها. ومتي سيكون الهلاك؟ وأينما في الإشارة إلى أن تأسيس
العرش في مملكة الله؛ سيكون في يوم الرب. وعرشه في هذه المملكة: كنيسة
عن سيادة شريعة على الناس؛ لأن من يقرأ منهم {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ} سوف
يعرف منها موضعها في التوراة. فإذا قرأها فسجد بعدها أن الهلاك للكافرين به
محقق في يوم الرب.

(٢١) طه ١٠ - ٢٠.

(٢٢) الثوري: ٣.

وقد جاء في النبوة عن تصحيح من حوله: "وخرج من العرش صوت قائلاً: سبهوا لإلهنا يا جميع عبيده الخائفين" وحملة العرش ومن حوله. يعني به عرش محمد ﷺ في مملكته الآتية المعروفة بملكوت السماوات. وعرشه ﷺ هو نفسه عرش الله ومجده وملكه وسلطانه؛ لأنه وسيلة لتنفيذ مقاصده بين البشر. وهو يدعو إليه. وهؤلاء يسمعون وهو يملئون به؛ لأن الإيمان به يسبق تسبيحه، ويطلبون المغفرة للتائبين؛ لأن المسيح عيسى عليه السلام كان يدعو إلى اقتراب ملكوت السماوات بقوله: "توبوا" فهم يطلبون المغفرة للذين تابوا ودخلوا في الملكوت من بني إسرائيل والأمم وهم المسلمون، ولأن حزقيال تكلم عن التوبة كثيراً بعد كلامه عن العرش مباشرة.

ومن كلامه:

"وكان عند تمام السبعة الأيام أن كلمة الرب صارت إلى القلعة: يا بن آدم قد جعلتك رئيساً لبني إسرائيل، فاسمع الكلمة من فمي وأنتزم من قلبي إذا قلت للشرير موتاً يموت، وما أنذرتك أنت، ولا تكلمت بإنذاراً للشرير من طريقه الربينة لإحيائه، فذلك الشرير يموت بإثمه، أما دمه فمن يدك اطلبه، وإن أنذرت أنت الشرير، ولم يرجع عن شره، ولا عن طريقه الربينة، فإنه يموت بإثمه، أما أنت فقد نجيت نفسك. والبار إن رجع عن بره وعمل إثمًا، وجعلت معثرة أمامه فإنه يموت؛ لأنك لم تذكره يموت في خطيئته، ولا تذكر بره الذي عمله، أما دمه فمن يدك اطلبه، وإن أنذرت أنت البار من أن يخطئ البار، وهو لم يخطئ، فإنه حياة يحيا؛ لأنه أنذر، وأنت تكون قد نجيت نفسك" (٣٧٥).

وقد وصف إشعيا النبي هلاك الكافرين في يوم الرب، بأنه دخول في جهنم كأن قد خلق الله لهم الجحيم، وأدخلهم فيه، كتابة عن قسوة العقاب.

ففي سفر أشعياء: "لأنه هو ذا الرب بالنار يأتي ومركبته كزوبعة ليبرد بحمو غضبه وزجره بلهب نار. أن تهرب بالنار يعاقب وبسوطه علي كل بشر، ويكثر قتي الرب" (٣٧).

• • •

وأشار إلي يوم الرب بقوله: (يَوْمَئِذٍ)

وفي هذا اليوم في أرض "هرمجدون" واليهود صفاً صفاً أمام المسلمين ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُتَذَوَّنَ لِمَقْتِ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ (٣٧٧).

ينادون بلسان الحال وقت اشتداد المعارك، كان قائلاً يقول لهم هذا. ولسان الحال وهم الكرب العظيم ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَا الْتَشِينِ وَأَحْمَقَّتْ الْتَشِينِ فَاَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (٣٧٨).

• • •

يعطون بالموتيتين وبالحياتيتين:

١- أنهم كانوا أحياء على شريعة نوح (٣٧٩).

٢- فلما نسحت تركوها - وفترك موت - فصار تركهم لشريعة نوح؛

موتاً لولاً.

والحياة الثانية هي حياتهم على التوراة.

وقد نسخها الله فماتوا عنها. وهذا هو الموت الثاني.

(٣٧٦) إش: ٦٦: ١٥-١٦.

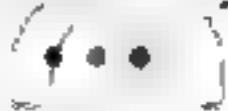
(٣٧٧) غافر: ١٠.

(٣٧٨) غافر: ١١.

ثم قالوا لله بلسان الحال: نحن مذبذبون (فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا) فهل مستجاب
علينا، وتخرجنا من المعركة لئلا نهلك. فإذا خرجنا قبلنا دين رسولك، ونجينا
لأنفسنا من الهلاك (فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ).

ورد بقوله: إن الإيمان في وقت معاناة العذاب لا ينفع ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا
دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (٣٧٩).
ثم خاطب المؤمنين بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِّنَ
السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ (٣٨٠). وعبر بالتنكير ليدل به على هذا الذي هو منكور في
التوراة في نبوة العرش ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾.

وأمر المسلمين بأن لا يسكتوا عن ذكره بحجة أن لا يغضبوا الكافرين بهذا
الذكر فقال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٣٨١).



ثم قال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾.

والدرجات في التوراة، هي المستفادة من النص: وهو 'فوق المقرب الذي
على رؤوسها' شبه عرش كمنظر حجر العقيق الأزرق. وعلى شبه العرش شبه
كمنظر إنسان عليه من فوق (٣٨٢) أي أنه فوق جميع الدرجات إنسان جالس على
العرش. ثم عبر عن رفعة الدرجة وعن العرش بقوله: 'هذا منظر شبه مجد

(٣٧٩) غافر: ١٢.

(٣٨٠) غافر: ١٣.

(٣٨١) غافر: ١٤.

(٣٨٢) هود: ١: ٢٦.

الرب^(٣٨٣). ومجد للرب معاه: ظهور مملكة الجنب على يد النبي الآتي، كما ظهرت مملكة الله القديمة على يد النبي السابق وهو موسى عليه السلام.

فإذا ظهر النبي الآتي الذي هو في النبوة رفيع الدرجات صاحب العرش في مملكة الرب الآتية؛ فإنه سيبي من مملكته بالحرب كل من لا يؤمن به من اليهود. وستكون المعرفة الفاصلة في يوم الرب. يوم معركة هومجدون.

وقد جرت عادة الله في خلقه أن ينزل برسله من قبل هلاك الأمم. وقد أُنذر اليهود بالهلاك في يوم الرب على يد حرقياي في رؤى الله، وكانت عليه يد الرب أي أن الله ألهمه وقواه وأراه ما يتكلم به أمامهم. ولما كانت عليه قوة الله "لأجل ذلك تنبأ عليهم. وحل عليه روح الرب"^(٣٨٤).

وهذا هو معني ﴿يُلْقِي الرُّوحُ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٣٨٥).

أي يلقي ربه - رب رفيع الدرجات - ﴿الروح﴾ - وهو الإلهام والنفث في الروح - على من يشاء من عباد. (مثل حرقياي) وحوارييه أي رسله - وذلك للإبصار من قبل الهلاك. في يوم الرب الذي قل فيه حرقياي: "لو كان إلى كلام الرب قائلاً: وأنت يا بن آدم، فهكذا قال السيد الرب لأرض إسرائيل: نهاية قد جاءت للنهية على زوليا الأرض الأربع، الآن للنهية عليك". وفي يوم الرب في معركة سيلنقي المؤمنين أصحاب محمد ﷺ بالكفار به، من اليهود وشركائهم من الأمم، كل فريق يريد أن ينتصر على الفريق الآخر. والله يعلم أن الكفار ليهلكون. ولذلك أرسل إليهم بالإنذار ﴿ثِيَسِرَ يَوْمَ الثَّلَاقِ﴾ في المعركة الفاصلة

(٣٨٣) حز: ١: ٢٨.

(٣٨٤) حز: ١١: ٤.

(٣٨٥) عفر: ١٥.

في أرض فلسطين في يوم الرب ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ لِقَالِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿لَا يَنْفَعِي عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ (٢٨٦).

وعبر الله عن نصره للمؤمنين بقوله: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾؟ هل هو لمحمد ﷺ الأتي ليؤسس مملكة لله غير المملكة التي أسسها موسى عليه السلام؟ أجل سيكون الملك اليوم لمحمد وأصحابه، المائون عن ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

فإذا هزم الله اليهود. ومكن للمؤمنين في ديارهم؛ فإنه لا يكون ظلما لليهود؛ لأنه نبه في كتبهم وفي القرآن علي أن محمداً سيأتي خلفاً لموسى. وقد أُنذِرهم علي السنة أنبيائهم. ويسور من القرآن سمعوها وفهموها.

وأنت يا محمد ومن معك ﴿وَأَلْبِسْهُمْ يُومَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَافٍمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ بَطَّاءُ﴾ (٢٨٧).

وقد أُنذِرهم هو ومن معه بالقرآن كله. وببيان ذلك:

هو أن النبي ﷺ قد ترك القرآن مكتوباً كله في مصحف واحد، ومحمولاً في الصدور، ومسلمه لأصحابه. فلما جهز أبو بكر الصديق عليه السلام الجيوش لفتح فلسطين - عاصمة ملك اليهود - وكانوا يومئذ تحت سيطرة الروم عليهم - والروم نصارى كاثوليك. وهم طائفة من اليهود. وكانوا يسيطرون علي بلاد فارس أيضاً - أرسل من قبل وصول الجيش رسلاً بمصحف. قد أمر بكتابته من المصحف الذي تركه النبي ﷺ ليعلم لليهود والنصارى أن ما جاء به محمد ﷺ هو من عند الله، وليندر بالهلاك من قبل وقوعه؛ لأن المصحف الكريم يحتوي علي الإنذار - كما في سورة غافر - ويحتوي علي ما جاء به كله من عند الله.

(٣٨٦) غافر: ١٦.

(٣٨٧) غافر: ١٨.

وقد لعا الرواة في مصحف أبي بكر ﷺ بقولهم:

"إن النبي ﷺ لم يجمع القرآن في حياته. وقد كان متفرقاً على العظام والأحجار والحلأف فجمعه أبو بكر".

والحق هو ما ذكرنا؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ﴾ (٣٨٨).

الذين أرسلهم المسلمون إليهم ليخبروا المسلمين بأنهم مخبرون بين أمرين هما الخروج من أرض اليهود (٣٨٩)، أو العودة إلى شريعة إبراهيم للتوراة التي هي ملة اليهود الكافرين ﴿كُنْخْرِجْكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْخَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ بواسطة الإلهام ﴿لَنَهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (١٣) وَلَنَشْكِيَنَّ الْأَرْضَ مِّنْ بَعْدِهِمْ﴾ (٣٩٠).

يريد بالظالمين اليهود الذين سباحذ المسلمون أرضهم وسيمسكون فيها
{إنك} الإنذار ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ عِيدِي﴾ (٣٩١).

ولا يمكن أن يكون هذا الإنذار كلاماً بين المسلمين وحدهم؛ لأن الإنذار ليس لهم لأنهم آمنوا. وإذا هو لليهود. فلا بد أن يبلغ المسلمون لهم القرآن كاملاً غير منقوص من قبل المعركة؛ وذلك ليعلموا منه:
١- الإنذار.

٢- والآيات التي نكل على أن محمداً رسول الله، وإلا فكيف يعلمون أنه النبي الذي يحدونه مكتوباً عندهم؟

(٣٨٨) إبراهيم: ١٣.

(٣٨٩) كان المسلمون بنو إسماعيل قد أخذوا في بدء الإسلام لرأسي اليهود بالحرب.

(٣٩٠) إبراهيم: ١٣-١٤.

(٣٩١) السابق.

٣- والآيات التي تدل على أنه وهو لم يقرأ ولا يكتب؛ قد قال الحق.
ولا يمكن أن يكون هذا على حكاية الحال، بل على الحقيقة. وقال تعالى عن فتح
لورشليم على يد المسلمين ﴿وَأَسْتَخْرِجُكُمْ مِنْهَا﴾ وهذا مثل قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾
استهزاء ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣٩١).

ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ
بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٣٩٢).

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾

في سفر قزبور:

- ١- أما الرب، فإلى الدهر يجلس. ثبت للقضاء كرسيه. وهو (٣٩١) يقضي
للمسكونة بالعدل. يدين الشعوب بالاستقامة (٣٩٥).
- ٢- نحمدك يا الله. نحمدك واسمك قريب بحجبتك؛ لأنني أصيبن مبعاداً. أنا
بالمستقيمات أقضي (٣٩٦) (٣٩٧).

(٣٩٢) السجدة: ٢٨.

(٣٩٣) طه: ٢٠.

(٣٩٤) في ترجمة كتاب الحياة "أما الرب فإلى الأبد يملك، ثبت عرش القضاء. يدين العالم
بالعدل ويقضي بين الشعوب بالإنصاف".

(٣٩٥) مز: ٩: ٧-٨.

(٣٩٦) "نحمدك يا الله نحمدك، واسمك قريب. وحدثن بحجبتك. لأنني أصيبن مبعاداً. أنا
بالمستقيمات أقضي. ذابت الأرض وكل سكنتها. أنا ورنيت أصغتها. سلاه. قلت للمفتخرين: لا
تفتخروا. وللكثول: لا ترفعوا قرناً. لا ترفعوا إلى الطي قرنكم. لا تتكلموا بفسق متصليب
لأنه لا من المشرق ولا من المغرب ولا من برية الجبل. ولكن الله هو القاضي. هذا يضعه
وهذا يرفع لأن في يد الرب كلماً وخبرها مخففة. ثلاثة شراً ممزوجاً. وهو يسكب منها.

٣- "الله قاض عادل" (٣٩٨).

٤- "وتخبر السموات بحضه" (٣٩٩).

وفي سفر إشعياء أن النبي الأمي الآتي في آخر زمان الملك والنبوة في بني إسرائيل؛ سيكون قاضيًا بشريعة إلهية تقيضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين؛ فخطبون سيوفهم مككا ورمائحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفًا، ولا يتعلمون الحرب في ما بعد^(٣٩٩). ولما كان الله هو القاضي بين جميع الأمم والشعوب.

والله يبين أنه يقضي لبعض الشعوب، وفي زمان شريعته سيعم السلام والأمن في البلاد التي ستدخل في دينه؛ يكون القاضي هنا هو النبي الأمي الآتي على مثال موسى القوي. وكيف يقضي وهو أمي لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان؟ يقضي بحسب نصوص الشريعة المعطاة له من الله. وعارفوا شريعة من المسلمين؛ يحلون محله، كل في مكانه وبهم شعبه ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ (٤٠٠).

وفي سفر ميخا:

"ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتًا في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه شعوب، وتسير أُم كثيرة، ويقولون هلم نصعد

لكن عكرها بعصه يشربه كل شرار الأرض. أما أنا فلنصر إلى الدهر. لئنم لآله يعقوب.

وكل قرون الأشرار أغضب. قرون الصديق تلتصب (مزور ٧٥)

(٣٩٧) ز: ٧٥: ١-٢.

(٣٩٨) مر: ٧: ١١.

(٣٩٩) مز: ٥٠-٦.

(٤٠٠) إش: ٢: ٤.

(٤٠١) النساء: ١٠٥.

إلي جبل الرب، وإلي بيت إله يعقوب من طريقه، ونسلك في سبله؛ لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن اورشليم كلمة الرب.

فيقضي بين شعوب كثيرين بنصف لأمة قوية بعدة، فيطبعون سيوفهم سكاً ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة علي أمة سبفاً ولا يتعلمون الحرب في ما بعد بل يجلسون كل واحد تحت كرمته وتحت تينته، ولا يكون من يرعب؛ لأنهم رب الجنود تكلموا لأن جميع للشعوب يسلكون كل واحد باسم إلهه، ونحن نسلك باسم الرب إلهنا إلي الدهر والأبد، في ذلك اليوم يقول الرب: أجمع الظالعة وأضم المطرودة والتي أضرت بها، وأجعل الطالعة بقية والمقصاة أمة قوية، ويملك الرب عليهم في جبل صهيون من الآن إلي الأبد^(١٠٦).

اليهود لا يحكمون بالعدل: ويقول إشعياء النبي في الأول من سفر ما

معناه: ﴿وَأَفْعَلُوا خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ لَتُفْلِحُوا﴾^(١٠٧)

"اسمعوا كلام يا قضاء مدوم، استمعوا إلي شريعة إلهنا يا شعب عمورة. لماذا لي كثرة ذنوبكم يقول الرب. انصبت من مجروعات كباش وشحم مميتات وبنم عجول وخرفان وثيوس ما أسر. حينما تكتون لتظهروا أمامي. من طلب هذا من أيديكم أن تكوسوا نوري. لا تعودوا تكتون بتقديم باطلة. البخور هو مكرمة لي. رأس الشهر والمسيب ونداء المحفل. لست أطبق الإثم والاعتكاف. رؤوس شهورك وأعيادكم بغضنها نفسي صارت علي ثقلاً، ملئت حملها. فحين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم، ولن كثرت الصلاة لا أسمع أيديكم مائة. اغتسلوا تنفقوا، اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني كفوا عن فعل الشر، تعلموا فعل الخير، اطلبوا الحق، أنصفوا المظلوم، انصوا لليتيم، حاموا عن الأرملة. هم نتحاجج يقول الرب: إن كان خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج. إن كانت

(402) ميخا: ٤: ١-٧.

(403) الحج: ٧٧.

حمراء كالوددي تصير كالصوف. إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض. وإن
لبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف؛ لأن هم الرب تكلم.

كيف صارت القرية الأمانة زانية. ملأته حقاً. كان العدل يبيت فيها. ولما
الآن فالقاتلون. صارت ضد فستك زعلاً وحمرك مغشوشة بماء. رؤساؤك
متمردون ولغفاء للصوم. كل واحد منهم يحب منهم الرشوة ويتبع العطايا. لا
يقضون لليتيم، ودعوى الأرملة لا تصل إليهم.

لذلك يقول السيد رب الجنود عزيز إسرائيل: أه أنبي لمترح من
خصمائي، وانتقم من أعدائي. وأرد يدي عليك وأنقي زرعك كأنه بالبورق،
ولزع كل قصديرك، وأعيد فضلك كما في الأول ومسيرتك كما في البداية.

بعد ذلك تدعين مدينة العدل القرية الأمانة. صهيون تقي بالحق وتأبوها
بالبر. وهلاك المعذبين والخطاة يكون سواها. وتتركوا الرب يقضون؛ لأنهم
يخطون من أشجار البطم التي لم تنبت ثمورها، وتمرون من الجنات التي
أخترتموها؛ لأنكم تصبرون كقطعة قد تبل وكحبة ليس لها ماء، ويصير القوي
مشافة وعمله شراراً فيحترقان كلاهما معاً. وليس من يطفى^(١٠١).

المسيح عيسى عليه السلام ينفي عن نفسه كونه قاضياً ليبين بالنفي أن القاضي
سيأتي من بعده:

لما كانت نبوءات التوراة تصف الله بأنه يقضي بالحق، وإن النبي الآتي
سيكون قاضياً بالحق. قال المسيح بصريح العبارة: أمت أنا للقاضي الآتي؛ لأن
عندكم للتوراة تتحكمون فيما بينكم عليها إلى أن يأتي الذي يحكم عليكم ويقضي
بينكم. ثم تكلم بعدما نفي عن نفسه سلطة القضاء عن مجيء محمد ﷺ، وعبر
عن مملكته بملكوت السموات. وأمر أصحابه باليقظة للتامة لمعرفة زمانه ولقبه
بإين الإنسان. في قوله:

"تكونوا أنتم إذن مستعدين؛ أنه في ساعة لا تظنون؛ يأتي ابن الإنسان".
وقال لأصحابه: "لا تهتموا بالدنيا وزينتها أكثر من اهتمامكم بالدعوة إلي ملكوت
الله، بل اطلبوا ملكوت الله، وهذه كلها تزداد لكم".

النص:

"وقال لتلاميذه: من أجل هذا أقول لكم لا تهتموا لحببتكم بما تأكلون، ولا
للجسد بما تلبسون. الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس. تأملوا
للغريبان أنها لا تزرع ولا تحصد وليس لها مخدع ولا مخزن والله يفتنها. كم أنتم
بالبحري أفضل من الطيور. ومن منكم إذا اهتم بقدر أن يزيد على قامة ذراعًا
واحدة. فإن كنتم لا تقرون ولا على الأصغر لماذا تهتمون بالبولقي. تأملوا
الربابق كيف تنمو. لا تتعب ولا تغرل. ولكن أقول لكم: ولا سليمان في كل
مجده كان يلبس كواحدة منها. فلي كان الحشب الذي يوجد اليوم في الحقل
ويطرح غداً في التور يلبسه الله هكذا، فكم بالبحري يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان.
فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون ولا تعلقوا. فإن هذه كلها تطلبها أمم
العالم. ولما أنتم فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون إلي هذه. بل اطلبوا ملكوت الله. وهذه
كلها تزداد لكم.

لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت. يدعوا
مالك وأعطوا صدقة. اعملوا لكم كياناً لا تقني وكثراً لا ينفد في السموات؛
حيث لا يقرب سارق ولا يُبلى سوس؛ لأنه حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم
أيضاً. أنكن أحقاؤكم بمنطقة وسرجم موقدة. وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم
متي يرجع من العرس حتى إذا جاء وفرح يفتحون له للوقت. طوبى لأولئك
العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين. الحق أقول لكم: أنه يتمنطق وينتقمهم
وينتقم ويخدمهم. وإن أتى في الهزيع الثاني لو أتى في الهزيع الثالث ووجدهم
هكذا؛ طوبى لأولئك العبيد. وإنما اعملوا هذا أنه لو عرف رب البيت في ليلة

ساعة يأتي المارق لسهر، ولم يدع بيته ينتهب، فكونوا أنتم إذن مستعدين؛ لأنه
في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان^(١٠٥).

ونكتفي هنا بشرح المزمور للتاسع والعاشر. الذي فيه أن الله يقضي
للمسكونة بالعدل^١.

نص المزمورين ٩ و ١٠.

المزمور التاسع: "أحمد الرب بكل قلبي، أحدث بجميع عجائبك، أفرح
وأبتهج بك، أرفع لاسمك أيها العلي. عند رجوع أعدائي إلي خلف، يمسقون
ويهلكون من قدام وجهك؛ لأنك أقمته حتى ودعواي. جلست على الكرسي قاضياً
عادلاً. انتهرت الأمم. أهلكك الشرير. محوت اسمهم إلي الدهر والأبد. والعدو
ثم خرابه إلي الآن. وهنمت مدناً. باد نكره نفسه. أما الرب فإلي الدهر يجلس.
ثبت للقضاء كرسيه. وهو يقضي للمسكونة بالعدل. يدين الشعوب بالاستقامة.
ويكون الرب ملجأ للمسحق. ملجأ في أزمة المسحق. ويتكل عليك للعارفون
اسمك؛ لأنه لم يتركه طائبك يا رب. زعموا للرب الساكن في صهيون، أخبروا
بين الشعوب بأفعاله؛ لأنه مطالب بالدماء، نكرهم. لم ينس صراخ المساكين.
أرحمني يا رب. انظر مدنتي من ميغضي، يا رافعي من أبواب الموت، لكي
أحدث بكل تسليحك في أبواب ابنة صهيون، مبنهاً بخلاصك. تورطت الأمم
في الحفرة التي عملوها. في الشبكة التي أخوها فتشبت أرجلهم. معروف هو
الرب. قضاء أمضى. الشرير يخلق بعمل يديه. صرب الأوتار. صلاة^(١٠٦)
الأشرار يرجعون إلي الهوية، كل الأمم الناسين الله؛ لأنه لا يسمى المسكين إلي

^(١٠٥) لوقا: ١٢: ٢٢ - ٤٠.

^(١٠٦) صلاة: يقولون معاً فاصل شعري. وفي هذا المزمور. يأمر بطرب الأوتار وسؤال الله.

الأبد، رجاء اليائسين لا يخبى إلي الدهر. فم يا رب لا يعتر الإنسان لتحاكم الأمم قدامك. يا رب اجعل عليهم رعباً ليعلم الأمم أنهم بشر سلاه.

المزمور العاشر: "يا رب، لماذا تكف بعيداً؟ لماذا تخفي في أزمنة الضيق؟ في كبرياء الشرير يحترق المسكين. يؤخرون بالمؤامرة التي فكروا بها؛ لأن الشرير يفتخر بشهوات نفسه، والخاطف يجنف بهين الرب. الشرير حسب تشامخ أنفه يقول: "لا يطالب" يقول: كل أفكاره أنه لا إله. تثبت سبله في كل حين. عالية أحكامك فوقه. كل أعدائه يبعث فيهم. قال في قلبه: "لا أتزعزع. من دور إلي دور بلا سوء" فمه مملوء لعة وغشاً وظلماً. تحت لسانه مشقة وإثم. يجلس في مكن الديار، في المختبرات يقتل البريء. عينا ترلقبان المسكين يكمن في المخبئي كأمس في عرينه. يكمن ليخطف المسكين. يخطف المسكين بجذبه في شبكته، فتنسحق وتنحني وتسقط المساكين ببرائته. قال في قلبه: "إن الله قد نسي حجب وجهه لا يري إلي الأبد".

فم يا رب يا الله ارفع يدك لا تنسى المسكين. لماذا أمان الشرير الله؟ لماذا قال في قلبه: "لا تطالب" قد رأيت لأنك تبصر المشقة والغم؛ لتجازي بيدك. إليك يهلم المسكين أمره. أنت صرت معين اليتيم. أخطم العاجر. والشرير تطلب شره ولا تجد. الرب ملك إلي الدهر والأبد. بليت الأمم من أرضه. تلو الوعداء قد سمعت يا رب. تثبت قلوبهم. ثميل أنفك لحق اليتيم والمنسحق، لكي لا يعود أيضاً يزعجهم إنسان من الأرض.

• • •

التفسير:

الترجمة السبعينية جطت المزمور التاسع والعاشر مزموراً واحداً. والمزمور التاسع مرقم بالحروف الأجنبية، ففيه أحد عشر حرفاً من الحروف

الاثنين والعشرين. المجموعة في لجد - هور - حطي - كلمن - معفص - قرشت.

والمزمور للعاشر بعد أن بدأ بالحرف ١٢ لسقط بظلم الأبجدية حتى وصل إلى الآيات ١٢-١٨، حيث تظهر الحروف الأربع الأخيرة من الأبجدية. وهذا المزمور بقسمة. هو كلام النبي الأمي الآتي إلى العالم يظهر الغيب عن نفسه. والمتكلم بذله وعلى لسانه هو داود عليه السلام.

وببدأ كلامه بحمد الله. ويذكر من عجائب قدرته أنه نصره على أعدائه. وكلمة "أعدائه" تخزي وتبكت شراح هذا المزمور؛ وذلك لأنهم يقولون: وإن المزمور كلام داود نفسه، وليس كلام النبي الآتي الذي لطهره داود على لسانه. وإنه لو كان هو داود نفسه ما كان يقول: "فتنهت الأمم. أهلك الشرير. محوت اسمهم إلى الدهر والأبد. العدو تم خرابه إلى الأبد. وهمت منذاً. بلا ذكره نفسه". فإن الأمم جمع أمة، واليهود أمة واحدة لا أمم. والنبي الآتي أهلك لهما ومنها أمة اليهود. وداود لم يهلك الأمم.

أيضاً: يُقضى للمسكونة بالعدل والمسكونة هي العالم بأسره.

أيضاً: تورطت الأمم في الحفرة.

ودعا النبي ﷺ على أعدائه بقوله: "يا رب اجعل عليهم رعباً". وفي القرآن الكريم إن الله استجاب له وبصره على أعدائه بالرعب ﴿مُسْتَلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَوَاقِلُ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٠٧).

وفي هذا المزمور التاسع يدين النبي أن الله نصره بقوله: تورط الأمم في الحفرة التي عملوها...". ولم تتورط الأمم في الحفرة في زمان داود عليه السلام ولا في زمان المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.
وقد بين في البدء أن الله نصره بقوله: "عند رجوعي. أعدائي إلي خلف، يسقطون...".

وفي المزمور العاشر يقول النبي لله: "إليك يُسَلِّمُ المسكين أمره". ويقول عن انتصاره: "بانت الأمم من أرضه". ولأن الله سينصر أتباعه. ووصفهم بالتواضع لله تأوه الودعاء قد سمعت يا رب...". ووصف اليهود بقوله: "هم مملوء لعة وغشاً وظلمًا". وحكى عن اليهود قولهم إنهم لن يخرجوا من المسطين إلي الأبد قال في قلبه: لا أترزعزع. من نور إلي نور بلا سوء.
وحكى عن اليهود قولهم للوح: كل أفكاره أنه لا إله.

وقول النبي عليه السلام: "إليك يُسَلِّمُ المسكين أمره". يعبر عن الثقة المتزايدة للنبي في الله تعالى. وقد كررها في المزمور ٢٧ "يُسَلِّمُ للرب طريقك، وتتكلم عليه. وهو يُجري ويخرج مثل النور برك، وحققك مثل الظهيرة".

جلوس محمد ﷺ علي العرش في الدار الآخرة:

يقول الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ يَتَعَفَّكَ رَبُّكَ

مَقَامًا مُمَحَّمُودًا﴾^(٤٠٨). ما نصه: "القول الثالث: ما حكاه الطبري عن فرقة، معها

مجاهد، أنها قالت: المقام المحمود هو أن يجلس الله تعالى محمداً ﷺ معه علي

كرسيه، وروى في ذلك حديثاً. وعند الطبري جواز ذلك بشرط من القول،

وهو لا يخرج إلا علي تطف في المعنى، وفيه بُعد. ولا يُكر مع ذلك أن

يروى، والعلم بتأويله. وذكر النقاش عن أبي داود المستجسائي أنه قال: من أنكر

هذا الحديث فهو عندنا منهم، مازال أهل العلم يتحدثون بهذا، من أنكر جوازه

علي تأويله. قال أبو عمر: ومجاهد وإن كان أحد الأئمة يتأول القرآن فإن له

قولين مهجورين عند أهل العلم: أحدهما هذا. والثاني في تأويل^(٤٠٩) قوله تعالى:

﴿وَجُودَ يَوْمَئِذٍ لَّا حِزَّةَ (٢٢) أَلَى رَبِّهَا لَّا ظُلَّةَ﴾^(٤١٠). قال: تنتظر للثواب! ليس

من النظر.

قلت: ذكر هذا في باب شهاب في حديث كثريل. وروى عن مجاهد أيضاً

في هذه الآية قال: يجلسه علي العرش. وهذا تأويل غير مستحيل؛ لأن تعالى

كان قبل خلقه الأسماء كلها والعرش قائماً بذاته، ثم خلق الأسماء من غير حاجة

إليها، بل إظهار لقدرته وحكمته، وليعرف وجوده وتوحيده وكمال قدرته وعلمه

بكل أفعاله المحكمة، وخلق لنفسه عرشاً يستوي عليه كما شاء من غير أن صار

له معاش، أو كان العرش له مكاناً. قيل: هو الآن علي الصفة التي كانت عليها

من قبل أن يخلق المكان والزمان؛ فعلي هذا القول سواء الجواز لقد محمد علي

(٤٠٨) الإسراء: ٧٩.

(٤٠٩) المراد به يومئذ معلوم يوم الرب.

(٤١٠) للقيامة: ٢٢ - ٢٣.

العرش أو علي الأرض؛ لأن استواء الله تعالى علي العرش ليس بمعنى الانتقال والزوال، وتحويل الأحوال من القيام والنعوذ، والحال التي تشغل العرش، بل هو مستو علي عرشها، كما أخبر عن نفسه بلا كيف. وليس إقلاعه محمداً علي العرش موجبا له صفة الربوبية، أو مخرجاً له عن صفة العبودية، بل هو رفع لمحلته، وتشريف له علي خلقه. ولما قوله في الأخبار: "معه" فهو بمنزلة قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾^(١١١). و ﴿رَبُّهُنَّ لِي عِنْدَكَ يَتَأْتِي الْجَنَّةَ﴾^(١١٢). ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١١٣). ونحو ذلك. كل ذلك عائد إلي الرتبة والمنزلة والحظوة والدرجة الرفيعة، لا إلي المكان" اهـ.

وهي تفسير الإمام الرازي:

قال الواحد: روى عن ابن مسعود أنه قال: "يقعد الله محمداً علي العرش". وعن مجاهد أنه قال: "يجلس معه علي العرش". ثم قال الواحدي: "هذا القول رتل موحض فطبع". وصنف شيخ الإسلام الرازي علي كلام الواحدي وقال: "وليس الكتاب ينادي بفساد هذا للتفسير. ويدل عليه وجوه... إلخ".

والخلاصة:

١- أن الخلاف بيننا وبين المسيحيين في صاحب عرش "ملكوت السموات" فهم يقولون بأنه "الخروف"، والحروف عندهم هو المسيح عيسى عليه السلام. ونحن نقول: إن صاحب عرش "ملكوت السموات" هو محمد ﷺ.

(١١١) الأعراف: ٢٠٦.

(١١٢) التحریم: ١١.

(١١٣) الطه: ٦٩.

٢- ولا خلاف بيننا وبينهم في أن العالم كله قد خلقه الله، ثم استوي الله على عرش العالم أجمع.

ومعنى العرش في 'ملكوت السموات' هو أن هذه المملكة سيؤسسها محمد ﷺ ويضع فيها شريعته؛ فكانه جالس على عرش الملكوت يحكم على المؤمنين به بشريعته. وعلماء أمته نواب عنه في التفسير والاستنباط من القرآن.

ثم الكتاب والله العبد.

الفهرس

5	مقدمة.....
13	الفصل الأول.....
13	_ يا جوج وما جوج في الكتب الحديثية وبعض كتب التفاسير.....
13	_ الأحاديث الواردة في يا جوج وما جوج.....
23	_ هدم سد يا جوج وما جوج وخروج التتار والمغول.....
41	_ نهاية يا جوج وما جوج في الإسلام.....
43	_ موقع سد ذي القرنين على خريطة العالم وصفاته.....
	_ آراء علماء المسلمين الذين أكدوا أن التتار
45	والمغول هم يا جوج وما جوج.....
49	الفصل الثاني.....
49	_ يا جوج وما جوج في التوراة والإنجيل.....
50	_ رأي مفسري الكتاب المقدس في هذه التسميات.....
55	الفصل الثالث.....
55	_ في نقد الكتب التفسيرية في موضوع يا جوج وما جوج.....
56	_ أحاديث نبوية في التوراة.....
61	الفصل الرابع.....
61	_ يا جوج وما جوج في القرآن والتوراة.....
61	_ في القرآن الكريم.....
62	_ في التوراة.....
68	_ علامات يوم الرب في نبوة يا جوج وما جوج.....
71	أولاً: في سفر حزقيال.....
72	ثانياً: في سفر يوشيا.....

73	جبال إسرائيل
78	الحرب للرب
79	تنبؤ الأنبياء بني إسرائيل بنصر الله في يوم الرب
82	عودة ياجوج وماجوج إلى الله
86	قلب الأرض المقدسة والشعب الذي يسكن في وسط الأرض
86	فتح بلاد ياجوج وماجوج
88	مرض جهنم في معركة يوم الرب
90	التوبة عند معاينة الإهلال
92	الكلام عن الإسكندر الأكبر في التوراة
93	رأي المسيحيين المعاصرين في نبوة ياجوج وماجوج
96	الله يكلم الناس من نفسه على قبر عقولهم بلسانهم
96	البيان الأول: زيادات الصفات من الذات
97	البيان الآخر: تكلم الله عن نفسه بلسان بني آدم
102	رأي علماء بني إسرائيل في ذات الله وصفاته
105	الفصل الخامس
105	في إحياء عظام بني إسرائيل اليايسة
107	متى يكون هذا البعث
109	لا سلام مع الأشرار
117	من صهيون تخرج الشريعة
132	المراد ببيت الرب: الكعبة في مكة المكرمة
145	الفصل السادس
145	في التوبة إلى الله في سفر حزقيال
145	توبة الفرد أم توبة الجماعة ؟
148	الإيمان والأعمال
148	بولس يلغو في نبوة حزقيال

149	نص كلام بولس في النعمة
151	الخطايا في مملكة يسوع المسيح
152	نصوص في سفر حزقيال عن التوبة
162	إتمام النعمة
164	الحياة الأبدية
169	الحياة الأبدية من بعد القبر
173	النبوة الأولى
175	النبوة الثانية
175	النبوة الثالثة
179	الفصل السابع
179	في رفيع الدرجات ذو العرش
191	حملة العرش في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي
195	أقوال المفسرين في أن سفر الرؤيا يتكلم عن النبي الأُمِّي الآتي
198	عن نبوة رفيع الدرجات ذو العرش
215	تطابق نبوة العرش مع القرآن الكريم
218	الإشارة إلى يوم الرب بقوله (يومئذ)
232	جلوس محمد (ص) على العرش في الدار الآخرة

من إصدارات مكتبة النافذة

عنوان الكتاب	اسم المؤلف
المقدمات	ترجمة: د. مصطفى عبد المعبود مراجعة وتقديم: أ. د. محمد خليلة حسن
الطهارات	
الأضرار	
تنظيم النساء	
زراعم الزروع	
الأعياد (موعد)	
مسئلة الفرق الدينية اليهودية:	
1_ القبالة (التصوف اليهودي)	نبيل أنسي الغنور
2_ يهود النونمة	د. مصطفى عبد المعبود
3_ يهود الخزر	د. مصطفى عبد المعبود
النصرانية والإسلام	د. المستشار / محمد عزت الطهطاوي
مر مريم	حسني يوسف الأطير
عقائد النصارى الموحدين	حسني يوسف الأطير
العصر المكتوم بشأن ورقة بن نوفل	حسني يوسف الأطير
نقض الاشتباه بتطم الرسول من ورقة بن نوفل	حسني يوسف الأطير
المواجهة بين القرآن والإسرائيليات	حسني يوسف الأطير
البدائيات الأولى للإسرائيليات في الإسلام	حسني يوسف الأطير
المذهب الذهبي عند العرب	حسني يوسف الأطير
على هامش الحوار بين القرآن واليهود	حسني يوسف الأطير
تقويم الاعتقاد بين القرآن والنصارى الموحدين	حسني يوسف الأطير
الشفاعة وأصولها الوثنية العربية	حسني يوسف الأطير
المسيح في الإنجيل بشر	د. ممنوح جاد
المسلمون في إنجيل متى	د. ممنوح جاد
الانتصارات الإسلامية في علم مقارنة الأديان	الطوفي الحنبلي
العقائد الوثنية في الديانة النصرانية	محمد طاهر التبر
نظرة في قصة صلب المسيح وقيامته من الأموات	د. محمد توفيق صدقي
نظرة في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية	د. محمد توفيق صدقي
الإسلام والنصرانية	الإمام محمد عبده
المنظرة الكبرى في مقارنة الأديان	د. محمود علي حمادة
التثليث (بين الوثنية والمسيحية)	د. محمود علي حمادة
دراسات في الكتاب المقدس	د. محمود علي حمادة
باجوج وماجوج بين التوراة والقرآن	د. أحمد حجازي السقا
أقنوم النصارى	د. أحمد حجازي السقا
أهل الكهف (بين الإسلام والمسيحية)	د. أحمد حجازي السقا

عنوان الكتاب	اسم المؤلف
يوحنا المعمدان (بين النصرانية والإسلام)	د. أحمد حجازي السقا
الأرواح وحياة القبور	د. أحمد حجازي السقا
هيكل سليمان (عند المسلمين وأهل الكتاب)	د. أحمد حجازي السقا
معركة هرمجدون ونزول عيسى والمهدي المنتظر	د. أحمد حجازي السقا
بروتوكولات حكماء صهيون	د. أحمد حجازي السقا
الحج إلى الكعبة (في التوراة والزيور والإنجيل والقرآن)	د. أحمد حجازي السقا
الله وصفاته	د. أحمد حجازي السقا
نقد التوراة (أسفار موسى الخمسة)	د. أحمد حجازي السقا
المناظرة العالمية	أحمد ديدات
أدلة الوجودانية في الرد على النصرانية	الإمام القوالي
الرد على أصناف التصاري	علي بن زين الطبري
المناظرة التاريخية	تحقيق/ د. أحمد حجازي السقا
إظهار الحق ج 1/ ج 2	الشيخ/ رحمت الله الهندي
الفرق بين المخلوق والخالق	عبد الرحمن أفندي باجة جي زادة
هل العهد القديم كلمة الله؟	د. منقذ السقار
الله واحد أم ثلاثة	د. منقذ السقار
هل العهد الجديد كلمة الله؟	د. منقذ السقار
هل اقتدانا المسيح على الصليب؟	د. منقذ السقار
تلويل الظاهريات	د. حسن حنفي
ظاهريات التلويل	د. حسن حنفي
مخطوطات البحر الميت	د. محمد ممتاز القط
تخجيل من حرف التوراة والإنجيل	نقي الدين الجعفري
رسالة في اللاهوت والمسيحية	سينوزا- ترجمة: حسن حنفي
هرمجدون	محمود النيجيري
شريعة البقرة الحمراء في مشناه التلمود	نبيل أنسي الغندور
الرد على التصاري	أبو عيسى الوراق
أبي آدم (من الطين إلى الإنسان)	د. صرو شريف
هل الكتاب المقدس معصوم؟	عبد السلام محمد عبد الله
خبايا الكتاب المقدس	عبد السلام محمد عبد الله
تحريف مخطوطات الكتاب المقدس	علي الرئيس
الكتاب المقدس كلمة الله أم كلمة البشر	علي خان جومان
ولكن شبه لهم	ع. م. جمال الدين الشرفاوي
المسيح والمسيح	ع. م. جمال الدين الشرفاوي

عنوان الكتاب	اسم المؤلف
اليسوع النصراني	ع. م. جمال الدين الشرقاوي
هاروني أم داودي	ع. م. جمال الدين الشرقاوي
قضايا مثيرة في المسيحية والإسلام	ع. م. جمال الدين الشرقاوي
الأجوبة الفاجرة عن الأسئلة الفاجرة	الإمام القرافي
قيامه المسيح بين الحقيقة والخرافة	سلمي عامري
بشرى موسى عليه السلام بمحمد (ص) بيسوع	سلمي عامري
التوراة الصغرية	ترجمة: نبيل أنس الغنور
أصل الأنواع	تشارلز داروين
نلك الرجل (ماذا يقول اليهود في المسيح)	شنان أليجنور
الأعمال الكاملة أحمد ديدات ج1	ترجمة/ رمضان الصفناوي
الأعمال الكاملة أحمد ديدات ج2	ترجمة/ رمضان الصفناوي
الأعمال الكاملة أحمد ديدات ج3	ترجمة/ رمضان الصفناوي
الصلابين (الامة المقصدة)	د. أحمد حجازي السقا
استيقظ أيها الهنوسي	د. شارجي
الخراب في صدر البهاء والباب	محمد فاضل
البونية	صلاح أبو السعود
للديانة الدرزية	جبارة البرغوثي
للكتب المقدسة عند المزارعة	إسماعيل حامد
الله واحد أم ثلاث	د. المستشار/ محمد مجدي مرجان
المسيح إنسان أم الله	د. المستشار/ محمد مجدي مرجان
محمد (ص) نبي الحب	د. المستشار/ محمد مجدي مرجان
بذل المجهود في إقحام اليهود	المسؤول بن يحيى المغربي
لماذا أسلم هؤلاء	د. المستشار/ محمد عزت الطهطاوي
الإنجيل والصلب	الأب/ عبد الأحد داود الأشوري
تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب	أنسلم تورميد
لماذا أسلمت	الحسن بن أيوب
لماذا اخترت الإسلام	الشمس جمال زكريا أرمانيوس
القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والطم	موريس بوكاي
محمد (ص) في الكتاب المقدس	الأب عبد الأحد داود
المسيح المخلص في المصادر اليهودية والمسيحية	ترجمة: نبيل أنس الغنور
اليهود وكنائسهم	مارتن لوثر
حكم النبي محمد	تولستوي
محمد (ص) المثل الأعلى	توماس كارليل
الإسلام خواطر وسوانح	هنري دي كامبيري
اليهود في تاريخ الحضارات الأولى	جوستاف ثوبون

عنوان الكتاب	اسم المؤلف
الانتصارات الإسلامية في علم مقارنة الأديان	الطوفي الحنبلي
الظاهرة القرآنية	مالك بن نبي
القرآن معجزة الإسلام	مصطفى ثابت
تنزيه القرآن عن المطاعن	القاضي عبد الجبار
عربية للقرآن	د. عبد الصبور شاهين
أكتوبة تحريف القرآن بين الشيعة والمسلمة	رسول جطريان
قراءة لصور الطعن	عمرو الشاعر
القرآن واليهود	حسني يوسف الأطير
محمد (ص) في الكتب المقدسة	سلمي عامري
محمد (ص) نبي الإسلام	د. المستشار/ محمد عزت الطهطاوي
بشائر عيسى ومحمد في العهد القديم	د. محمد توفيق صنفى
هل بشر الكتاب المقدس بمحمد (ص)؟	د. منقذ الصفار
أمية محمد (ص)	خالد محمد عبده
الرسول والسيف	صلاح أبو السعود
دلائل النبوة	ابن تيمية
بشارة أحمد في الإنجيل	محمد الرئيس
لماذا اختفى إتيان المسيح	حسني يوسف الأطير
من أين جننا؟	إسرائيل قنوهل
أساطير اليهود	د. كارم محمود عزيز
تاريخ اليهود	إسماعيل حامد
حكماء الهند والصين وفارس	إسماعيل حامد